الجامع في الهدايات القرآنية

سُورَة الأعراف

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

أولًا: فضل سورة الأعراف:

لم يرد في فضل سورة الأعراف إلا ما صحَّ أنَّها من السبع الطوال- البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والأنفال والتوبة، وقد ورد في ذلك حديث عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أنّ النّبي ﷺ قال:" أعطيت مكان التّوراة السّبع الطوال، وأعطيت مكان الزّبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلت بالمفصل "، رواه الطبراني في الكبير (٨/٢٥٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم:١٤٨٠.

ووردت أحاديث عن صلاة النبي ﷺ بسورة الأعراف في صلاة المغرب، منها عن عائشة رضي الله عنها، أنّ النّبي ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف، فرّقها في الرّكعتين) رواه النّسائي، وقال النووي: إسناده حسن . وعن مروان بن الحكم، قال: قال لي زيد بن ثابت:" ما لك تقرأ في المغرب بقصار، وقد سمعت النّبي ﷺ يقرأ بطول الطولَيين "، أخرجه البخاري، رقم الحديث (٢٠٤ ، ٢٠٥).

ثانيًا: اسم السورة وسبب تسميتها:

عرِفت سورة الأعراف بهذا الاسم واشتهرت به من عهد النبي ﷺ، ووجه تسميتها أنهَّا ذكر فيها لفظ الأعراف ولم تذكر كلمة الأعراف في غيرها، وقد اختلف العلماء في أصحاب الأعراف على أقوال؛ منها: فقد قيل فيها: السور الذي بين الجنة والنار، أو أي حاجز آخر يجعله الله يوم القيامة بين الجنّة والنار، ويُشرِف أصحاب الأعراف من خلاله على فريقيّ الجنّة والنار؛ يَعرِفون كلّاً بسيماهم، وقال بعضهم: هم قوم من بني آدم، استوت حسناتهم وسيئاتهم، فجُعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم. ويتَّضح مما سبق أنَّ تسمية سورة الأعراف يرجع إلى تسمية أصحاب الأعراف الذين ورد ذكرهم في السورة لأنَّهم يعرفون أهل الجنّة والنّار كلاً بسيماهم، أو لأنّهم يقفون على الأعراف وهو المكان المرتفع بين الجنّة والنّار.

ثالثًا: عدد آياتها ووقت نزولها:

عدد آياتها ٢٠٦ آية، وهي السورة السابعة في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة "ص"، تبدأ السورة بحروف مقطعة " المص "، الآية ٢٠٦ من السورة بها سجدة، وهي سورة مكية.

رابعًا: مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي سورة الأنعام:

قال صاحب البرهان في تناسب سور القرآن: لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [لأنعام: ١٠ – ١١]، ثم قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقال تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فوقعت الإحالة في هذه الآي على الاعتبار بالأمم السالفة وما كان منهم حين كذبوا أنبياءهم وهلاك تلك القرون بتكذيبهم وعتوِّهم وتسلية رسول الله ﷺ بجريان ما جرى له لمن تقدمه من الرسل قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فاستدعت الإحالة والتسلية بسط أخبار الأمم السالفة وهلاك تلك القرون الماضية، والإعلام بصبر الرسل عليهم السلام وتلطفهم في دعائهم.... وتأمل افتتاح سورة الأعراف بقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وختم القصص فيها بقوله: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧]، وتأمَّل افتتاح ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما ممن كفر على علم، وفي ذلك أعظم موعظة)).

خامسًا: مقاصد سورة الأعراف:

سورة الأعراف مهمتها كمهمة السورة المكيَّة وهي تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا، وتقرير البعث، والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة. قال ابن عاشور:" افْتُتِحَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِالتَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ، وَالْوَعْدِ بتيسيره على النبي ﷺ لِيَبْلُغَهُ وَكَانَ افْتِتَاحُهَا كَلَامًا جَامِعًا وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ مِنَ الْمَقَاصِدِ فَهُوَ افْتِتَاحٌ وَارِدٌ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ الْبَيَانِ وَأَكْمَلِهَا شَأْنَ سُوَرِ الْقُرْآنِ. وَتَدُورُ مَقَاصِدُ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى مِحْوَرِ مَقَاصِدِ مِنْهَا: النَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ الشُّرَكَاءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَإِنْذَارُ الْمُشْرِكِينَ عَنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الشِّرْكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَوَصْفُ مَا حَلَّ بِالْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ: مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا سَيَحُلُّ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ. تَذْكِيرُ النَّاسِ بِنِعْمَةِ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَتَمْكِينُ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى هَذَا النَّوْعِ بِخَلْقِ أَصْلِهِ وَتَفْضِيلِهِ. وَمَا نَشَأَ مِنْ عَدَاوَةِ جِنْسِ الشَّيْطَانِ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ. وَتَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ التَّلَبُّسِ بِبَقَايَا مَكْرِ الشَّيْطَانِ مِنْ تَسْوِيلِهِ إِيَّاهُمْ حِرْمَانَ أَنْفُسِهِمُ الطَّيِّبَاتِ، وَمِنَ الْوُقُوعِ فِيمَا يَزُجُّ بِهِمْ فِي الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ. وَوَصْفُ أَهْوَالِ يَوْمَ الْجَزَاءِ لِلْمُجْرِمِينَ وَكَرَامَاتِهِ لِلْمُتَّقِينَ. وَالتَّذْكِيرُ بِالْبَعْثِ وَتَقْرِيبُ دَلِيلِهِ. وَالنَّهْيُ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَصْلَحَهَا اللَّهُ لِفَائِدَةِ الْإِنْسَانِ. وَالتَّذْكِيرُ بِبَدِيعِ مَا أَوْجَدَهُ اللَّهُ لِإِصْلَاحِهَا وَإِحْيَائِهَا. وَالتَّذْكِيرُ بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ وَقْتِ تَكْوِينِ أَصْلِهِ أَنْ يَقْبَلُوا دَعْوَةَ رُسُلِ اللَّهِ إِلَى التَّقْوَى وَالْإِصْلَاحِ. وَأَفَاضَ فِي أَحْوَالِ الرُّسُلِ مَعَ أقوامهم الْمُشْركين، وَمَا لَاقَوْهُ مِنْ عِنَادِهِمْ وَأَذَاهُمْ، وَأَنْذَرَ بِعَدَمِ الِاغْتِرَارِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ النَّاسَ قَبْلَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابَ، إعذاراً لَهُمْ أَنْ يُقْلِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَإِنَّ الْعَذَابَ يَأْتِيهِمْ بَغْتَةً بَعْدَ ذَلِكَ الْإِمْهَالِ. وَأَطَالَ الْقَوْلَ فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام مَعَ فِرْعَوْنَ، وَفِي تَصَرُّفَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى عليه السلام. وَتَخَلَّلَ قِصَّتَهُ بِشَارَةُ اللَّهِ ببعثة محمّد ﷺ وَصِفَةِ أُمَّتِهِ وَفَضْلِ دِينِهِ. ثُمَّ تَخَلَّصَ إِلَى مَوْعِظَةِ الْمُشْرِكِينَ كَيْفَ بَدَّلُوا الْحَنِيفِيَّةَ وَتَقَلَّدُوا الشِّرْكَ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِمَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْآيَاتِ فَوَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَانْسَلَخَ عَنِ الْهُدَى. وَوَصَفَ

حَالَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَوَصَفَ تَكْذِيبَهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَوَصَفَ آلِهَتَهُمْ بِمَا يُنَافِي الإلاهيّة، وَأَنَّ لِلَّهِ الصِّفَاتِ الْحُسْنَى صِفَاتِ الْكَمَالِ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُسْلِمِينَ بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الدَّعْوَةِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ بِذِكْرِهِ سِرًّا وَجَهْرًا وَالْإِقْبَالِ على عِبَادَته.

قال تعالى: ﴿ الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١-٢]

١. تفيد أنَّ الله يفتتح كلامه بما يشاء، ولا معقّب لكلامه.

٢. تفيد بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه البياني وأنَّه من هذه الحروف.

٣. تفيد أن القرآن مغاير في أسلوب خطابه ما درج عليه العرب في كلامها لحكمة ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ وفي ذلك تنبيه للمخاطب لما يليها من كلام، على قول من يقول: هذه الأحرف وأمثالها للتنبيه.

٤. يفيد التنكير في ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ الدالة على تعظيمه، وأنه كتاب عظيم الشأن علي القدر.

٥. فيها: إشارة وتنبيه وبشارة، أنَّ الله متمّ هذا الدين، ومنزل الكتاب كله على قلب رسوله ﷺ، لقوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾ ولم يكتب كله بعد، ولم ينزل كله بعد، ولأنَّها متقدِّمة على غيرها من السور.

٦. قوله تعالى: ﴿ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ تفيد إثبات صفة العلو للعلي الغفّار.

٧. تفيد أنَّ القرآن منزّل من عند الله، ففيها: ردٌّ على المشركين الذي زعموا أنَّه مفترى.

٨. تدلُّ على مكانة القرآن وعلو منزلته.

٩. فيها إثبات رسالته ﷺ.

١٠. تبيِّن مكانة النبي ﷺ وعلوَّ شأنه.

١١. في قوله سبحانه ﴿ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ حصر يُرَدُّ به على مَن يَرُدُّ السُنة، ويكتفي بالقرآن، إذ لا سبيل للوصول للقرآن إلا عن طريقه ﷺ، فمن ردَّ السنة تضمن رده التشكيك في مبلغ القرآن ﷺ.

١٢. فيها تعريض بمدعي النبوة وكذبهم، لقوله:﴿ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ أي وحدك.

١٣. فيها نهي الداعية أن يتحرَّج من شـــيء مما يدعو إليه من الدين وجاء في هذا الكتاب الكريم، أو يتحرَّج من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾.

١٤. تفيد أن التحرج مما جاء في هذا الكتاب يمنع من الإنذار لقوله ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ وهذا واقع – أعاذنا الله –، وما أكثر الدعاة الذين يجاملون الناس، ويتحرَّجون من نصحهم.

١٥. تفيد: أنَّ الحرج منشأه الصدر، لأن منشأ الشيء خلاف محله. وقد أشار للمحل في الآية حرف ﴿ فِي ﴾ الدال على الظرفية المكانية.

١٦. تفيد: أنَّ الصدر محل اليقين والشك.

١٧. تفيد أنَّ في القرآن انشراح الصدور، وزوال الضيق.

١٨. تفيد أنَّ من الناس من يجد حرجاً في صدره من هذا القرآن.

١٩. تشير: إلى أهمية الصدر وكونه وعاء للعلم؛ وعليه: يجب العناية بالصدر، وبسلامته من الأمراض؛ كالحرج المذكور، والغل والحسد.

٢٠. تفيد أنَّ مجيء النهي في قوله: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾ بعد بيان أنَّ القرآن ليس من عند الرسول ﷺ في قوله: ﴿ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ إشارة إلى أنَّ من ينقل كلام الحكيم للناس عليه ألا يسمح لتقديره الشخصي القاصر أن يؤثّر في حماسه لتبليغ الرسالة.

٢١. تفيد: أنَّ النبي ﷺ مأمور ومكلَّف ومبلِّغ عن الله.

٢٢. تفيد: بأنَّه يجب الإيمان بكل أحرف القرآن، ويدخل في نهيه عن الحرج منه، عدم الحرج ولو في حرف، وكأنَّه يقول: لا تجد حرجا منه، ولو في حرف واحد.

٢٣. فيها: وجوب العمل والدعوة إلى كل ما في القرآن، وعدم التحرج من بعض ما فيه؛ والصبر على ذلك؛ لقوله: ﴿ مِّنۡهُ ﴾ للتبعيض. ولو شاء لاكتفى بقوله: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾، أو قال: "فلا تتحرج" – مثلا –.

٢٤. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أنَّ عدم التحرج من القرآن أو شيء منه، سبب في الإقبال عليه واتباعه، والعكس؛ وعلى القول بأنَّ الحرج بمعنى: الشك، تفيد، وبضميمة ما بعدها: أنَّ اليقين في القرآن وبركاته، سبب في اتباعه والعكس. وهذا ظاهر.

٢٥. تفيد: مشروعية نصح الفاضل وتوجيهه، مهما علا شأنه؛ لأنَّه بمجرد نزول القرآن علا شأن محمد ﷺ، فوجهه ونهاه عن الحرج بعد هذا العلوّ والرفعة، لقوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فرفع ذكرك وقدرك ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾.

٢٦. تفيد أنَّ تبليغ الشريعة يحتاج إلى تجرُّد وقوة قلب ورباطة جأش.

٢٧. تشير إلى: الصبر على تبليغ القرآن، وما يلقاه العبد في سبيله.

٢٨. تشير إلى: حاجة الداعي إلى التثبيت والتصبير، والتأكيد على صحة منهجه؛ ليقوى على البلاغ وعدم التَّواني والميل ولو بعض الشيء لكلام المخالف.

٢٩. تفيد: استحباب التنبيه والتوصية للمكلف ببلاغ رسالة هامة؛ فذلك أجدر أن يقوم بالبلاغ حق قيام، ويصبر على ما يجده.

٣٠. تفيد أنَّ الافتتاح بالحديث عن القرآن، وإثبات نزوله لكونه سبب تكذيبهم فهو إنذار للكافرين، وذكرى للمؤمنين، ولذلك جاء في ختام السورة قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّـۧ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]

٣١. تفيد أنَّ في القرآن النَّذارة والبشارة ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣٢. تبيِّن أنَّ أهل الإيمان هم أهل الانتفاع والتَّذكُّر.

٣٣. تفيد: أنَّ النبي ﷺ، لا يهدي أحدًا هداية توفيق؛ لقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ .

٣٤. تدلُّ على اشتمال القرآن على القوة التي تجعل القلوب ترتجف، والنفوس تتراجع عن غيِّها وضلالها لقوله: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ .

٣٥. ترشد إلى الاهتمام بالقرآن، وأنَّ من أهمّ جوانبه "الإنذار والذِّكرى"، وعليه: ففيها تنبيه للذين لا هِمَّة لهم إلا مجرد الاشتغال بتلاوة القرآن وجمع الناس على ذلك، وهجروا الإنذار والتذكير به، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

٣٦. قوله سبحانه:﴿ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ حصر؛ يدلُّ على أنَّ أهل الشكِّ لا حظَّ لهم في ذكرى وموعظة هذا الكتاب العزيز.

٣٧. تفيد: أنَّ القرآن حجَّة لك أو عليك؛ لقوله: ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ تذكِّرهم فتقيم عليهم الحجَّة بالإنذار، ولأهل الإيمان ذكرى والذكرى تنفعهم.

٣٨. فيها: شرف المؤمنين، وكرامتهم على ربهم؛ حيث خصَّهم بالذِّكر.

٣٩. فيها: أنَّ العمل بالتذكرة من صفات المؤمنين.

٤٠. تفيد: أنَّ القرآن، مشتمل على الوعد والوعيد.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] .

٤١. مناسبة هذه الآية لسابقتها من حيث إن المنتفع بالنَّذارة والذِّكرى حقّاً هو المستجيب للأمر ﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾ موالياً بذلك لله ورسوله، ومن لم يتبع ما جاء في الوحي فهو موالٍ لغيرهما وإن ادعى ذلك، والله أعلم.

٤٢. فيها: هيمنة الله واستعلاؤه على خلقه، وهذا يؤخذ من فعل الأمر ﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾.

٤٣. تفيد أنَّ القرآن منزَّل غير مخلوق.

٤٤. تفيد اتِّباع هدي القرآن والبعد كل البعد عن اتِّباع أهل البدع والأهواء.

٤٥. فيها: أنَّ الاتِّباع ينافي الابتداع.

٤٦. تفيد خطورة الابتداع واتَّباع المناهج المخالفة للكتاب والسنة حيث أمر الله تعالى باتِّباعهما ونهى من اتباع غيرهما.

٤٧. تفيد: أنَّ المتفرِّد بالخلق والملك والتدبير، هو المتفرِّد بالاتِّباع والطَّاعة؛ ولذا آثر ذكر الربوبية في قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾.

٤٨. فيها: حاجة الناس إلى توجيه ربهم ومعبودهم؛ وعليه.

٤٩. تفيد: تعريضاً بمعبودات المشركين، وأنَّها لا توجه بشيء، كما قال تعالى﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

٥٠. فيها: النَّهي عن التشريع من دون الله، والنَّهي عن اتباع التشريعات التي تخالف أمره.

٥١. تفيد: وجوب تعلُّم كتاب الله، لتحصل المتابعة.

٥٢. تفيد: استحباب تلطف ولي الأمر عند أمره، وكأن يقول لولده: أطعني فأنا أبوك – مثلا -. ولو شاء لاكتفى بقوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم ﴾ ومعلوم أنَّ المنزَّل من عند الله قطعاً؛ لكنه قال: ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾.

٥٣. تبيِّن فضل هذه الأمَّة وكرامتها على سائر الأمم لقوله ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم ﴾ .

٥٤. فيها أنَّ الاعتصام بالهدى الإلهي يقي من الزيغ والضَّلال والشِّرك.

٥٥. تفيد الترغيب في اتباع القرآن الكريم حيث أمر الله باتباعه، وأضاف الخطاب إلى ربوبيته، وأنَّه عطيَّة خاصَّة منه إلينا.

٥٦. فيها الأمر باتِّباع القرآن في كل ما جاء به في كل وقت وحال.

٥٧. تبيِّن رحمة الله تعالى بعباده وكمال علمه جلَّ وعلا.

٥٨. فيها أنَّ اتِّباع الوحي الرباني يستلزم حضور القلب وبصيرته، حيث إن المتبع لا بد له من التفريق بين الوحي الحق وما عداه من الباطل، مع كثرة وجوه الباطل.

٥٩. الأمر بصيغة الجمع فيه الحث على تكاتف المتَّبعين للحقِّ لكونهم قلَّة أمام الجم الغفير من أتباع الباطل.

٦٠. تفيد أنَّ القرآن منهج حياة جاء ليقود الحياة بهديه ونوره، وليس فقط آيات تتلى.

٦١. الآية فيها أمر يتبعه نهي؛ وهذا يفيد أنَّ امتثال الأوامر يلتزم منه اجتناب النواهي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال تعالى:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ فأمر باتباع ما أنزل ونهى عما يضاد ذلك وهو اتباع أولياء من دونه؛ فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر ولهذا قال: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال العلماء: من لم يكن متبعا سبيلهم كان متبعا غير سبيلهم فاستدلوا بذلك على أنَّ اتِّباع سبيلهم واجب فليس لأحد أن يخرج عما اجمعوا عليه".

مجموع الفتاوى (١٧٣/٧).

٦٢. تفيد شرف ما أنزله الله من الكتاب والحكمة وأنَّ فيه الكفاية لمن أراد الهداية.

٦٣. فيها: تشريف للبشر، حيث أنزل عليهم كلامه وكما قال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

٦٤. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ تفيد تعدد طرق الضَّلال، وتوحيد طريق الحق.

٦٥. تفيد: أهمية التأكيد على الأمر، بالنهي عن ضده؛ في مقام واحد.

٦٦. تفيد أنَّ قضية توحيد منهج التلقِّي أساس في الإصلاح، وتوحيد وجمع كلمة الأمَّة.

٦٧. تفيد كثرة المخالفين لهذا الأمر الربَّاني الواضح المهم.

٦٨. فيها أنَّ الاسترسال في اتباع الهوى وقلة التذكر كثيرا ما يؤدي بالمرء إلى الضَّلال.

٦٩. فيها التلطُّف بالمخاطبين ليقبلوا على ما يدعون إليه، مأخذ هذا نسبة الإنزال إليهم ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾، وإضافة (رب) إلى المخاطبين ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٧٠. تفيد أنَّ كل من سلك طريقاً مخالفاً للكتاب والسنة كان من أوليائه.

٧١. تفيد ترك الآراء مع نصوص الوحي.

٧٢. تفيد: أنَّ الاتِّباع ولاية.

٧٣. قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تفيد الأمر بالتَّذكر والاعتبار والرجوع إلى الحقِّ، والنهي عن الغفلة والإعراض.

٧٤. فيها: أهمية العمل بالتنزيل، وأنَّ اتِّباعه يدلُّ على التذكُّر والإيمان والتقوى.

٧٥. تفيد: وجوب الاتِّعاظ والاعتبار بالقرآن، لقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

٧٦. تفيد: أنَّ أكثر الناس خارجون عن الاتباع لقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

٧٧. تفيد قلَّة المتذكِّرين، مما يدلُّ على كثرة الغافلين، وعليه فلا تغتر بكثرة الهالكين، وتمسك بالحقِّ المبين وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]

٧٨. فيها: مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ ففيها كأنه يريد: أن يقول: أهلكناها لما أعرضوا ولم يتبعوا، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

٧٩. فيها: أنَّ المعرضـــين والمعذبين كثر، لقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ للتكثير. وهذا يدلك على قلة المتَّعظين عبر القرون، فتعتبر الآية بياناً وتفصيلاً لما سبقها من قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، أي تتعظون.

٨٠. تفيد وبضميمة ما قبلها: أنَّ اتِّباع القرآن أمن من بأس الله.

٨١. فيها أيضا: أنَّ الإعراض سبب في الهلاك.

٨٢. فيها أخذ العبرة والعظة بمصارع الغابرين وهلاك المكذِّبين.

٨٣. فيها خطورة مخالفة أمر الله ﷻ وتكذيب رسله.

٨٤. فيها أنَّ هلاك المكذِّبين، نصر للرسل وأتباعهم، وإذهاباً لغيظهم وشفاء لصدورهم ممن فتنهم في دينهم.

٨٥. تفيد هوان الخلق على الله تعالى إذا عصوه.

٨٦. تفيد أنَّ أشـــدَّ العذاب عند ما يكون إهلاكاً للقرية يؤدي لإهلاك أهلها ودمار ما فيها من زرع وضرع وبنيان.

٨٧. تفيد أنَّه لا يحل هلاك بقوم إلا بإذن الله وأمره وبسبب من العباد.

٨٨. فيها التحذير من الذنوب والمعاصي التي تسبب الهلاك والدمار وأعظمها الشرك.

٨٩. فيها عدل الكريم الرحمن حيث لا يوقع عذابه وهلكته إلا بظلم أهل القرى وعنادهم وعدم أوبتهم.

٩٠. فيها تهويل العذاب المرســل على هؤلاء من جهة إضــافته إلى الله تعالى أولاً ومن جهة التعبير بنون العظمة ثانياً.

٩١. قوله ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ فيها عظمة حكم الله وشدة إهلاكه لورود (نا) التعظيم في الفعلين.

٩٢. تفيد أنَّ العذاب يأتي للغافلين في ســاعات الغفلة، والعاقل من اتعظ بغيره وعمل لما بعد الموت.

٩٣. فيها وقوع الإهلاك من الله حقيقة على الظالمين، خلافاً لمن تأوَّله بإرادة الإهلاك من المتكلمين.

٩٤. قوله ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ فيها أنَّ العذاب إذا نزل يعمّ الصالح والطالح كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، يعني العذاب الدنيوي، ثم يبعثون يوم القيامة على نيّاتهم وأعمالهم.

٩٥. فيها: أنَّ الله لا يعذِّب أحداً بسابق علمه فيه، لكونه يعلم ما سيكون من العباد. ﴿ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ فذكر أنَّه أهلكها أولاً، ثم نزل بها بأسه ثانية، هو من قبيل قوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، وهذا يدلك على أنَّ الله لا يعذِّب أحداً بسابق علمه فيه لكمال عدله – سبحانه –. وقيل: ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ هو بيان قوله ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلاً من الآخر.

٩٦. فيها خطورة عقوبة الخذلان عن الطَّاعة ويحل بسببه من وقوع البأس.

٩٧. فيها شدة حاجة العبد لربه في كل حال، وعجز العبد عن تحقيق مصالحه العاجلة والآجلة إن حرم من التوفيق.

٩٨. فيها قدرة الله تعالى وعظمته حيث كل ما يقع على الأرض إما بتوفيقه واما بسبب خذلانه.

٩٩. فيها بيان تخصيص وقتي العذاب وهما وقتا الراحة والنوم، لأنَّ الأخذ فيهما أشد ترويعاً، وأقوى ألماً، وأعظم نكاية ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾.

١٠٠. فيها أنَّ اختيار الوقتين زاد من شدة العذاب والبعد عن الهروب منه.

١٠١. ذكر (هم) من غير واو أشار إلى أنَّ المعنى بياتاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون.

١٠٢. أفاد الحذف في الآية إتيان العذاب في وقتين مختلفين وهم على حالة واحدة وهي النوم وراحة الجسد، وفي ذلك: براعة القرآن وقمّة بلاغته في الذكر وفي الحذف على حد سواء. وأنَّ القرآن يذكر اللفظ المغني عن غيره، ويضيف معنى زائداً مراداً دون الزيادة في الجملة، ولذلك كان شاملاً لكل شيء مع محدودية سوره وآياته وكلماته.

١٠٣. في اختيار الوقتين وحال أهل القرية كذلك إشارة إلى استحكام الغفلة التي تورث بلادة القلب والبدن.

١٠٤. فيها إشارة إلى أنَّ غفلتهم كانت مستمرة حتى شملت الليل والنهار.

١٠٥. في الآية إشارة إلى أنَّ غفلة النهار أشنع من غفلة الليل، فالنهار رمز لوضوح الحقِّ وتجليه للناظر، وظلمة الليل رمز لخفاء الحقِّ أو عدم وجود الرسالة. ولذلك فإنَّ الله وعد بأن لا ينزل العذاب على قوم حتى يرسل رسولا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، ويظهر ذلك من ذكر الليل، وحذف عملهم فيه، وحذف النهار، وذكر عملهم فيه فكان في التصريح بنوم النهار مع حذف نوم الليل ما يدل على أنَّ الغفلة حين سطوع شمس الحقِّ أسوأ وأبشع من الغفلة حينما يغشى ليل الباطل وتستحكم ظلمة الجهل.

١٠٦. فيها أنَّ القيلولة من الفطرة وفي الحديث الحسن: "قيلوا فإنَّ الشياطين لا تقيل" وهو مخرج في "الصحيحة" (١٦٤٧). والقيلولة هي نوم نصف النهار.

١٠٧. تفيد: أنَّ القيلولة، سنة وعادة قديمة؛ وتصديقه: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥]، يعني: وقت القائلة.

١٠٨. فيها أنَّه قد اجتمعت الغفلتان عند أهل القرية بقلوبهم وأجسادهم.

١٠٩. تفيد: تغليظ النهي عن أذيَّة المسلمين في هذين الوقتين خصوصاً؛ لأنَّ الله خصَّهما لكونهما أشد وأفظع على النفس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]

١١٠. قوله ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ فيها أنَّ القول المجرَّد من غير مصاحبة النيَّة له لا يفيد، بل هو دعوى، وصاحب الدعوى ولو جيء له بالتأكيدات المغلظة (إنَّا، كنَّا) فلا تغير من زيفه شيئا.

١١١. تفيد أنَّ الدعوى تأتي بمعنى الدعاء وبمعنى الادعاء؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي دعاؤهم.

١١٢. فيها: أنَّ التوبة لا تكون إلا في زمن المهلة أما عند معاينة الموت ومشاهدة العذاب فلا تنفع شيئا ولا تجدي نفعا ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾.

١١٣. فيها أنَّ الإنسان إذا جاءه الموت تبين له الحق واعترف بظلمه، لكنَّه لا ينفع لكونه إيماناً اضطرارياً.

١١٤. تفيد تعظيم الباري جل وعلا، وأنَّ بأسه عظيم؛ ولا يردُّ عن القوم المجرمين.

١١٥. قوله ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فيها: تحسُّر القوم وندمهم حال المعاينة.

١١٦. فيها: عظم الموقف وشدَّته حيث لم يكن أمام أولئك القوم المفرِّطين من حيلة إلا الاعتراف بالذنب، والإقرار بالظلم.

١١٧. تفيد: أنَّ الإعراض عن القرآن ظلم للنفس.

١١٨. تفيد أنَّ الاعتراف بالظلم قبل حلول العذاب، ينجي وينفع.

١١٩. فيها خبث طويَّة الكفار، واستمرارهم في الكذب حتى بعد معاينة العذاب.

١٢٠. فيها أنَّ تواطؤ الظَّالمين على قول أو أمر لا يعطيه قيمة، بل يزيد من شناعته وقبحه.

١٢١. تفيد النَّهي عن الظُّلم، وردّ المظالم قبل فوات الأوان؛ وفي الحديث: "من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلله منها اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم..." متفق عليه.

١٢٢. تفيد أنَّ من أعظم أسباب النجاة الاعتراف بالخطأ والذنب في الوقت المناسب.

١٢٣. تفيد هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم». قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» قال: قلت لعبد الله كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[الأعراف: ٥]. ذكره ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢٤. تفيد أنَّه ينبغي للعبد أن يقرن اعترافه بطلب العفو من الله تعالى والاقلاع عمَّا هو عليه من الذنب فوراً؛ فهؤلاء الظلمة اعترفوا بظلمهم ولكن لم يطلب العفو من الله تعالى؛ ولم يقلعوا من ظلمهم حالاً؛ ولهذا عاقبهم الله تعالى بظلمهم.

١٢٥. تفيد أنَّ القول المجرَّد وغير المقرون بالندم والتوبة لا يعتد به؛ ولا اعتبار له.

١٢٦. تفيد أنَّ الله ﷻ قد لا يستجيب دعاء الظلمة الموغلين في الظلم والعدوان؛ وان أتوا ببعض موجبات إجابة الدعاء؛ وقد جاء في الحديث: (ثم ذكر الرجل يطيل السفر؛ أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذّي بالحرام، فأنّى يُستجاب له؟). رواه مسلم.

١٢٧. فيها: إلزام العرب والعجم بصحة وصدق نبوة محمد ﷺ، حيث أخبرهم عن إهلاك الله لقرى كثيرة، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]

١٢٨. فيها مناسبة لما سبق؛ وهي أنه سبحانه وتعالى حين أنزل القرآن على النبي ﷺ وأمره بالبلاغ، وأمر قومه باتباعه، وأخبر أنَّ الإعراض سبب إهلاك الأمم؛ ذكر بعدها أنَّه سيسأل الأنبياء عن الإبلاغ، وأممهم عن الاتِّباع؛ كما قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي عن القرآن.

١٢٩. فيها دلالة على جواز الحلف على غير ما يستحلف عليه؛ لقوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ﴾ واللام للقسم.

١٣٠. قوله ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ﴾ فيها تعظيم الله.

١٣١. فيها ما يدل على تأكيد الحساب.

١٣٢. فيها إثبات وقوع يوم البعث والنشور حيث السؤال والحساب والجزاء.

١٣٣. فيها: هيمنة الله وسلطانه على خلقه، حيث سيسأل الأنبياء وأممهم.

١٣٤. فيها: السؤال الدقيق من الكبير المتعال في اليوم العظيم الرَّهيب لكل الأمم عمَّا أجابوا به رسله فيما أرسلهم به ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥]، وسؤال المرسلين عن تبليغهم الرسالة.

١٣٥. قوله ﴿ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فيها: الإيمان بالرسالات.

١٣٦. فيها: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ يُحَاسَبُونَ. أفاده القرطبي.

١٣٧. فيها دخول أهل الفترة في المرسل إليهم، لأنَّهم يمتحنون يوم القيامة لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]

١٣٨. فيها: بيان عدل الله، حيث سيسأل هؤلاء قبل أن يدخل من استحق دخول النار منهم.

١٣٩. تفيد: وجوب اتِّباع ما أنزل الله؛ للنجاة من السؤال، والفوز بدار القرار.

١٤٠. فيها إشارة إلى الاستعداد ليوم المعاد، وأن يعد الإنسان للسؤال جوابا.

١٤١. قوله ﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تفيد أنَّ الأنبياء يسألون؛ فكيف بغيرهم؟ وفي الحديث: ((يجاء بنوحٍ يومَ القيامةِ، فيقال له: هل بلَّغتَ؟ فيقول: نعم يا ربِّ، فتُسألُ أُمَّتُه: هل بلَّغكم، فيقولون: ما جاءنا من نذيرٍ، فيقول: من شهودُك، فيقول: محمدٌ وأُمَّتُه، فيُجاءُ بكم فتشهدون، ثم قرأ رسولُ اللهِ ﷺ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. رواه البخاري.

١٤٢. فيها أنَّ اليوم الآخر مواقف مختلفة، ففيها مواقف يُسأل فيها الجميع كما هنا. وفيها مواقف لا يسأل فيها أحد كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]، وقيل في الجمع بينهما إنَّ السؤال المنفي عن الذنب لا عن مطلق السؤال.

١٤٣. فيها أنَّ السؤال سؤالان، سؤال الأمم عن إجابتهم الرسل سؤال تقريع وتوبيخ لمن لم يجب، وسؤال تقرير لمن أجاب وليس سؤال استعلام. والسؤال الآخر سؤال الرسل سؤال تقرير عن الإبلاغ لإقامة الحجة على المكذِّبين.

١٤٤. فيها: مشروعية السؤال، مع وجود العلم السابق بالجواب، بل قد يتأكد ذلك لقطع الأعذار، ووجهه: أنَّ الله سيسأل هؤلاء وهو أعلم بهم وبقيلهم.

١٤٥. فيها إشارة إلى الأمر باتباع النبي ﷺ؛ لأنَّ الإنسان يسأل عنه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا اتفق أهل العلم (أهل الكتاب والسنة) على أنَّ كل شخص سوى الرسول ﷺ فإنَّه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فإنَّه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر فإنَّه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. (منهاج السنة النبوية ٦/١٩-١٩١)

١٤٦. فيها إشارة إلى بعض أسئلة القبر؛ قال أبو العالية: هما خصلتان يسأل عنهما كل أحد: يقال مَن كنت تعبد؟ وبماذا أجبت المرسلين؟

١٤٧. فيها: دقة التعبير القرآني، حيث بدأ بمن ﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، وثنى بـ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، لأمور:

أولها: لكرامة الرسل على الله، ولأنَّهم أجلّ وأطوع لربِّهم.

ثانيها: أنَّ الأنبياء جميعاً في الجنَّة.

ثالثها: أنَّهم لا يسألون في قبورهم (فيه خلاف).

رابعها: أنَّ أتباع الأنبياء قلَّة.

وخامسها: أنَّ الإعراض صدر من المرسل إليهم.

١٤٨. قيل سؤال الأنبياء بمعنى يسألون هل أجبتم أم لا؛ وتصديقه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]

١٤٩. تفيد: أنَّ كلَّ رسول نبي.

١٥٠. تفيد: أنَّ الله يتكلم بما شاء كيف شاء.

١٥١. فيها أنَّ الرسل عباد لله سيسألهم عمَّا كلَّفهم به، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٧]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسؤال الذين أرسل إليهم سؤال عن بلوغ الرسالة وهو سؤال تقريع في ذلك المحشر، وسؤال المرسلين عن تبليغهم الرسالة سؤال إرهاب لأممهم لأنَّهم إذا سمعوا شهادة رسلهم عليهم أيقنوا بأنَّهم مسوقون إلى العذاب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]

١٥٢. فيها تعلُّق بالآية التي قبلها ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ [الأعراف: ٦]، ووجهه أنَّه لم يكن السؤال عن عدم علم، بل عن علم تام، لأنَّ السؤال المجرَّد، لا ينمُّ عن علم؛ فأراد – جل وعلا – بيان أنَّ سؤاله لهم كان عن علم بحالهم؛ وكأنَّه يقول: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، ونحن أعلم بهم جميعا، وبدليل أننا سنقصُّ عليهم بعلم؛ لأننا لم نغب عنهم ولو لبرهة.

١٥٣. تفيد الآية مع ما قبلها: أن لا يعذِّب أحد أو يعاقِب إلا بذنب، وأنَّ الذنب لا يثبت إلا ببرهان ودليل.

١٥٤. تفيد إحصاء أعمال العباد ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

١٥٥. فيها التحذير والتذكير حيث إنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المطلع على كلِّ شيء والعالم بكلِّ شيء، والمحصي لكلِّ شيء.

١٥٦. قوله ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ تفيد إثبات صفة العلم لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وتنزيهه عن صفات النقص.

١٥٧. تفيد فضل العلم والثناء على من يتكلم بعلم بخلاف من يخوض ويتكلم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

١٥٨. فيها عدالة الله ﷻ حيث يجازي العباد بعلمه على أعمالهم المحصاة عليهم.

١٥٩. فيها عظيم علمه ﷻ حيث لا يخفى عليه خافية من أعمالهم جليلها وحقيرها، قليلها وكثيرها، صغيرها وكبيرها. قال تعالى: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، قال ابن عاشور: تنكيرُ علم في قوله: ﴿ بِعِلۡمٖۖ ﴾ أي علم عظيم، فإنّ تنوين (عِلم) للتعظيم، وكمالُ العلم إنّما يظهر في العلم بالأمور الكثيرة، وزاد ذلك بياناً قولُه: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الذي هو بمعنى: لا يعزب عن علمنا شيء يغيب عنّا ونغيب عنه.

١٦٠. فيها ردٌّ صريح على المعتزلة النّافين صفات المعاني، القائلين: إنَّه تعالى عالم بذاته، لا بصفة قامت بذاته، هي العلم، وهكذا في قولهم: قادر مريد، حي سميع، بصير متكلم، فإنَّه هنا أثبت لنفسه صفة العلم بقوله: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٦]، وهي أدلَّة قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم الذي لا يشك عاقل في بطلانه وتناقضه. أضواء البيان.

١٦١. فيها أنَّه سبحانه سيخبرهم بما عملوا بأدقّ التفاصيل وبنواياهم وخلجات صدورهم ودوافعهم ﴿ بِعِلۡمٖ ﴾.

١٦٢. تفيد: النَّهي عن القول بالظنِّ، وأنَّ العبد إذا قال، فليقل على علم ويقين؛ لقوله: ﴿بِعِلۡمٖ﴾ ألا ترى أنَّه أكَّد بمؤكَّدات، "بلام القسم ونون التوكيد"؟

١٦٣. فيها تعريض بالذين يفترون الكذب ويقولون على الله بغير علم، فالله سبحانه يقصُّ وبعلم.

١٦٤. ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ فيها دليل على ألوهيته سبحانه، بعلمه الكامل بجميع أفعال الطائعين والعاصين، حتى أنَّه يقصُّ عليهم من غير غياب لشيء من تلك الأفعال عنه، ومن كانت تلك صفته استحق العبودية وحده سبحانه، إذ لا ضياع لعمل عامل.

١٦٥. فيها إثبات اسم (الشهيد) وذلك بنفي ما يقابله ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ .

١٦٦. فيها إثبات مرتبة الإحسان: فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

١٦٧. فيها أنَّ من أعظم أسباب الجرأة على الذنوب غياب المراقبة الذاتية.

١٦٨. فيها الحثّ على مراقبة الله ﷻ في كل زمان ومكان، فإنه عز في علاه لا يغيب ولن يغيب.

١٦٩. قوله ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ تهديد للذين إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها.

١٧٠. فيها إثبات صفة المعيَّة، كما قال السلف: "الله في السماء وعلمه في كل مكان".

١٧١. فيها: إعجاز بلاغي، حيث أخبر أنَّه سيقصُّ عليهم بعلم وعدم غياب عنهم؛ لأنَّه لا يلزم من العلم الحضور والمشاهدة؛ فدفع إيهام أنَّ العلم واصل له - سبحانه - من طرف آخر كالكتبة الحفظة؛ بل هو بنفسه قد شهد أعمالهم وأبصرها؛ وتصديقه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، فجمع بين شاهدته، وأنه مكتوب عنده.

١٧٢. فيها: تعريض بمعبودات المشركين، وأنَّها تغيب؛ وتصديقه: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

[غافر: ٧٣ - ٧٤].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ - ٩]

١٧٣. في مناسبة الآية لما قبلها: أنَّه لما سبق ذكر أهوال يوم القيامة وما فيها من سؤال وحساب، جاء في هذه الآية ذكر وزن الأعمال في ذلك اليوم؛ ليوفي الناس أعمالهم خيرها وشرّها بالعدل.

١٧٤. تفيد أنَّ الميزان حقٌّ كائن لا محالة، وما بعده نعيم دائم أو عذاب مقيم.

١٧٥. تفيد إثبات وزن الأعمال، والرد على المعتزلة في جحدهم للميزان الحقيقي؛ فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ .

١٧٦. فيها إثبات البعث والحساب والميزان، وكلها تدخل في الإيمان باليوم الآخر.

١٧٧. تفيد الردَّ على الجبرية؛ لأنَّ الله ﷻ نسب الموازين إلى أصحابها فقال: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ .

١٧٨. فيها أنَّ الأعمال من الإيمان؛ وأنَّها من أسباب الفلاح والنجاة يوم القيامة، وفي هذا رد على المرجئة.

١٧٩. فيها أنَّ الإنسان مجازى بعمله.

١٨٠. تفيد أنَّ الوزن في ذلك اليوم مقصور على الحق ولا يتجاوز الوزن في ذلك.

١٨١. تفيد أنَّ جزاء الأعمال لا يبين إلا في الآخرة بعد أن توزن.

١٨٢. فيها: عظم شأن الحقِّ وإحقاقه، والحكم به، والعكس.

١٨٣. فيها الحث على القسط والعدل.

١٨٤. فيها أنَّ الدنيا عمل، وفي الآخرة جزاء.

١٨٥. فيها أنَّ الإيمان يثقل الموازين والكفر عكس ذلك.

١٨٦. فيها أنَّ الفوز والنجاة غدًا في الآخرة؛ إنَّما هو بكسب المسلم من الأعمال الصالحة في الدنيا.

١٨٧. المقابلة بين: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ﴾، للترغيب والترهيب، والتحضيض والتحريض على فعل الحسنات وتكثيرها، واجتناب السيئات وتقليلها.

١٨٨. تفيد أنَّ الفلاح والخسران مبنيَّان على الكسب في الدنيا فمن كسب خيراً نجا، ومن كسب شراً هلك.

١٨٩. تفيد عظمة ما يناله أهل الإيمان في الآخرة، حيث يتحقق لهم الفلاح الذي هو الظفر بكل مطلوب، والنجاة من كل مرهوب.

١٩٠. تفيد بيان حال المؤمنين الصّالحين المستكثرين من الصالحات، وحال المكذِّبين المشركين عديمي الصّالحات.

١٩١. فيها: أهمية الفلاح، والسعي إليه؛ ألا ترى أنَّ المؤذِّن يناديك قائلا: "حيَّ على الفلاح"، خمس مرات في اليوم والليلة؟

١٩٢. فيها: أنَّ الربح الحقيقي، يثقل الميزان؛ ولا يثقل إلا باتباع القرآن المنزل؛ وعليه: ففيها تلميح بما سبق، وكأنَّه يقول: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم ﴾ [الأعراف: ٣]، ليثقل ميزان حسناتكم يوم القيامة ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الأعراف: ٣]، فيخف ميزانكم فتطرحون في الهاويَّة؛ كما قال: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ [القارعة: ٦ – ٩].

١٩٣. قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ فيها: عظم شأن النفس، وأنَّها أمانة يجب الحفاظ عليها، بعدم تعريضها للخسران؛ ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والعمل الصالح.

١٩٤. تبيّن أعظم وأشد خسارة هو أن يخسر الإنسان نفسه يوم القيامة.

١٩٥. فيها: خطر الخسران، والسعي إليه؛ ألا ترى أنَّ الملائكة يدعون للمؤمنين قائلين: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٩].

١٩٦. تفيد كمال عدل الله تعالى فالخاسر يوم القيامة إنَّما هو بسبب ظلمه.

١٩٧. تفيد أنَّ الأعمال السيئة لا قيمة لها ولا وزن وإن كثرت. روي عن أبي بكر أنَّه قال: إنَّما ثقل ميزان من ثقل ميزانه لأنَّه وضع فيه الحقّ، وحقَّ لميزان يكون فيه الحقّ أن يكون ثقيلا. وإنَّما خفَّ ميزان من خفَّ ميزانه لأنَّه وضع فيه الباطل، وحقَّ لميزان يكون فيه الباطل أن يكون خفيفا.

١٩٨. تفيد أنَّ أعظم الخسران هو خسران النفس، وذلك يكون بعدم الفوز برضوان الله تعالى، وعدم أخذه بأسباب النجاة.

١٩٩. تفيد التشجيع على الطاعة وعدم الاستهانة بالحسنات، والتشجيع على ترك السيئات، وعدم الاستهانة بالصغائر.

٢٠٠. في قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ يدخل فيه: الظلم بمعنى الشرك في التوحيد، وظلم المعاصي والتقصير في الأحكام.

٢٠١. تفيد أنَّ التكذيب بآيات الله وعدم الانقياد لها من أعظم أنواع الظلم الذي يستحق به العبد العذاب يوم القيامة.

٢٠٢. تفيد أنَّ الخسران الكامل مرتبط بالموت على التكذيب بآيات الله، يفيد ذلك الفعل المضارع الذي يدلُّ على الاستمرارية.

٢٠٣. تفيد كمال عدل الله الذي لا يظلم عنده أحد، وكمال علمه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠].

٢٠٤. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنَّه في التَّعقيبِ بهذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ على آيةِ: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤]، إيماءٌ إلى أنَّ إهمالَ شُكْرِ النِّعمةِ يُعرِّضُ صاحِبَها لِزَوالِها، وتصديق ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨].

٢٠٥. تفيد: أهميَّة التوكيد في الخطاب؛ لقوله: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ ﴾ فأكَّد بـ"اللام وقد". وأيضا في قوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ فأكَّد بـ"ما" تأكيدًا للقلَّة؛ فلو شاء لقال: "قليل شكركم" – مثلا.

٢٠٦. فيها أنَّ التمكين في الأرض من نعم الله علي عباده بما يسَّر عليهم، وبما سخَّره لهم من مخلوقاته فالعاقل من يستخدم طاقاته لما ينفعه في الدنيا والآخرة قبل زوالها كما قال ﷺ : (خذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) رواه البخاري.

٢٠٧. فيها امتنان الله ﷻ على عباده بتسخير الأرض لهم، والسعي في مناكبها.

٢٠٨. فيها: تعظيم الله تعالى، ويؤخذ من نون الجمع ﴿ مَكَّنَّـٰكُمْ ﴾ .

٢٠٩. تفيد: أنَّ كل ما في يد ابن آدم، إنَّما هو عطاء الله وتمكينه.

٢١٠. فيها: بيان نعم الله وفضله على عباده؛ حيث جعل لهم في الأرض مكانًا وقراراً.

٢١١. فيها: إشارة إلى ضعف الإنسان، وأنّه لا قدرة له على التمكين إلا بحول ربه ومعبوده؛ لقوله: ﴿مَكَّنَّكُمۡ﴾.

٢١٢. تفيد أنَّ الله جعل لنا قدرة مكّننا بها على أمور الأرض، وخوَّلنا التّصـرف في مخلوقاته، وذلك بما أودع الله في البشـر من قوّة العقل والتفكير التي أهَّلته لسـيادة هذا العالم والتَّغلُّب على مصاعبه.

٢١٣. تفيد أنَّ الله استخلف الإنسان في هذه الأرض، ومكَّنه بكل أدوات الاستخلاف التي تحقق له السعادة والعيش الكريم.

٢١٤. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ فيها امتنان ثانٍ بما هيَّأ الله لعباده في الأرض من أسباب المعيشة التي يتعيَّش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة.

٢١٥. تفيد أنَّ كل بني آدم مرزوق في أيّ قطرٍ كان، وفي أيّ مصـرٍ نزل، فمِن ضـعْف اليقين اعتقادُ فقْدِ المعاش، أو حرمانِهِ إنْ بقي في مكان دون مكان.

٢١٦. فيها امتنان الله على عباده بأن نوّع لهم معايشهم، كلٌّ يأخذ ما يناسبه.

٢١٧. فيها عظيم خلق الله في أرضه من تنوُّع، وكثرة للمعايش.

٢١٨. فيها التوكل على الله ﷻ وحده في حصـــول المعايش فإنَّها بيده وهو من جعلها في الأرض، والسعي مع التوكل على الله.

٢١٩. فيها أنَّ كل خير يناله الإنسان في الأرض مصدره من الله سبحانه.

٢٢٠. فيها لفت الانتباه إلى أنَّ النعم هي معايش لبلاغ إلى حين، وقد تكفَّل الله لك بها، فلا تجعلها جُل همك، وابلغ بها ما كُلّفت به، واشكرها.

٢٢١. تفيد التنبيه على طلب المعاش الذي بثَّه الله في الأرض، وجعله للخلق.

٢٢٢. تفيد الامتنان بكثرة أنواع النعم التي يكون بها المعاش من نبات شـــتى، وأنعام، وطير وسمك ومياه صافية، وأشربة مختلفة الطعوم والروائح وغير ذلك.

٢٢٣. تفيد أنَّ خالق الكون واحد ودليله استمرار الحياة على هذا الكوكب سلسة قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٢٢٤. قولُه: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ تذييلٌ مَسوقٌ لِبيانِ سوءِ حالِ المخاطَبينَ، وتَحذيرِهم.

٢٢٥. تفيد: أنَّ الغاية من التمكين، عبادة الله وحده والعمل بما أنزل؛ ولذا من عاش في هذه الأرض، ولم يعبد الله ويشكره، كان كالأنعام بل هو أضلّ.

٢٢٦. فيها حلم الله وفضله على عباده إذ لم يقطع عليهم نعمه بقلَّة شكرهم.

٢٢٧. تفيد: حرمة مضارَّة الناس في أرزاقهم ومعايشهم؛ لأنَّ الحياة لا تصلح إلا بها.

٢٢٨. فيها: تسلية لمن أسدى المعروف، ثم كُفر.

٢٢٩. تفيد مع ما قبلها خفَّة الميزان بقلَّة الشكر، وثقله بكثرة الشكر؛ وفي الحديث: "الحمد لله تملأ الميزان". رواه مسلم.

٢٣٠. فيها أنَّ التمكين في الأرض لم يكن إلا بمنَّة من الله، فاشكره ولا تستكبر.

٢٣١. فيها أنَّ التمكين في الأرض منَّة من الله تستحق الشكر بالطاعة، لا الكفر بالإفساد.

٢٣٢. فيها أنَّ التمكين في الأرض لأجل إقامة التوحيد.

٢٣٣. تفيد أنَّ الثبات والزيادة سبيلهما الشكر.

٢٣٤. تفيد أنَّ النعم الكثيرة تقتضي شكراً كثيراً، ولكن كان الشكور من العباد قليل وهو الواقع، فشكركم قليل لا يناسب كثرتها وحسنها وتعدد منافعها.

٢٣٥. تفيد أنَّ الشكر يكون بتذكر نعم الله، وتسخيرها في طاعته، والاستمرار على ذلك.

٢٣٦. فيها أهمية الشكر، لأنَّ بالشكر يتحصل الإنسان على المزيد من خيرات الدنيا التي لم تكن بالماديات فقط، كنعمة التوفيق للعبادة والاهتداء بأمره، والصحة، والعافية، والعلم فكلها نعم تستحق الشكر، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها (يا عائشة: أكرمي جوار النعم فلما نفرت من أهل بيت وكادت أن ترجع إليهم) إرواء الغليل ٢١/٧، قال الشيخ الألباني: وهذا إسناد رجاله ثقات غير العباس بن منصور الفرندابادي.

٢٣٧. تفيد وجوب شكر المنعم على نعمه الكثيرة التي لا تحصى، والشكر يكون بالإيمان والطاعة لله ورسوله.

٢٣٨. تفيد سعة رحمة الله بعباده حيث استمرت عليهم نعمه مع قلة شكرهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١]

٢٣٩. فيها امتنان الله تعالى على عباده بإحسان الخلق والتصوير.

٢٤٠. فيها تعظيم الرب جل وعلا؛ لقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾

٢٤١. فيها: تعريض بالمصوِّرين المضاهين خلق الله؛ لأنَّهم يصورون ما لم يخلقوا؛ ولذا قيل لهم: "فليخلقوا ذرة". رواه البخاري

٢٤٢. تفيد أنَّ الله ﷻ هو المستحق للعبادة وحده لأنَّه الخالق المصوِّر لا شريك له.

٢٤٣. تفيد أنَّ الله تعالى هو المتفرِّد بالخلق، والخلق نعمة عظيمة تستوجب الشكر؛ بل هي أول نعمة جاءت بعدها سائر النعم.

٢٤٤. فيها ما يفيد فخامة خلق الإنسان، وحسن تصويره.

٢٤٥. فيها ما يفيد أنَّ التصوير يكون بعد الخلق بمراحل لذا عطفت جملة (صورناكم) بحرف (ثمّ) الدّالة على تراخي رتبة التّصوير عن رتبة الخلق؛ لأنّ التّصوير حالة كمال في الخلق، سواء كان التّصوير مقارناً للخلق كما في خلق آدم، أم كان بعد الخلق بمدّة، كما في تصوير الأجنّة من عظام ولحم وعصب وعروق ومشاعر.

٢٤٦. تفيد فضل الله ﷻ على العباد بتصويرهم في أحسن صورة؛ قال تعالى ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤].

٢٤٧. في هاتين الآيتين بيان لنعمتين عظيمتين من نعم الله على عباده: أولاهما: نعمة التمكين في الأرض، واتخاذهم إيّاها وطناً مزوداً بضروب شتى مما يحتاجون إليه من معايشهم وما به قوام حياتهم وكمالها. وثانيهما: نعمة خلقهم من أب واحد، تجمعهم به رحم واحدة، وبسببها كانوا

خلفاء في الأرض وفي عمارة الكون، وفضِّلوا على كثير من الخلق، فكان الواجب عليهم أن يقابلوهما بالشكر والإيمان. (الوسيط في التفسير)

٢٤٨. قوله ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ تفيد إثبات القول لله تبارك وتعالى.

٢٤٩. تفيد إثبات الملائكة، وأنَّهم يعقلون، ويأمرون، ويطيعون ولا يعصون.

٢٥٠. تبيّن فضل آدم عليه السلام، على الملائكة والجنِّ، حيث أمر الملائكة بالسجود له.

٢٥١. فيها الامتنان بتكريم الإنسان حيث أسجد لأبيهم آدم ملائكته.

٢٥٢. فيها أنَّ التكريم لآدم كان هو تكريم لجنس الإنسان، ولهذا جاء الامتنان للجميع.

٢٥٣. فيها رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده حيث نبَّه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، وبيّن لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم، ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه.

٢٥٤. تفيد طاعة الملائكة لربها وسرعة الامتثال لما أمرها به؛ فالفاء التعقيبية في ﴿ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ مشعرة بذلك.

٢٥٥. فيها تفيد أنَّ ظاهر الأمر للوجوب والفورية إلا إذا وجد صارف؛ قال ابن جزي الغرناطي في التسهيل: "استدل به بعض الأصوليين على أنَّ الأمر يقتضي الوجوب والفور" ا هـ.

٢٥٦. تفيد فضل العلم؛ لأنَّ الأمر بالسجود كان بعد ظهور فضله بالعلم كما في أول سورة البقرة.

٢٥٧. قوله ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ تبيّن عداوة إبليس لابن آدم.

٢٥٨. فيها أنَّ الصراع بين الإنسان والشيطان دائم ما دامت على الأرض حياة وأحياء.

٢٥٩. تفيد أنَّ الموفَّق من وفَّقه الله لطاعته، والمخذول من خذله الله كما جرى لإبليس بعدم السجود.

٢٦٠. الجمع بين قوله: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ وقوله: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، قيل كونه يخبر أنَّه لم يكن من الساجدين، يدلُّ على أنَّ امتثال الأمر على الفور، لأنَّه ربما سجد بعد سجود الملائكة - مثلا، وهذا لا مانع منه عقلا، فقد يرجع

المتأخِّر عن الامتثال إليه بعد من قريب. وكونه يقول: وقوله: ﴿إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ دلك على أنَّه ما رجع إلى الامتثال قطعياً، ولو لاحقاً؛ وبدليل القرائن التي لا تخفى.

٢٦١. فيها أنَّ من جاور قوماً عُدَّ منهم؛ وهذا على القول بأنَّ إبليس لم يكن من الملائكة كما قيل، بل كان معهم فعمَّه الأمر، فلمَّا كان منه ما كان طرد ولعن إلى يوم يبعثون.

٢٦٢. تفيد بيان مدى تمرُّد إبليس على الله من خلال الإخبار عن نفي سجوده بجعْلِه من غير السّاجدين: إشارة إلى أنَّه انتفى عنه السّجود انتفاء شديداً، لأنَّ قولك لم يكن فلان من المهتدين يفيد من النّفي أشدّ ممّا يفيده قولك لم يكن مُهتدياً، ولأنَّ نفي الكون يقتضي نفي الأهلية والاستعداد فهو أبلغ في الذم من أن يقال لم يسجد.

٢٦٣. فيها بيان منزلة الطائفة الساجدة، وقبح التمرد على عبودية الله تعالى، ومنزلة السجود، وأنَّه من العبادات العظيمة، ولهذا كان العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله تعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] .

٢٦٤. فيها إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٢٦٥. فيها: استجواب الجاني، لقوله﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾.

٢٦٦. فيها إثبات حقّ المتهم في الدفاع عن نفسه، ووجهه أنَّ الله ﷻ لم يؤاخذ إبليس على عصيانه وفسقه في تنفيذ أمره مباشرة لأول وهله بل سأله في عدم سجوده لآدم ولو شاء ﷻ لأخذه مباشرة أخذ عزيز مقتدر.

٢٦٧. تفيد أنَّ أمر الله واجب تنفيذه دون البحث عمَّا وراء ذلك، وهذا مأخوذ من هذا العتاب والتوبيخ.

٢٦٨. فيها: أنَّ الله يأمر بما شاء، ولا معقِّب لحكمه وأمره.

٢٦٩. فيها: ردٌّ على الجبرية؛ إذ لو كان مجبوراً، لما قال الله:﴿مَا مَنَعَكَ﴾ فدلَّ على أنَّ للعبد إرادة يمتنع بها إن شاء، فوا عجباً للجبرية، كان إبليس أحسن حالاً منهم، فلم يقل: أنت جبرتني.

٢٧٠. تفيد واسع حلم الله ﷻ على من عصاه.

٢٧١. فيها هوان إبليس على الله، إذ لم يحل بينه وبين معصيته.

٢٧٢. تفيد: أنَّ الإقرار بتوحيد الربوبية وحده، لا يكفي ولا ينجي؛ بل لابد من توحيد الطاعة (الألوهية).

٢٧٣. قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلى أنَّ الأمْرَ لِلْوُجُوبِ. قاله النسفي.

٢٧٤. فيها أنَّ إبليس كان يرى نفسه أنَّه من الأخيار ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

٢٧٥. فيها الحذر من الأنا والاستعلاء على الخلق والمفاخرة والتعالي عليهم وأن يظن العبد أنَّه متميِّز عن الناس بلونه أو عرقه أو نسبه أو علمه، فما ضلَّ إبليس إلا بهذه الأنا والعياذ بالله تعالى قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ "أَنَا"، "وَلِي"، "وَعِنْدِي"، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وفرعون، وقارون، ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لِإِبْلِيسَ، وَ﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ لفرعون، وَ ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ لقارون. وَأَحْسَنُ مَا وُضِعَتْ "أَنَا" فِي قَوْلِ الْعَبْدِ: أَنَا الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ، الْمُخْطِئُ، الْمُسْتَغْفِرُ، الْمُعْتَرِفُ. وَنَحْوِهِ: "لِي"، فِي قَوْلِهِ: لِيَ الذَّنْبُ، وَلِيَ الْجُرْمُ، وَلِيَ الْمَسْكَنَةُ، وَلِيَ الْفَقْرُ، وَالذُّلُّ وَ"عِنْدِي".

٢٧٦. فيها إشارة إلى النهي عن تزكية النفس؛ فالله ﷻ أعلم بمن هو خير.

٢٧٧. تفيد: أنَّ أتباع الشيطان، آراؤهم وعقولهم فاسدة.

٢٧٨. فيها أنَّ أول معصية عصي فيها الله هي الكبر، والحسد.

٢٧٩. تفيد: ذم الاغترار، وازدراء الغير.

٢٨٠. فيها أنَّه إذا غُلِّفت المعصية بغلاف حرية الرأي وكانت حجتها القياس الفاسد فقد سلك طريق إبليس ودخل معه في الهوى والضَّلال.

٢٨١. فيها أنَّ من سمات إبليس عدم الاعتراف بمزايا الآخرين.

٢٨٢. فيها أنَّه إذا سيطَّر الكبر على النفس سوَّغ لها الولوغ في المعصية وبرَّر الانحراف لها، وأصَّل للحسد ولذا قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والحسد أخسُّ الطَّبائع، وأوَّل معصيةٍ عُصي اللهُ بها في السَّماء: حسَدُ إبليس لآدمَ، وفي الأرض: حسَدُ قابيل هابيلَ)

٢٨٣. فيها أنَّ أكبر أسباب الحرمان وعدم التوفيق والانتفاع بالآيات الكبر كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ولذا عارض الأمر بالقياس تكبُّراً فحرم التوفيق.

٢٨٤. فيها تأكيد أصل إبليس؛ وأنَّه من الجنِّ وليس من الملائكة؛ ولذا قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٖ﴾

٢٨٥. فيها أنَّ الكبر هو ردّ الحقِّ واحتقار الخلق، لأنَّ إبليس ردَّ أمر الله بالسجود واحتقر آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢٨٦. فيها اعتراف إبليس بأنَّ الله تعالى هو الخالق؛ فما أضلَّ أتباعه من البشر الذين ينكرون وجود الله عَزَّ وَجَلَّ كالملاحدة والشيوعيين.

٢٨٧. تفيد تحريم معارضة النصِّ بالقياس؛ ولهذا قال بعض السلف: أوَّل من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية فساد هذا القياس، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"ويظهر فسادها بالعقل من وجوه خمسة: أحدها: أنَّه ادعى أنَّ النَّار خير من الطِّين، وهذا قد يمنع فإنَّ الطّين فيه السَّكينة والوقار والاستقرار والثبات والإمساك ونحو ذلك وفي النَّار الخفَّة والحدَّة والطَّيش، والطِّين فيه الماء والتراب. الثاني: أنَّه وإن كانت النَّار خيرًا من الطِّين فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل أفضل فإنَّ الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله وهذا التراب يخلق منه الحيوان والمعادن والنَّبات ما هو خير منه والاحتجاج على فضل الإنسان على غيره بفضل أصله على أصله حجَّة فاسدة احتجَّ بها إبليس وهي حجة الذين يفخرون بأنسابهم وقد قال النبي ﷺ: "من قصّر به عمله لم يبلغ به نسبه". الثالث: أنَّه وإن كان مخلوقاً من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به".

٢٨٨. تفيد أنَّ التمسك بالنصِّ والعمل به عصمة.

٢٨٩. فيها أنَّه لا يبصر الحقَّ من تحكمت في نفسه الطبقيَّة.

٢٩٠. فيها ذم الكبر وبيان خطره، وأنَّه أصل الشرِّ؛ لقوله بعدها:﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

٢٩١. فيها أنَّ آدم عليه السلام من طين، وإبليس من نار - أعاذنا الله منه.

٢٩٢. تفيد أنَّه لا يجوز الحكم علي المرء بمظهره، ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم علي الله لأبره).

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣]

٢٩٣. فيها إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى بما يليق به.

٢٩٤. قوله: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ﴾ يدل على أنَّ هذه الجنَّة التي أخرج منها إبليس هي جنَّة المأوى، لا جنَّة أخرى في الأرض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فقوله: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ بين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم؛ فإن الضمير في قوله:﴿ مِنْهَا ﴾ إبدال معلوم غير مذكور في اللفظ، وهذا بخلاف قوله: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه، وقال هنا: «اهبطوا» لأن الهبوط يكون من علو إلى سفل، وعند أرض السراة حيث كان بنو إسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون إليه، ومن هبط من جبل إلى واد قيل له: هبط. (مجموع الفتاوى ٤/٣٤٨).

٢٩٥. فيها: أنَّ الهبوط هنا هبوط مكانة مكان.

٢٩٦. فيها: إشارة إلى عدل الله، وأنَّه لا يزيل النعم عن العباد إلا بسبب ما اجترحوا.

٢٩٧. فيها: أنَّ الجنَّة عالية في السماء، لأنَّ الهبوط يستدعي الانتقال من منزلة عالية إلى منزلة أقل.

٢٩٨. فيها: أنَّ الجنَّة موطن للطائعين القائمين على حدود الله وليس فيها إقامة للعصاة الكافرين والمتكبرين.

٢٩٩. تبين أن الاستجابة لأمر الله من أعظم أسباب الرفعة والعلو فمن ضيع ذلك فلا سبيل له إلا الهبوط والصغار.

٣٠٠. فيها: أن مخالفة أمر الله، والتكبر عن طاعته سـبب للحرمان من كل خير والبعد عن رحمة الله والوقوع في الذل والمهانة والحقارة.

٣٠١. فيها: ترفع الملائكة عن صفة الكبر التي اتصف بها إبليس.

٣٠٢. فيها: أن المعصية ذل وهوان على صاحبها.

٣٠٣. فيها أن من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه.

٣٠٤. فيها أن الصغار والذلة جزاء المتكبرين.

٣٠٥. فيها أن ما دون الجنة إلا الهبوط والذلة.

٣٠٦. فيها أن الكبر من أعظم موانع دخول الجنة.

٣٠٧. فيها أن الجنة ليست مكانا للمتكبرين، كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".رواه البخاري.

٣٠٨. فيها بمفهوم المخالفة أن التواضع يجلب الرفعة، كما في الحديث: "ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله". أخرجه مسلم (٢١/٨)

٣٠٩. فيها بيان شؤم المعصية، وما يترتب عليها من الخسران المبين.

٣١٠. فيها أن عاقبة الاستعلاء هبوط واستفال، وعاقبة الاستكبار تحقير وصغار.

٣١١. فيها أن المعاصي والذنوب تودي بصاحبها وتنزل من قدره فكتب الله على صاحب المعصية الذل والهوان والصغار.

٣١٢. تفيد استمرار إبليس في كبره وعناده؛ لقوله:﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ بصيغة المضارع، وكذا قوله: ﴿ تَتَكَبَّرَ ﴾، ويفيد هذا خطورة الاستمرار والإصرار على المعاصي عموما والكبر خصوصا، وقد قال تعالى عن قوم فرعون المتكبرين:﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

٣١٣. تفيد أن إبليس كتب عليه الصغار والذل مهما فعل؛ لقوله المؤكد بالمؤكدات:﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ فلا يخاف منه المؤمن؛ إن كيد الشيطان كان ضعيفا.

٣١٤. هذه الآية أصل في ثبوت الحقّ لأهل المحلّة أن يخرجوا من محلّتهم من يخشى من سيرته فشو الفساد بينهم. (التحرير والتنوير).

٣١٥. دلّ قوله: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ على أنّ ذلك الوصف لا يغتفر منه، لأنّ النّفي بصيغة (ما يكون لك كذا أشدّ من النّفي ب (ليس لك كذا) كما تقدّم عند قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وهو يستلزم هنا نهيا لأنّه نفاه عنه مع وقوعه، وعليه فتقييد نفي التّكبّر عنه بالكون في السّماء لوقوعه علّة للعقوبة الخاصة وهي عقوبة الطّرد من السّماء، فلا دلالة لذلك القيد على أنّه يكون له أن يتكبّر في غيرها، وكيف وقد علم أنّ التّكبّر معصية لا تليق بأهل العالم العلويّ. (ابن عاشور).

٣١٦. قال ابن عاشور: وقوله: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ أشدّ في إثبات الصّغار له من نحو: إنّك صاغر، أو قد صغُرت، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٦]، وقوله آنفاً: ﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١]، والصّاغر المتّصف بالصّغار وهو الذلّ والحقارة، وإنّما يكون له الصّغار عند الله؛ لأنّ جبلته صارت على غير ما يرضي الله، وهو صغار الغواية، ولذلك قال بعد هذا: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [الأعراف: ١٦].

٣١٧. يفيد أعادة الفاء مع الجملة الثّانية زيادة تأكيد تسبّب الكبر في إخراجه من الجنّة.

٣١٨. فيها: إشارة إلى علم الله بالغيب، وما يقع من أفعال العباد؛ وهذا سر مجيء المضارع في قوله: ﴿ أَن تَتَكَبَّرَ ﴾ ولذا لم يقل – مثلا –: "فاهبط منها لأنك تكبرت"، ولكنه قال: ﴿ تَتَكَبَّرَ ﴾ يشير: إلى مزيد كبر منه لو بقي فيها، والذي يقوى على الأولى يقوى على الثانية؛ كما قال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة: ٤٧]، وكأنه يقول: ولو بقي فيها لصدر منه مزيد كبر وامتناع.

٣١٩. تفيد: أن من عصى الله في مكان، أو اتخذه إرصادا لعصيانه، طرد منه؛ كما قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ٥٧]، وقال: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

٣٢٠. تفيد أن الطرد، نوع من أنواع العقاب؛ ألا ترى أنه قال: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤ – ١٥]

٣٢١. تفيد: أن إبليس، يؤمن بأن المتصرف في الكون هو الله، فيا خيبة من يدعو من دون الله، ويعتقد أن من الخلق، من يتصرف في الكون من دون الله.

٣٢٢. فيها سوء نية إبليس، وحرصه على الشر والإغواء، فكيف يتخذ مثل هذا وليا من دون الله تعالى.

٣٢٣. تفيد أن من سخر عمره في معصية الله تعالى فيه شبه بإبليس.

٣٢٤. فيها: خطر إبليس وأعوانه على الناس حيث طلب النظرة إلى يوم الدين ليغوي من استطاع إغواءه منهم.

٣٢٥. فيها بيان سفاهة إبليس حيث طلب الإنظار ليزداد إثما.

٣٢٦. فيها أنه ينبغي على الحاكم سماع قول الخصم مهما بلغ ظلمه.

٣٢٧. فيها إقرار إبليس بالبعث.

٣٢٨. فيها أن الإيمان بالموت أمر فطرت عليه الخلائق.

٣٢٩. فيها: رد على المنكرين للبعث، فلعن الله الملحدين والدهريين.

٣٣٠. تفيد: أن مجرد الإيمان بالبعث، لا يكفي للنجاة.

٣٣١. فيها إثبات اليوم الآخر، ومن أسمائه: يوم البعث.

٣٣٢. فيها أن يوم البعث يبدأ بيوم النفخة الأولى.

٣٣٣. فيها أن مقدمات الشيء تعد منه.

٣٣٤. قوله ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ فيها أن من أقوى أسباب الضلال والخذلان طول الأمل وسوء العمل.

٣٣٥. فيها أن تحقيق المطلب لا يعني الرضى.

٣٣٦. تفيد أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان؛ ولذا أنظر الله إبليس فيها وجعله من أسباب ذلك الابتلاء والامتحان، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه ممن يطيع عدوه، فقدر أن يكون من الطائفة التي تأخّرت أعمارها كثيراً.

٣٣٧. تفيد أنه لا ينبغي للعاقل ألا يستكثر ذنوبه ولا ييأس من إجابة الدعاء فقد استجاب الله لإبليس ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ .

٣٣٨. تفيد أن مجرد إمهال الله للعاصي وإنظاره، ليست كرامة منه على ربه.

٣٣٩. تفيد أن الله أمهله وأنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين؛ فأبى الله ذلك عليه كما قال في موضع آخر مقيدا إلى يوم الوقت المعلوم وأراد به النفخة الأولى، أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه. وقد نبه الطبري رحمه الله على مسألة إجابة الله تعالى لطلب إبليس بالنظرة الى يوم يبعثون وهو كلام في غاية الأهمية فقال رحمه الله: [سأل - يعني إبليس - ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه، وذلك أنه سأل النظرة إلى قيام الساعة، وذلك هو يوم يبعث الله فيه الخلق. ولو أعطي ما سأل من النظرة كان قد أعطي الخلود وبقاء لا فناء معه، وذلك أنه لا موت بعد البعث"أهـ.

٣٤٠. فيها أن الله يمهل ولا يهمل.

٣٤١. فيها أن التّأكيد بإنّ والإخبارُ بصيغة﴿ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ يدل أنّ إنظاره أمر قد قضاه الله وقدّره من قبلِ سؤاله، أي تحقّق كونك من الفريق الذين أنظروا إلى يوم البعث، أي أنّ الله خلق خلقاً وقدّر بقاءهم إلى يوم البعث، فكشف لإبليس أنّه بعض من جملة المنظرين من قبل حدوث المعصية منه، وأن الله ليس بمغيّر ما قدّره له، فجواب الله تعالى لإبليس إخبار عن أمر تَحقّق، وليس إجابة لطلب إبليس، لأنّه أهون على الله من أن يجيب له طلَباً، وهذه هي النّكتة في العدول عن أن يكون الجواب: أنْظرْتك أو أجبت لك ممّا يدلّ على تكرمة باستجابة طلبه، ولكنّه أعلمه أنّ ما سأله أمر حَاصل فسؤاله تحصيل حاصل. قال ابن عاشور رحمه الله حيث

قال: " النكتة في العدول عن أن يكون الجواب: أنظرتك، أو أجبت لك مما يدل على تكرمة باستجابة طلبه، ولكنه أعلمه أن ما سأله أمر حاصل فسؤاله تحصيل حاصل".

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ – ١٧]

٣٤٢. قوله ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾فيها: إقرار الشيطان بتوحيد الربوبية.

٣٤٣. فيها أن الغواية وتنكب الصراط هي عقوبة الشيطان على تكبره، وعدم انقياده، وهي هدفه لإغواء المؤمنين.

٣٤٤. فيها أن من سوء الأدب مع الله نسبه الشر إليه ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾.

٣٤٥. فيها أن على صاحب أي مشروع أن يضع هدفه أولا، ثم خطته، ثم النتائج المتوقعة.

٣٤٦. فيها عدم الرضا بالقضاء والقدر، وأن معاند القدر مخذول كما قال الماورديُّ.

٣٤٧. فيها أن من أسباب الخذلان هو عدم صلاحية المحل وأهليته وقبوله للنعمة كما هو حال إبليس عليه من الله ما يستحق.

٣٤٨. تفيد أن المؤمن لا ييأس من الدعوة إلى الحق بشتى الوسائل فإبليس لم ييأس وهو يدعو إلى ضلال.

٣٤٩. التعبير بالقعود –وهو المكث لمدة طويلة يدل على شدة حقد وغيظ إبليس على بني آدم؛ ولذا عبر بالقعود دون الجلوس ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

٣٥٠. فيها أن حد الغواية تنكب الصراط المستقيم، وقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن سبرة بن الفاكه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ قال: فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول- أي كالفرس المربوطة بالحبل. قال: فعصاه فهاجر. قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: هو جهاد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، قال فعصاه فجاهد: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقا

على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة».

٣٥١. فيها: أن صراط الله واحد ومستقيم، وقد أقر إبليس بذلك. "والحق ما شهد به الأعداء".

٣٥٢. فيها أنه لا يحتاج الشيطان إلى إغواء أهل الشر؛ لأنهم إخوانه في الشر، بل يتوجه بكل قوته وعتاده إلى إغواء أصحاب الصراط المستقيم.

٣٥٣. فيها أن كل من وقع في معصية يتمنى أن كل الناس وقعوا فيما وقع فيه.

٣٥٤. تفيد أن إبليس يعلم الطريق المستقيم، ويسعي لإبعاد الناس عنه.

٣٥٥. تفيد: أنه لا سلطان للشيطان على أحد، إلا الوسوسة والنداء للمعصية؛ لقوله: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ مجرد قعود؛ ولو كان يقدر على أعلى من ذلك لفعل.

٣٥٦. تشير الآية أن الأصل هو التوحيد والكفر طارئ عليه.

٣٥٧. فيها شاهد لما استعاذ منه الفاروق وهو جلد الفاجر وعجز الثقة.

٣٥٨. تفيد كثرة طرق الشيطان وحيله في الإغواء والإضلال ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾.

٣٥٩. فيها أن إبليس لم يقل ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ﴾لعلمه أن الله من فوقهم.

٣٦٠. تفيد أن نسيان الآخرة والتعلق بالدنيا من وسائل الشيطان في إضلال بني آدم، وهذا على أحد الأقوال في معنى قوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾

٣٦١. تشير: إلى أهمية التحصن بالأذكار الواردة، من الشيطان الذي قعد لابن آدم "بين يديه ومن خلفه وعن يمين وشمال".

٣٦٢. قوله ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ فيها التنبيه لعدم الاغترار بالكثرة.

٣٦٣. فيها عدم استيحاش الطريق لقلة السالكين.

٣٦٤. تفيد أن شكر المؤمن لربه دليل على النجاة من الغواية الإبليسية.

٣٦٥. تفيد أن منزلة الشكر هي أعلى منازل المتقين؛ ولذا هدف إبليس هو قطع الطريق الموصل إليها.

٣٦٦. تفيد أنك إذا صُرفت عن شكر الله تعالى فاعلم أن إبليس قد حقق غايته ومبتغاه منك.

٣٦٧. فيها صدق ظن إبليس بقلة الشاكرين. قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠]، وفي الصحيحين: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ...)متفق عليه.

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨]

٣٦٨. تفيد أن العصيان والتكبر ينتهي بالعبد إلى سوء الحال.

٣٦٩. فيها أن المعصية تورث الذل والهوان.

٣٧٠. فيها بيان قبح الصورة التي أخرج بها إبليس من الجنة، فقد أخرج خروج صغار واحتقار، لا خروج إكرام، مذموماً مطروداً مبعدا عن الله ورحمته وعن كل خير. فأومر أولاً بالهبوط مطلقاً، وأمر بالخروج مخبراً أنه ذو صغار، وأمر بالخروج مقيداً بالذمّ والطرد.

٣٧١. التعبير بلفظ الذأم أبلغ وأشد من لفظ الذم وفي هذا دليل على شناعة الاستكبار عن أوامر الله تعالى.

٣٧٢. قوله﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ فيها أن التابع يلحق المتبوع في الجزاء.

٣٧٣. فيها أن على العاقل أن يتبين في عمله من يتبع وأن يعرض عمله على الكتاب والسنة فإن وافقهما مضى، وإن خالفهما علم أنه يتبع طريق الشيطان قال تعالى﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي الحديث: أن الرسول ﷺ خط خطًا مستقيمًا فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وشماله فقال: هذه السبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٣٧٤. فيها أن اتباع الشيطان كان باختيار المرء، وعليه ففيها رد على الجبرية.

٣٧٥. فيها: أن من اتبع الشيطان، وسلك طريقه فقد ضل وغوى وأورد نفسه موارد الهلاك والعطب.

٣٧٦. فيها أن من يخالف إبليس يكون مصيره الجنة دار النعيم.

٣٧٧. فيها أن للشيطان أتباعا في كل زمان ومكان.

٣٧٨. تفيد أن جهنم ستملأ بأصحابها؛ وأن ذلك وعد حق من الله تعالى؛ لقوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ حتى تقول كما جاء في الحديث: (قط قط).

٣٧٩. فيها أن جهنم اسم من أسماء دار الجزاء على الكفر والفسوق.

٣٨٠. فيها إشارة إلى أن النار قد أُعدت وجُهزت، فهي مخلوقة الآن.

٣٨١. فيها: أن الشياطين، سيعذبون في النار، وإن كانوا خلقوا منها.

٣٨٢. فيها: بيان قدرة الله جل وعلا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩]

٣٨٣. تفيد دقة المناسبة بين هذه الآية وما قبلها كيف يكرم الله أولياءه ويذل أعداءه، فلما بين تعالى طرده لإبليس وإهانته، بين إيواءه وإكرامه لآدم عليه السلام، وفي ذلك مزيد غيظ وحرقة لحاسده اللعين، فالواو من قوله: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ﴾ عاطفة على جملة: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨]، فخاطب إبليس بأن يخرج منها مذءوماً مدحورا، وخاطب آدم عليه السلام بما يدل على إكرامه: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾

٣٨٤. فيها: بيان هيمنة الله وسلطانه على خلقه، وأنه أقضى القضاة؛ لأنه – سبحانه – بعد ما حكم وقضى على إبليس وفرغ منه، توجه لمناداة آدم وتوجيهه ونهيه وهذا سر افتتاح الآية ب/ "الواو"، في قوله: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ﴾، ولو شاء لافتتحها بالنداء مباشرة.

٣٨٥. فيها مزيد إهانة لإبليس؛ لأن في توجيه الخطاب لآدم بهذه الفضيلة بحضور إبليس بعد طرده زيادة إهانة، لأنّ إعطاء النّعم لمرضي عليه في حين عقاب من استأهل العقاب زيادة

حسرة على المعاقَب، وإظهاراً للتّفاوت بين مستحقّ الإنعام ومستحقّ العقوبة. وهذا مما يفيده موضع سياق الكلام زائدا على ما في آية سورة البقرة، وإن كانتا متماثلتين في اللّفظ، ولكن هذا المعنى البديع استفيد من الموقع، وهذا من بدائع إعجاز القرآن، والكلام هنا مساق إلى المشركين الذين اتخذوا الشّيطان أولياء من دون الله، وأمّا ما في سورة البقرة فإنّه لموعظة بني إسرائيل.

٣٨٦. تفيد أن الله يعوض المظلوم ومن هضم حقه ومن عيب عليه.

٣٨٧. قوله ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ﴾ فيها: إثبات النداء لله تعالى.

٣٨٨. قوله ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ الخطاب لآدم عليه السلام وزوجته تبع له لأنه ولي الأسرة.

٣٨٩. فيها الإشارة إلى أهمية تكوين الأسرة لبناء الفرد والمجتمع.

٣٩٠. في التعبير بقوله﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ إشارة أيضا إلى أن أعظم نعم الله على الزوجين وجود السكن في محل السكنى؛ ولذلك قال ﴿ لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الروم: ٢١]، ولم يقل مثلا لتسكنوا معها.

٣٩١. تفيد: أن السكن، لا يكمل ولا يطيب إلا بالزوجة ومع الزوجة.

٣٩٢. فيها إطلاق لفظ "الزوج" على المرأة.

٣٩٣. فيها: أهمية السكن، وحاجة الناس إليه؛ قال الله:﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴾ [النحل: ٨٠]

٣٩٤. في التعبير بقوله ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ إشارة إلى أنه ينبغي ألا يسكن الرجل وحده ولا تسكن المرأة وحدها.

٣٩٥. تفيد أن من إكرام الرجل إكرام أهله وعشرته.

٣٩٦. فيها: الإيمان بالجنة وأنها معدة، وسكنى آدم وزوجه فيها.

٣٩٧. تفيد أن سعادة الرجل والمرأة يكون بالسكن والعيش في مكان واحد.

٣٩٨. تفيد أن الله أكرم آدم بخلق زوجته قبل أن يسكنه الجنة، مما يشير إلى أن متعة المسكن لا تكتمل إلا بوجود زوجة يسكن إليها الرجل.

٣٩٩. قوله ﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ تفيد: أن الأكل أصل التنعم.

٤٠٠. فيها كثرة المطعومات في الجنة.

٤٠١. تفيد: أن صنوف الأطعمة من نعمة الله على الناس.

٤٠٢. فيها الإشارة إلى أن الأصل في المطعومات والمشروبات الحل إلا ما ورد الشارع بتحريمه.

٤٠٣. فيها ما يفيد أن الحلال كثير، والمحرم والممنوع قليل.

٤٠٤. قوله ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيها أن القرب من الممنوع مدعاة للوقوع فيه.

٤٠٥. قوله ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا ﴾ يؤخذ منها قاعدة سد الذرائع، وأنها معتبرة في ديننا وأصلها في الكتاب والسنة.

٤٠٦. فيها أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد.

٤٠٧. التعبير بعدم القرب ليفهم شدة المنع.

٤٠٨. فيها أن الله تعالى إذا حرم شيئا حرم الوسائل المؤدية إليه حماية عن الوقوع في الحرام.

٤٠٩. فيها أهمية الهروب من الفتن وعدم الاستشراف لها كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن الدجال (من سمع به فلينأ عنه) رواه مسلم.

٤١٠. فيها أنّ من قارب الفتنة بعُدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر وُكل إلى نفسه، فلا يُغتر بالعزم على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة، فكم من شجاع في صف الحرب اغتيل.

٤١١. فيها أنه ينبغي أن يضع المسلم بينه وبين الحرام وقاية من الحلال ومساحة من المباح ليسلم.

٤١٢. تفيد أن النهي عن القرب يفيد البعد عن موارد الشبهات التي تغريه للباطل.

٤١٣. فيها أن النهي والتحريم لآدم وحواء كان في غاية من الوضـــوح والتحذير في قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾، وهو أشـــدّ في التّحذير من أن يُنهى عن الأكل منها، لأنّ النّهي عن قربانها سد لذريعة الأكل منها، وبدليل قوله: ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

٤١٤. تفيد: أن للعبد مشيئة؛ يقدم بها ويحجم.

٤١٥. عدم ذكر اسم الشجرة يدل على عدم أهمية معرفة نوعها، وأن القصص القرآني لأخذ العبر والفوائد الموصلة لطاعة الله واجتناب نهيه وليس لمجرد القصص.

٤١٦. قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيها أن من عصى أمر ربه وقع في الظلم.

٤١٧. من ترك بحر الحلال الواسع الصافي، واختار قناة الحرام الضيق الوحل فلاشك أنه من الظالمين لأنفسهم.

٤١٨. تفيد أن النعم تحاط بفتن إن لم ينتبه لها العبد فقد تكون سبب لزوالها ولخسرانه.

٤١٩. قوله ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيها أن كل إنسـان محاسـب لوحده، ومجزي بعمله، حتى وإن كان في بعض أمور دنياه تبع لوليه.

٤٢٠. فيها أن تعظيم مقدمات المعصية يقي من الوقوع فيها، وذلك باستحضـار ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، ودوام تذكر ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٢٤]

٤٢١. تفيد علم الله بالغيب، حيث أخبر وتحدث عن الظالمين، ولم يخلقوا بعد.

٤٢٢. تفيد وجوب اجتناب النهي، وإن لم تظهر العلة؛ بل يكفيك أن اقتحامه ظلم للنفس، ووجه ذلك: أن الله نهى آدم عن الشجرة، ولم يذكر له علة تحريمها، سوى ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

٤٢٣. فيها أن النهي يقتضي التحريم إلا أن توجد قرينة تصرفه عنه إلى الكراهة.

٤٢٤. فيها أن من ظلم العبد لنفسه ارتكاب المعاصي.

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠]

٤٢٥. تدل كلمة " وســـوس " على الهمس في الإغواء، وأن الذي يتكلم في خير لا يهمه أن يسمعه الناس؛ لكن من يتكلم في شرّ فيهمس خوفاً من أن يفضحه أحد، وكأن كل شر لابد

أن يأتي همساً، وصاحبه يعرف أن هذا الكلام لا يصح أن يحدث، ويستحي منه، ولا يحب أن يعرف المجتمع عنه هذا الشيء.

٤٢٦. فيها أن أهل المكر والخبث يبثون سمومهم سرا؛ حتى لا ينكشف أمرهم ويبدو مكرهم.

٤٢٧. فيها: أن أعظم سلاح للشيطان في محاربة الناس هو الوسوسة.

٤٢٨. فيها: أن الشيطان هو العدو اللدود للإنسان ولذلك يسعى بكل قواه إلى الإضرار به وإيصال الأذى إليه.

٤٢٩. فيها: أن للشيطان وسائل خطيرة يتوصل بها إلى إغواء البشر.

٤٣٠. يفيد التعبير بالفاء في قوله (فوسوس) بعد الأمر بالسكنى في الجنة والتنعم بنعيمها؛ إشارة لطيفة إلى أن الحاسد لا يستطيع أن يتحمل رؤية صاحب نعمة متنعما في نعمته؛ بل يبادر فورا في محاولة إزالة هذه النعمة عنه بكل ما أوتي من قوة ومكر وخبث ودهاء.

٤٣١. فيها: أن من طرق الشيطان في الدخول للإنسان بما يحبه ويهواه.

٤٣٢. تفيد أن كل ذي نعمة محسود؛ وأن الحسد من صفات الشياطين؛ نعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد.

٤٣٣. تفيد: أن الشيطان لا سلطان له على أحد، سوى الوسوسة.

٤٣٤. فيها إشارة إلى: حب الله وشفقته على آدم وزوجه، لقوله: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ يريد: فوسوس لهما البعيد؛ لأن شطن: أي بعد. ولو شاء لقال: "فوسوس لهما إبليس"، كما سبق من حكاية الله عنه.

٤٣٥. فيها أن وساوس الشيطان تصل إلى النفس في أقوال وتحاور وقسم.

٤٣٦. فيها كشف لكيد الشيطان اللعين وأسلوبه العظيم في الإغواء، وكيف يدل لما يريد، ويسعى لتلويث الطائعين الطاهرين حتى نكون على حذر منه.

٤٣٧.فيها: بغض الله لإبليس؛ لوصفه له ب "الشيطان".

٤٣٨.تشير: إلى أن المعصية، تزيل النعم وتغير الحال؛ من أجل ذلك وسوس لهما؛ لعلمه بأن مآلهما إلى شر إذا اقترفا المعصية.

٤٣٩.تفيد: أن الشيطان، يحب أن يرى ابن آدم في أسوء أحواله عموما، والزوجين خصوصا؛ لقوله:﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾ اللام للعاقبة لا التعليل.

٤٤٠.قوله تعالى ﴿ مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ فيها: بيان منة الله على الإنسان، حيث ستره، وجبله على التستر.

٤٤١.فيها أن التعري ونزع الحجاب من أهداف الشيطان وثمرة وساوسه وأوليائه.

٤٤٢.فيها أن الشيطان وجنده حريصون على إخراج الناس من الستر، وحثهم على كشف العورات التي أُمر الناس بتوريتها.

٤٤٣.تفيد: أهمية ستر العورات، وأن التستر عبادة ودين، وأن كشف العورات من أشد أنواع العصيان.

٤٤٤.تفيد: أن كشف العورات وما ينبني عليها، من أعظم مداخل الشيطان ومقاصده.

٤٤٥.تفيد أن فطرة الله التي فطر عليها الإنسان أنه يحب الستر، فلابد من الحفاظ عليه فهو أول مزالق الشيطان، ثم حب الملك والخلود وقد جبل ابن آدم علي حب الدنيا والملك.

٤٤٦.فيها أن التبرج وسيلة شيطانية، ينال به من العبد مقصده.

٤٤٧.فيها: أن إظهار العورة، يسوء صاحبها؛ إلا من انتكس وطمست فطرته.

٤٤٨.تفيد أن الستر الحسي والمعنوي من أعظم نعم الله على العبد.

٤٤٩.فيها أن الشيطان يهدف من وراء المعصية إلى تجريد العبد من ستر الله عليه، والوصول به إلى ما يسوؤه.

٤٥٠.فيها: بيان سوء أدب إبليس مع الله، لقوله: ﴿ رَبُّكُمَا ﴾ .

٤٥١.فيها أن الشيطان يدخل على الإنسان من باب مايحبّ، فالإنسان يحب الخلود ويحب المقام الرفيع لنفسه، وذلك أسلوب شياطين الإنس أيضاً ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾ .

٤٥٢.فيها أن المفسد قد يتظاهر بأنه الناصح ويقسم على ذلك حتى يخدع من يريد إفساده وإغواءه، ولهذا يجب أن يكون المقياس عندنا في تمييز الناصح الصادق من الكاذب متعلّقاً بما ينصحنا به ويدعونا إليه فإن كان يدعونا إلى فساد قولي أو عملي صددناه وإن أغلظ في قسمه.

٤٥٣.فيها أن الشيطان يسمي المحرمات بغير اسمها.

٤٥٤.تفيد: حرمة تعلل الأحكام الشرعية بغير هدى من الله، وأن هذا طريق من طرق الشيطان وقول الله بغير علم؛ لقوله: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾ كذبا وتقولا على الله.

٤٥٥.فيها: تحذير لأولئك الذين يتصدرون في وسائل الإعلام، ويصدون الناس عن دين الله، محتجين أن أراد بالنهي كذا ولأجل كذا، واراد به علة كذا وهي غير موجودة الآن، افتراء على الله. ونحو ذلك مما يتقولون به على الله ورسوله.

٤٥٦.فيها ليس كل حالف صادق وليس كل ناصح أمين.

٤٥٧. تفيد: أن القعود عن الجهاد، من الشيطان؛ لقوله:﴿ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾ وكأن الشيطان يقول للمجاهد: الله يريد لك الموت العاجل، فلا تفعل واقعد واستمتع

بالحياة. وفي الحديث: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه..."، وذكر الجهاد فهو يأمره بالقعود بحجة البقاء أكثر من الموت العاجل - على زعمه.

٤٥٨.فيها أن الحرص والتطلع لما لا يملكه الإنسان (فطر) عليه الابوان وبنوهم من بعدهم.

٤٥٩. تفيد: تحريم التغرير بالمسلم، وأنه من فعل الشيطان.؛ ألا ترى أنه قال:﴿ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، ويدخل في هذا التغرير، ما يسمى "بالكاميرا الخفية"، فكلها غرر وغش وخداع، يوهمه بشيء والواقع غيره.

٤٦٠.فيها أن إبليس أول من كذب، وأن الأبوين لم يكونا يتصوران أن أحدا يقول غير الصدق لذلك صدقاه.

٤٦١.فيها: عظم شأن النصيحة، وأهميتها وخطرها، ولذا جعلها الشارع ديانة وأمانة.

٤٦٢.فيها إيحاء من ابليس لادم عليه السلام وزوجه أن يظنا بربهما سوءا حيث منعهما من أن يكونا ملكين أو يكونا من الخالدين.

٤٦٣.فيها جرأة إبليس على الكذب على الله عندما قال إبليس ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾ والحقيقة غير ذلك.

٤٦٤.فيها أن الشيطان هو الذي يحول بين العبيد وربهم، فمن صرف الناس عن دين الله ففيه شبه من إبليس.

٤٦٥.فيها أن آدم وحواء لم يزالا ممتثلَيْن لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره ، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما ، وقال:﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ أي: من جنس الملائكة ﴿ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾.

٤٦٦.تفيد أن الملكية مرتبة عليا في القرب والإكرام تتطلع إليها البشرية ، وتسعى لتنال مرتبتها ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ ، كما جاء في الحديث " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة .رواه البخاري.

٤٦٧.فيها بيان سوء ظن الشيطان بربه، وسوء أدبه فبين لهما أنه ما نهاهما إلا كراهية أن يكونا ملكين، أو يكونا من الباقين الذين لا يموتون.

٤٦٨.فيها بيان عظمة مداخل الشيطان على الإنسان مع أنه يعرف أنه عدوه، وهو الذي أبى السجود لآدم حسداً وتكبراً.

٤٦٩.فيها أن الشيطان يأتي للإنسان من باب ضعفه، ومن باب ما يشتهيه، وما يخافه ويحذره، ومن باب البحث عن الكمال والخلود.

٤٧٠.فيها بيان كيف تتغلب الشهوة مع وساوس الشيطان على العقل.

٤٧١. فيها بيان شدة مداخل الشيطان على الإنسان ، وأن التطلع لمعرفة المجهول في الغيب قد يوقع العبد في مصايد عدوه ، ولا يشترط في الاستجابة معرفة العلة.

٤٧٢.فيها ما يدل على أن آدم عليه السلام لم يكن ناسيًا للنهي، وإلا لما ذكره بقوله: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾، وقوله في سورة طه: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥] أي: نسي أنه عدو له، ولذلك ركن إلى نصيحته.

٤٧٣.تفيد أن العدو لا يمكن أن يكون أميناً في نصحه، وإن ادعى ذلك.

٤٧٤.تفيد أنه ليس كل ناصح يريد الخير لناصحه، وفرق بين نصح الحبيب والعدو.

٤٧٥.تفيد بيانا لكيفية ترويج أهل الباطل لباطلهم، وكيف يستدرج الشيطان الناس للوصول لما يريد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأعراف: ٢١ – ٢٢]

٤٧٦. قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ تفيد أنه "لا اجتهاد مع النص"، وأن النص عصمة، وأنه لا يجوز مخالفة النص لقول قائل أو نصح ناصح؛ ولا عذر في المخالفة؛ وإن حلف وأقسم الأيمان الغلاظ لهم على النصح؛ لنهي الله لهم نهيا صريحا ألا يقربا الشجرة، فضلا عن أن يأكلا منها.

٤٧٧. فيها أن المؤمن طيب القلب؛ ولذا فهو يظن أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فهو يغتر به، ويخدع له. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم" أخرجه أبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (١/ ٣٥٦) والحاكم (١ / ٤٣) وحسنه الألباني.

٤٧٨. قوله ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ ﴾ فيها أن من أساليب الشيطان في الغواية المخادعة.

٤٧٩. فيها: أن من صفات الشيطان الغرور وخاصة إذا أوقع بني آدم بالمعصية.

٤٨٠. تفيد: تحريم الدلالة على المحرم.

٤٨١. تفيد: أن التغرير بالمسلم من عمل الشيطان.

٤٨٢. فيها: رد على من زعم أن حواء أغوت آدم؛ لقوله: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ ﴾

٤٨٣. فيها أن الشيطان يسعى لما به تدلي الخلق وعدم علوهم، وهي مستفادة من قوله تعالى ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل.

٤٨٤. قوله ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ فيها: حرمة ذوق المحرم، وكثير ممن انجر إلى الأمور العظام من المحرمات، كان بسبب هذا.

٤٨٥. قالَ السُّيُوطِيُّ في (الإكْلِيلِ): اسْتَدَلَّ بِهِ بَعْضُهم عَلى أنَّ مَن ذاقَ الخَمْرَ عَصى – انْتَهى–

٤٨٦. قوله ﴿ ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ فيها دليل على أنهما لم يتمتعا في الأكل، ولا متعة في حرام، وأن المؤمن حي القلب لا يتوغل في الحرام فهما ذاقا ذوقاً فقط.

٤٨٧. قوله ﴿ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ تفيد أن المعصية تهتك ستر الله على عبده، فلما عصيا ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر. فالمعصية تبدي السوأة الباطنة والظاهرة.

٤٨٨. تفيد أن العقوبة قد تكون سريعة ومباشرة لأهل الخير والصلاح رحمة بهم.

٤٨٩. تفيد أن المعصية الواحدة قد تغير حياة العبد فلا ينبغي التهاون بذنب.

٤٩٠. تفيد أن بُدُوّ سوآتهما حصل عند أوّل إدراك طعم الشّجرة، دلالة على سرعة ترتّب الأمر المحذور عند أوّل المخالفة، فزادت هذه الآية على آية البقرة.

٤٩١. فيها: أن الخطيئة تسلب الإنسان نعم الله عليه فعند ما عصى آدم وحواء ربهما سلب الله منهما الكسوة التي كساهما قبل الذنب والخطيئة.

٤٩٢. فيها: خطورة المعصية حيث لا يأمن صاحبها من العقوبة دنيوية وأخروية.

٤٩٣. فيها: تسمية العورة بـ"السوءة".

٤٩٤. فيها: إشارة إلى: أن معاجلة الله لعبده بالعقوبة - أحيانا - يكون لطفا منه سبحانه؛ لأنه ربما أملى له ليأخذه أخذا شديدا - أعاذنا الله -. وتصديقه:﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وفي الحديث: "إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته" رواه البخاري. وجه ذلك: أنه - تعالى ذكره - أخبر عن انكشافهما على التو، بعد الذوق، ولم يأكلا حتى تضلعا - مثلا -؛ فقال:﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ على الفور، ولم يكملا طعمتهما.

٤٩٥. فيها: شدة حياء آدم وزوجه؛ لقوله:﴿ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾، فلم يرها غيرهما، ومع ذلك طفقا يلزقان ويغطيان. وهذه نكتة بلاغية، ولأنه لم يقل: "بدت سوآتهما"، ولو قيل لأشعر بأن أحدا اطلع عليهما.

٤٩٦. قوله ﴿ وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾ فيها أن الستر شيء مركوز في الفطر، وديننا يأمر بالستر، دل هذا على أن أوامر الدين ونواهيه تقبل من أصحاب الفطر السليمة وهي ليست بالقيود.

٤٩٧. تفيد: جواز إطلاق الكل، وإرادة الجزء؛ لقوله: ﴿ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا ﴾ يريد: على عورتهما.

٤٩٨. تفيد ما يدل على قول الشافعي وهو أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك؛ لأنه سترة ظاهرة يمكنه التستر بها؛ كما فعل آدم في الجنة.

٤٩٩. تفيد أن أمر الإسلام بستر العورات جاء متوافقاً مع الفطرة، وما استقرّ في نفوس البشر.

٥٠٠. تفيد أن الحياء من الفطرة التي فطر الله عليها الخلق، وأن كشف العورة قبيح في النفس.

٥٠١. تفيد أن فطرة الإنسان التي فطره الله عليها تدعوه لستر نقائصه.

٥٠٢. فيها دليل على قبح كشف العورة، وأن سترها واجب على الرجال والنساء على حد سواء؛ ولذلك ابتدرا إلى سترها.

٥٠٣. فيها أن الأصل الذي فطر الله عليه الخلق ستر العورة وأن التعري عادة شيطانية.

٥٠٤. فيها دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع.

٥٠٥. تفيد: وجوب ستر العورة، إذا انكشفت لعارض.

٥٠٦. قوله ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ فيها: صفة النداء لله.

٥٠٧. فيها إثبات الكلام من الله تعالى لآدم عليه السلام، بدون واسطة مَلك مرسل، مثلِ الكلام الذي كلّم الله به موسى، وهذا واقع قبل الهبوط إلى الأرض، فلا ينافي ما ورد من أن موسى هو أوّل نبي كلّمه الله تعالى بلا واسطة، ويجوز أن يكون نداءُ آدم بواسطة أحد الملائكة.

٥٠٨. فيها: بيان رحمة الله ولطفه، بآدم وزوجه؛ لقوله:﴿ رَبُّهُمَآ ﴾ ولو شاء لقال: وناديتهما.

٥٠٩. تفيد: أن حق المملوك، أن يطيع المالك الخالق - سبحانه -؛ لقوله:﴿ رَبُّهُمَآ ﴾ خالقهما ومالكهما، ومن من كان كذلك، فله الأمر والنهي.

٥١٠. فيها: معاتبة الله عز وجل لآدم وحواء وهذا فيه دلالة واضحة على سعة حلم الله عز وجل وكريم عفوه حيث لم يؤاخذهما لأول وهلة بل عاتبهما بهذا النداء اللطيف ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

٥١١. فيها أن التوبيخ في وقت الشعور بالذنب له أثر عظيم في التوبة؛ ولذا تأخّر نداء الربّ إياهما إلى أن بدت لهما سوآتهما، وتحايلا لستر عوراتهما ليكون للتّوبيخ وقْعٌ مكين من نفوسهما، حين يقع بعد أن تظهر لهما مفاسد عصيانهما، فيعلما أنّ الخير في طاعة الله، وأنّ في عصيانه ضراً.

٥١٢. فيها أن الله ما ترك لعباده حجة حيث فصل لهم ما حرمه عليهما، وكشف لهم مكر عدوهم.

٥١٣. تفيد: مشروعية العتاب، بعد الإنذار والبيان.

٥١٤. قوله ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا ﴾ ﴿ وَأَقُل لَّكُمَآ ﴾ فيها أن لا أحد أحب اليه العذر من الله.

٥١٥. تفيد: أن النجاة، في امتثال أمر الله.

٥١٦. فيها: أن عداوة الشيطان، بينة ظاهرة.

٥١٧. اللام في قوله﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يفيد أن عداوة الشيطان للإنسان تكون بشكل مستمر.

٥١٨. فيها أن من اغتر بقول عدوه يستحق العتاب والتوبيخ، فالأول عتاب على مخالفة النهي، والثاني توبيخ على الاغترار بقول العدو.

٥١٩. فيها أن الشيطان عدو ظاهر العداوة بيّن، ولكن الناس ينسون هذه العداوة، وينخدعون بوسوسته.

٥٢٠. فيها أن المؤمن يحتاج للذكرى باستمرار.

٥٢١. فيها بيان لسعة حلم الله وحمته بعباده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]

٥٢٢. قوله ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ تفيد: أن الزوجين إذا أحدثا ذنبا، أن يتوبا جميعا ولا يتخلف أحدهما عن صاحبه.

٥٢٣. فيها التوسل باسم "الرب" بين يدي الدعاء، ومن تأمل معظم أدعية الأنبياء والصالحين في القرآن وجدها مفتتحه بذلك.

٥٢٤. حذف(يا) من (ياربنا) يدل على التعظيم. أفاده البغوي.

٥٢٥. فيها أن الاعتراف بالذنب يكون لله وحده؛ لأنه بيديه وحده مغفرة الذنوب؛ قال تعالى ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وعليه: فصرف ذلك لغير الله شرك؛ كما يفعله جهلة النصارى.

٥٢٦. فيها أنه بقدر تعظيمك لربك ستحقق الأدب معه وستستشعر عظم تقصيرك وظلمك لنفسك.

٥٢٧. فيها الإشـارة إلى بعض آداب الدعاء وهي الاعتراف بالذنب والافتقار إلى الخالق وهو من دعاء العبادة بين يدي دعاء المسألة ﴿ ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾.

٥٢٨. فيها أن معصية الله تعالى ظلم للنفس.قال الجشـمي: يقال إن آدم عليه السلام سعد بخمسة أشياء؛ اعترف بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وسارع إلى التوبة، ولم يقنط من الرحمة. وشقي إبليس بخمسة أشياء؛ لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يلم نفسه بل أضاف إلى ربه فلم يتب وقنط من رحمة الله). محاسن التأويل.

٥٢٩. تفيد أن تقديم التوبة والاعتراف بالذنب بين يدي الدعاء من علامات إجابة الدعاء.

٥٣٠. فيها توفيق الله للأبوين بالاعتراف بظلم النفس، وطلب المغفرة والرحمة.

٥٣١. فيها أن المعاصي تورث الذل، وتورث الندم والانكسار في القلوب الخيرة.

٥٣٢. تفيد: أن ثم تلازما بين الاعتراف بالذنب والمغفرة؛ ولأنه ندم.

٥٣٣. فيها: عظم شأن هذا الذكر، وأهميته عقب الذنب.

٥٣٤. قوله ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ فيها أن المعاصي سبب الخسران في الدنيا والآخرة.

٥٣٥. فيها أن النجاة من الخسران منوط بشرف حصول المغفرة والرحمة فعلى الحريص على نجاة نفسه الاجتهاد في التعرض لنفحات الله وأسباب المغفرة والرحمة.

٥٣٦. فيها: إشارة إلى سلامة فهم آدم وزوجه، مما أحدثه أهل الجبر والقدر تجاه فاعل الذنب.

٥٣٧. تفيد: أنه ليس الشأن أن يسترك فحسب، ولكن الشأن أن يرحمك بعد ستره عليك؛ لقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾.

٥٣٨. في هذه الآية موعظة لولدهما، وتعريفهم كيف السبيل إلى التنصُّلِ من الذُنُوب، وأنه لا ينفع إلا الاعترافُ والتوبةُ، لأن ترك الاعتراف بما حرّم الله- عزَّ وجلَّ - حَرامٌ وكُفْرٌ باللَّه فلا بد من الاعتراف مع التوبة.

٥٣٩. فيها أن على من قارف الذنب أن يتأسى بأبيه نبي الله آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وذلك بالإقلاع عن الذنب مباشرة والاعتراف به والندم عليه وسؤال الله المغفرة ورجاء الرحمة بطلبها وعدم اليأس منها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٤]

٥٤٠. قوله ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ ﴾ فيها بيان شؤم المعصية حيث كانت سبباً لطرد إبليس من رحمة الله تعالى، وإخراج آدم وحواء من الجنة.

٥٤١. فيها عظيم قدرة الله سبحانه، إذ يقول للشيء كن فيكون.

٥٤٢. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن قبول التوبة، لا يلزم منه ثبات الحال وعدم زوال النعمة؛ فقد يغير الله حال العبد بسبب المعصية، وإن كان قبل منه التوبة. كما أن دوام الحال، لا يعني قبول التوبة. وهذا من أعظم ما يوجب التنبه والتيقظ للمعصية.

٥٤٣. تفيد: أن الاثنين فما فوق جماعة - على قول من يقول: الخطاب لآدم وزوجه فحسب.

٥٤٤. قوله ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ إشارة إلى الابتلاء بهذا العدو.

٥٤٥. فيها أن العداوة بين الشـــياطين والإنس متقررة على مدى التاريخ بدون هوادة ولا تسـامح، والمراد بالبعض: البعض المخالف في الجنس فأحد البعضـين هو آدم وزوجه، والبعض الآخر هو إبليس، ولما كانت هذه العداوة تكوينيّة بين أصـــلي الجنســـين كانت موروثة في نسليهما.

٥٤٦. فيها تذكير لبني آدم بعداوة الشّيطان المستقرة لهم، ليكونوا حذرين من كل الوسـاوس التي تأتيهم من قبل الشياطين.

٥٤٧. فيها أخذ الحذر والاستعداد للمعركة مع هذا العدو.

٥٤٨. فيها رد على من ينكر وجود الجن في الأرض.

٥٤٩. قوله ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ فيها أن الله هيأ الأرض بمقومات لتكون مســـتقرا للإنسان ومتاعا له، وأنه لا حياة مستقرة للإنسان في الدنيا إلا على وجه الأرض.

٥٥٠. فيها أن مدة هذه الحياة مؤقتة عارضـة، فهي ليسـت مسـكنا حقيقيا، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥]

٥٥١. قوله ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ فيها إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٥٥٢. فيها إثبات أن الأرض مكان حياة بني آدم.

٥٥٣. قوله ﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾ فيها إثبات الموت، وأنه كائن على كل البشـــر كما قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

٥٥٤. فيها إثبات أن الحياة الدنيا ليســـت دار إقامة، بل هي دار فناء يدل على ذلك أنها حياة يعقبها موت.

٥٥٥. فيها أن إبليس داخل في الخطاب وأنه لا يبقى الى يوم البعث.

٥٥٦. تفيد: أن الجنة، لا موت فيها؛ لقوله: ﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾ فقدم "فيها" للحصر.

٥٥٧. تفيد: وبضميمة ما قبلها: أن ما من قرار وتمتع، إلا ويلحقه فناء.

٥٥٨. فيها: بيان ضعف المخلوق المربوب، وأنه يفنى ويبلى؛ فعليه أن يعبد الحي الذي لا يموت.

٥٥٩. قوله﴿ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ تفيد إثبات البعث بعد الموت.

٥٦٠. فيها عظيم قدرة الله على الإحياء والإماتة والبعث.

٥٦١. فيها إشارة إلى: نزول عيسى عليه السلام يوما ما ولا ريب، وأنه سيدفن في الأرض، ويبعث منها؛ لقوله: ﴿ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ عام، فيدخل فيه عيسى قطعا.

٥٦٢. فيها: بيان هيمنة الله وسلطانه على خلقه.

٥٦٣. فيها أهمية شأن البعث والحساب، وأنه أمر ضروري، للفصل بين الناس؛ ولقوله قبلها: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤] وأول وأهم العداوات، ما كان من أجل الدين والعقيدة.

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦]

٥٦٤. الخطاب لبني آدم وبضميمة ما قبله من الآيات تذكير لهم بما وقع لأبويهم عندما نزع الشيطان عنهما لباسهما فعليهم الحذر.

٥٦٥. تذكير للبشر بأن أباهم واحد.

٥٦٦. فيها تشريف للإنسان وترفق واستعطاف به من خلال قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ الذي خلقته بيدي، واسكنته جنتي، وأسجدت له ملائكة، ثم أنزلته إلى دار محبتي، إرادة الإعلاء لكم إلى الذروة من عبادتي.

٥٦٧. يفيد قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ عموم الخطاب لِلنّاسِ كافَّةً، واسْتُدِلَّ بِهِ عَلى دُخُولِ أوْلادِ الأوْلادِ فِي الوَقْفِ عَلى الأوْلادِ ولا يَخْفى سِرُّ هَذا العُنْوانِ فِي هَذا المَقامِ.

٥٦٨. في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾براعة استهلال؛ لتذكير المخاطبين بإغواء إبليس لأبيهم.

٥٦٩. فيها إشارة إلى حسن خطاب القرآن ودقة مراعاتها لخبايا النفوس، فلما ذكرهم بقصة أبيهم آدم وما لقيه من وسوسة الشّيطان وكيده، ناداهم بعنوان الأبوة، ليقبلوا على الخطاب

بتشـــوق، وليكون أكثر وعياً وتحرزاً، وذلك أنّ شـــأن الذرّية أن تثأر لآبائها، وتعادي عدوّهم، وتحترس من الوقوع في شَرَكه.

٥٧٠. تفيد أنه إذا كان المراد بالإنزال ما ذكر أن الله تعالى خلق لبني آدم مادته من القطن والصوف والوبر وريش الطير والحرير وغيرها، وعلمهم بما خلق لهم من الغرائز والقوى والأعضاء وسائل صنع اللباس منها كالزراعة والغزل والنسج والخياطة فإن مننه تعالى بهذه الصناعات على أهل هذا العصر أضعاف مننه على المتقدمين من شعوب بني آدم، فيجب أن يكون شكرهم له أعظم.

٥٧١. تفيد أن الله تعالى يسـخِّر الأسـباب التي بها تتحقق مصـالح العباد، حيث أنزل المطر الذي ينبت القطن والكتان، ويُقيم البهائم التي منها الأصواف والأوبار والشعر الذي به يتحقق ما امتن به من إنزال الثياب.

٥٧٢. تفيد أن اللباس من أصل الفطرة الإنسانية، والفطرة أول أصول الإسلام، وأنه مما كرم الله به النوع الإنساني منذ ظهوره في الأرض.

٥٧٣. تفيد أن إنزال اللباس من آيات الله العظيمة الدالة عليه وعلى فضـــله ورحمته بعباده، لتجمل بالملابس فطرة أودعها الله في قلوب عباده.

٥٧٤. فيها دليل على وجوب ســـتر العورة؛ لأن الله أنزل اللباس لتحقيق هذه الغاية، ولا خلاف بين العلماء في وجوب سترها عن أعين الناس.

٥٧٥. من اتخذ الثياب لغير ستر العورة والتجمل والتزين، فقد خالف الفطرة والطباع السليمة؛ كمن يلبس الثياب المقطعة والمخرقة على سبيل (الموضة).

٥٧٦. أهمية حفظ العورة والتأكيد عليها وإنزال مقوَماتها والوســائل التي تعين على ذلك وأهم من ذلك الاهتمام بتربية النفس على تقوى الله لأن التقوى هي الحافز على تنفيذ أمر الله.

٥٧٧. فيها إشارة إلى أن اللباس خاص ببني آدم دون سائر المخلوقات.

٥٧٨. تفيد أن مقصد اللباس وأشرفه ما كان به سترة السوءة، وهنالك أنواع أخرى تأتي بعده في الأهمية مثل العمامة والشماخ، والبردة، والقباء ونحوها.

٥٧٩. فيها أن ستر العورات باب عظيم من أبواب التقوى.

٥٨٠. تفيد: أهمية ذكر الشـــيء وفوائده ومنافعه، وإن كانت معلومة ومقررة؛ لأن فائدة ما يستر العورة معروفة بالفطرة؛ وتصديقه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾، فشرعا مباشرة بفطرتهما أن يسترا العورة.

٥٨١. أن اللباس ينقسم إلى قسمين، الأول: ضروري، والثاني: كمالي تجميلي؛ لقوله: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي﴾ يغطي ﴿سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾عوراتكم ﴿وَرِيشٗاۖ﴾تتجملون به، فتضـــمنت امتناناً ثانٍ على عباده بأن جعل من الثياب ما يتجمل به الإنسان مع الستر من خلال قوله تعالى: ﴿وَرِيشٗاۖ﴾. أي: ولباساً يزيّنكم، لأنّ الزينة غرض صـــحيح كما قال تعالى: ﴿ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾، ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾.

٥٨٢. تفيد أن التجمل بالثياب بدون إســراف مندوب في الشــريعة؛ وامتنانه تعالى على بني آدم بلباس الزينة يدل على اســـتحبابها، والله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

٥٨٣. أهمية التذكير بالنعم المألوفة إلى حد الغفلة عن كونها نعمة بحكم الضـرورة إليها.. فنعمة اللباس والريش مما يعيشه الناس بصفة دائمة في أغلب المجتمعات.

٥٨٤. وفيها: أفضل اللباس وأبقاه هو لباس الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة.

٥٨٥. أن العمل مهما علا شأنه وازدادت قيمته، لا غنى به عن تقوى الله؛ فالتستر وإن كان واجبا ومهما، إلا أنه لا بد من الإيمان بالله والعمل الصـــالح معه؛ لأن من الناس من يتســـتر باللباس ولا يتسـتر من المعاصـي وغضـب الله. ولذا كانت التقوى، أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، كما تجعل بين العورة وأعين الناس وقاية من النظر.

٥٨٦. إشارة إلى أن تقوى الله يجب أن تكون هي الملازمة للإنسان أكثر من ملازمة اللباس.

٥٨٧. فيها: أهمية التقوى، ولزومها.

٥٨٨. تفيد: أن خير ما يقدمه المرء لنفسـه، تقوى الله؛ وتصـديقه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾.

٥٨٩. تفيد: التنبيه: على عدم العناية بالظاهر وترك الباطن؛ بل يجب الاعتناء بكليهما، بل بالباطن أكثر؛ ولذا نبه قائلا: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾.

٥٩٠. تفيد: أن التقوى تستر العبد.قال البقاعي: "فَلَوْ تَجَمَّلَ الإنْسانُ بِأحْسَنِ المَلابِسِ وهو غَيْرُ مُتَّقٍ كانَ كُلُّهُ سَـوْءاتٍ، ولَوْ كانَ مُتَّقِيًا ولَيْسَ عَلَيْهِ إلّا خُرَيْقَةٌ تُوارِي عَوْرَتَهُ كانَ في غايَةِ الجَمالِ والسِّتْرِ والكَمالِ"

٥٩١. تفيد: أن هناك من التقوى ما يكون واجبا وضـروريا، ومنها ما يكون كمالا وزيادة ونفلا؛ لقوله: ﴿لِبَاسًا﴾ضـروريا وفرضـا، ﴿وَرِيشًا﴾زيادة وزينه؛ كما أوجب العبادات، وشـرع لها نوافل لزيادة القربات.

٥٩٢. تفيد أن التقوى خير لباس يستتر به المرء، وهو متمثل في الإيمان بالله وتقواه، من خلال فعل أوامره وترك نواهيه.

٥٩٣. تفيد أن اللباس المعنوي وهو لباس التقوى المتمثل في الإيمان والتقوى خير لباس وأجمل زينة من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح، وأما اللباس الظاهر فغايته أن يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات، أو يكون جمالاً للإنسان وليس وراء ذلك منه نفع، وأيضًا بتقدير عدم هذا اللباس تنكشف العورة الظاهرة التي لا يضر كشفها مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، وينااله الخزي والفضيحة، قال بعضهم:

إذا المرء لم يلبس لباسًا من التقى   تقلب عريانًا وإن كان كاسيا

٥٩٤. تفيد أن لباس التقوى وزينتها الذي أساسه العلم بالحق والعمل به خير من المال والرياش والجمال الظاهر فالله سبحانه خلق عباده وجمل ظواهرهم بأحسن تقويم وجمل بواطنهم بهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

٥٩٥. فيها التّحريض على تقوى الله، فإنّها خير للنّاس من منافع الزّينة. فلو تجمل الإنسان بأحسن الملابس وهو غير متقي كان كله سوءات، ولو كان متقياً وليس عليه إلا خرقة تواري عورته كان في غاية الجمال والستر والكمال.

٥٩٦. تفيد أن لباس التقوى علامة وأمارة من الله أنه قد رضي عن العبد ورحمه لعلهم يذكرون هذه النعم فيشكرون الله عليها. وذلك بإرجاع الإشارة إلى أقرب مذكور.

٥٩٧. تفيد: أن الله حيي كريم، يحب الستر والتستر.

٥٩٨. منة الله على عباده، حيث جعل لهم ما يسترهم؛ حسيا ومعنويا.

٥٩٩. تفيد: أن الله، ما خلق الخلق سدى وهملا؛ بل اعتنى بهم، وأمرهم ونهاهم.

٦٠٠. فيها تكريم لذرية آدم عليه السلام.

٦٠١. تفيد بدلالة المناسبة عظمة رحمة الله تعالى بعباده وسعة فضله عليهم فبعد أن أمر الله تعالى آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض، وجعلها لهم مستقر ومتاع، وكان الشيطان سبباً في نزع لباسهما، وانكشاف سوآتهما، وهبوطهما إلى الأرض، ذكر هنا منّته عليهم أن أنزل لهم لباساً يواري سَوْآتهم، والرّياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض

٦٠٢. واستمتاعهم بما خولهم؛ وذلك يقتضي شكر الله على نعمه العظيمة وعبادته بحق.

٦٠٣. فيها تنبيه قوي لفتنة الشيطان الذي يسعى لخزي بني آدم وفضيحتهم وإبعادهم من كل خير؛ ولهذا جاء بعده التحذير من كيد الشّيطان وفتنته بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، وفي ضمن ذلك تذكير للعباد بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى

٦٠٤. تفيد أن سعادة العبد وفوزه أن يجمع الله له بين الزينتين: زينة البدن باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن، وكمال الظاهر والباطن.

٦٠٥. تفيد أن الله تعالى يذكر عباده بهذه النعمة لعلهم يذكرون ويقيمون العبودية كلها له سبحانه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأعراف: ٢٧]

٦٠٦. إطلاق الخطاب على الذكور يشمل الإناث، لا العكس.

٦٠٧. تفيد: أن الابن، ينسب لأبيه، لا لأمه؛ لقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

٦٠٨. تفيد جواز إطلاق الأب على الجد لأنه أب أعلى، كما في قول النبي عليه السلام:(أنا ابن عبد المطلب).

٦٠٩. تحذير إلهي لبني آدم لكي لا ينخدعوا بفتنة الشيطان الذي هو عدو حريص على تضليل الإنسان.

٦١٠. فيها التحذير من الشيطان وفتنته والإصغاء إليه والاستجابة لأمره، لأنه يصرف العباد عن دين الله الحق. وفتنة الشّيطان حصول آثار وسوسته.

٦١١. تفيد فتنة الشيطان لبني آدم خفية لا يتنبه لها إلا ذو بصيرة؛ ولذا حذرهم الله تعالى منها.

٦١٢. فيها قابلية بني آدم للافتتان والمعصوم من عصمه الله.

٦١٣. فيها إطلاق الأبوين على الأب والأم

٦١٤. فيها فائدة الوعظ بذكر المثال للمنصوح يكون أبلغ في قبوله للنصيحة

٦١٥. التحذير من الشيطان وبيان عداوته القديمة لآدم وحواء من إخراجهما من الجنة.

٦١٦. فيها أن آدم عليه السلام الذي خلقه الله بيديه واسجد له ملائكته، استطاع الشيطان أن يوسوس له ويوقعه في الزلة، فما بالك بغيره من عامة الناس، نسأل الله السلامة.

٦١٧. فيها التحذير من زوال النعمة باتباع خطوات الشيطان، كما نزل بآدم وحواء.

٦١٨. تفيد أن العاقل من اتعظ بغيره، واستفاد من العبر التي ذكرها الله تعالى في كتابه.

٦١٩. تفيد أهمية أخذ العبرة مما سبق؛ لأنه المقصود من ذكر القصص لاسيما قصص الأنبياء الاعتبار بها، والتذكير بما وقع بين آدم عليه السلام وبين الشيطان من شديد العداوة مقتضياً للتحذير من الشيطان اتبعها بأن حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان وفتنته؛ التي كانت سبباً لخروج أبيهم من الجنة، ونزع ثيابهما، وكشف سوآتهما، التي امتن عليهم بسترها في الآية السابقة، مبيناً لهم خطره حيث يردهم من الجهة الخفية، ويتسلط على من لم يتخذ الرحمن ولياً، وفي ذلك قول النبي ﷺ: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين". رواه البخاري.

٦٢٠. تفيد أنه لما حب الآباء والخوف عليهما، والحزن لما أصابهما، فطرة ومطلب شرعي خطابهم الله بهذا الخطاب حتى ينتبه الابناء ويسعوا في سلامتهم ونجاتهم وفكاكهم من النار.

٦٢١. الحث على ما يدخل الجنة، التي سعى إبليس لطرد الأبوين منها.

٦٢٢. الفتنة في بني آدم كثيرا ما تتعلق بنزع اللباس وإبداء السوءات.

٦٢٣. فيها: بيان حرص الشيطان الشديد على تعري بني آدم؛ ولقوله: ﴿يَنزِعُ﴾، والنزع فيه مبالغة؛ كما قال: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾.

٦٢٤. فيها أن إضافة نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يتول ذلك؛ لأنه كان بسبب منه فأسند إليه، وكذلك لما كان نزع لباسهما بوسوسة الشيطان وغروره أسند اليه.

٦٢٥. تفيد شدة مكر الشيطان ببني آدم وسعيه في إغوائهم؛ وذلك للتعبير بالفعل ﴿يَنزِعُ﴾.

٦٢٦. تفيد أن الله تعالى كسى آدم وحواء اللباس وهما في الجنة.

٦٢٧. فيها أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان.

٦٢٨. تفيد: أن الشيطان يسعى لكشف عورات بني آدم؛ الحسية والمعنوية.

٦٢٩. تفيد أن الشيطان كان هو السبب في إخراج آدم وحواء من الجنة في أسوأ حالة ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا..﴾، والمقصود من هذه الحالة تفظيع هيئة الإخراج بكونها حاصلة في حال انكشاف سَوْآتهما؛ لأنّ انكشاف السوءة من أعظم الفظائع في متعارف النّاس. والتّعبير عمّا مضى بالفعل المضارع لاستحضار الصّورة العجيبة من تمكّنه من أن يتركهما عريانين.

٦٣٠. فيها إشارة إلى أنّ الشّيطان يهتم بكشف سوأة ابن آدم؛ لأنّه يسرّه أن يراه في حالة سوء وفظاعة.

٦٣١. زيادة في التحذير في بيان خطورة الشيطان وجنده من حيث أنه يراهم هو وجنوده وهم لا يرونهم. قال مالك بن دينار: (أن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة).

٦٣٢. تفيد أهمية الاستعانة بالله ضد الشيطان، قال ذو النون: إن كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الكريم الستار الرحيم الغفار.

٦٣٣. فيها فائدة المحافظة على الأذكار للتحصن من هذا العدو الذي يرانا ولا نراه.

٦٣٤. (وقبيله) فيها كثرة جنود ابليس عددا.

٦٣٥. فيها تصوير قوي لشر الشياطين وخطورة كيدهم؛ لأنّ شأن الحَذِرِ أن يَرصد الشّيء المخوف بنظره ليحترس منه إذا رأى بَوادره، فأخبر الله النّاس بأنّ الشّياطين تَرى البشر، وأنّ البشر لا يرونها، إظهاراً للتّفاوت بين جانب كيدهم وجانب حذر النّاس منهم، فإنّ جانب كيدهم قويّ متمكّن وجانب حذر النّاس منهم ضعيف، لأنّهم يأتون المكيد من حيث لا يدري، وفي هذا المعنى تقريب حال عداوةِ الشّياطين بما يعهده العرب من شدّة أخذِ العدوّ عدوّه على غرّة من المأخوذ، تقول العرب: أتَاهم العَدوّ وهم غَارّون.

٦٣٦. رد على الأفاكين الذي زعموا أنهم رأوا الجن على حقيقتها وصوروا لها صورا.

٦٣٧. فيها أهمية مكانه الجماعة والاجتماع في دين الله، فأهل الشر يعاون بعضهم بعضا " هو وقبيله" فمن باب أولي اجتماع أهل الخير والإيمان ومعاونتهم لبعض.

٦٣٨. فيها: الإيمان بالغيب.

٦٣٩. فيها أنّ الشيطان له أنصار ينصرونه على حين غفلة من النّاس.

٦٤٠. فيها أن الشّياطين محجوبون عن أبصار البشر، فرؤية ذوات الشّياطين منتفية لا محالة، وقد يخول الله رؤية الشّياطين أو الجنّ متشكّلة في أشكال الجسمانيات، ولا يكون ذلك إلاّ على تشكل الشّيطان أو الجنّ في صورة غير صورته الحقيقيّة، بتسخير الله لتتمكّن منه الرّؤية البشريّة، فالمرئيّ في الحقيقة الشّكل الذي ماهيةُ.

٦٤١. تفيد أن عدم رؤية الشيء لا ينفي وجوده، والشياطين أجسام لطيفة معلوم من الدين وجودها، ولا يخفى على عاقل أثرها. كما أنّ الملائكة أيضاً معلوم وجودهم من هذه الشريعة ولا يستنكر وجود أجسام لطيفة جدّاً لا نراها نحن، ألا ترى أنّ الهواء جسم لطيف لا ندركه نحن، وقد قام البرهان العقلي القاطع على وجوده، وقد صحّ تصورهم في الأجسام الكثيفة، ورؤية بني آدم لهم في تلك الأجسام كالشيطان الذي رآه أبو هريرة حين ما كلف يحفظ تمر الصدقة، والعفريت الذي رآه الرسول، وقال فيه: (لولا دعوة أخي سليمان لربطته إلى سارية من سواري المسجد).

٦٤٢. فيها أن العدو إذا أتى من حيث لا يرى كان أشد وأخوف ووجوب العناية باتقائه أعظم.

٦٤٣. فيها أن للشيطان نسل وله جنود يعملون معه في إضلال بني آدم.

٦٤٤. تفيد أن الشيطان ولي كل من لم يتول الله ورسوله، فإن القلوب الرافضة لنور الحق لا بد أن يعشعش فيها ظلمات الباطل.

٦٤٥. تفيد أن الشياطين تكون دائماً قريبة من القلوب الكافرة الرافضة لنور الإيمان.

٦٤٦. فيها أن الله يسلط الشياطين على الذين لا يؤمنون، فيحوضنهم على الباطل، ويزيدونهم في غيّهم، فيتابعونهم على ذلك فصاروا أولياءهم.

٦٤٧. تفيد: أن من زين الباطل والفواحش للناس، كان متشبها بإبليس، بل كان من أعوانه.

٦٤٨. فيها: بيان لطف الله ورحمته بعباده، حيث حذرهم من عدوهم - كثيرا في كتابه وعلى لسان رسوله.

٦٤٩. فيها تحذير لأهل البدع وأن الشياطين لا يكونوا أولياء إلا للذين لا يؤمنون.

٦٥٠. فيها التحذير من شياطين الإنس كذلك فلفظه " الشياطين " عامه.

٦٥١. تفيد عدل الله وحكمته في الجمع بين المتشابهين (الشياطين والكافرين).

٦٥٢. تفيد بضميمة ما سبق: أن قصص القرآن مبنية على أخذ العبرة منها، وأنه ينبغي هجر القصص الخالية من العبرة والفائدة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

٦٥٣. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الفواحش، من أعظم مداخل الشيطان، ومن أهم ما يسعى إليه؛ فإذا كان أخبر أنه ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، و﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ فما الظن بالتعري لأجل هذه الفواحش؟!

٦٥٤. يفيد التعبير بالفعل دون العمل إشارة إلى أنهم كانوا يقترفون الفواحش بالقول والجوارح

٦٥٥. فيها أن الله قبل الحق من المشركين وهو هنا قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾، ولم يقبل منهم الباطل: وهو قولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

٦٥٦. فيها إمكانية التعلم الاجتماعي بملاحظة ما يقوم به المحيطون بالشخص ومحاكاته وتقليده لهم، وهذا النوع من التعلم هو تعلم قوي جدا.

٦٥٧. فيها: تعريض بالمشـركين الذين يهتمون بسـنة الآباء، ويطيعون الشـيطان الذي أخرج أبويهم من الجنة.

٦٥٨. فيها ذم للقدوة السيئة، وتحذير من اتباع أصحابها.

٦٥٩. فيها تنبيه للآباء بأن أبنائهم لهم مقتدون وعلى خطاهم سـائرون، وفي الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه...) الحديث

٦٦٠. تفيد أن أوامر الله عزوجل ليست بالادعاء وإنما هي ماورد في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

٦٦١. فيها توبيخ الله سـبحانه وتعالى لأولئك القوم في قولهم المنكر وافترائهم على الله عزوجل حيث لا مستند لهم فيه وإنما قالوا على جهة التوهم والتخرص.

٦٦٢. فيها رد على من برزوا ولمع نجمهم بأعمال تنسـب إلى ما يسـمى بالفن، وفيها الكثير من المعاصـي والفحش والفجور، ثم يدعون أن تفوقهم هذا بتوفيق من الله.. تعالى الله عن ذلك..

٦٦٣. فيها رد على القدرية الذين يحتجون بالقدر على فعل المعاصي. وأن وقوعها دليل على رضى الله وأمره بها. فكذبهم سبحانه وأبطل دعواهم. بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإن قدرها كونا لحكمة يعلمها" فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشـد إثما، وهو أصـل الشـرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم". مدارج السالكين.

٦٦٤. فيها أن الله متصف بالكمال فلا يأمر بما هو نقص لم يرضه العقلاء وأنكروه.

٦٦٥. فيها وجوب مراعاة مقاصد الشريعة ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك إقرار أمر، أو تحريم لأمر وهو مخالف لهذه المقاصد.

٦٦٦. فيها كذب المشركين على الله مردود من وجوه منها:

الاول: أن يأمرهم الله عز وجل بالفحشـاء عن طريق الرسـل وهم يكذبون الرسـل ولا يقبلون منهم.

الثاني: أن يخاطب كل واحد منهم على حدة وهم ليسـوا أهلا لذلك اذ لا يكون الا للخواص من خلقه.

٦٦٧. فيها جرم القول على الله بغير علم.

٦٦٨. تفيد: أن الإسلام، مطهرة عن الفواحش.

٦٦٩. فيها أهمية العلم بالعوامل المؤثرة في السلوك والعادات. وضرورة وجود البينات والشواهد على صـحة ذلك حتى لا يعتقد الإنسـان ويسـتند على تبريرات غير صـحيحة فيما يقوم به من عادات وسلوك ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٦٧٠. تفيد: الإنكار، والرد على من يتقول على الله.

٦٧١. فيها إبطال لحجج أهل الباطل وهي قائمة على أحد أمرين:

- إما التقليد للآباء والأجداد. وهذا ليس بحجه
- وإما الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصـــي. فأكذبهم تعالى وبين أنه لا حجة لهم في ذلك كله ولا علم عندهم يبنون عليها هذه الدعاوى ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٦٧٢. تفيد، وبضـميمة ما قبلها: أن من تسـلط الشـيطان وولايته على المشـركين، أنه يأمرهم بالفحش والتعري، والافتراء على الله؛ وتصـــديقه: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ لأنه قال قبلها: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

٦٧٣. فيها أن افتراءات اليهود والنصـارى، وشـبه المنافقين، من وحي الشـيطان لهؤلاء الذين اتخذوه ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

٦٧٤. تفيد: أن الله، لا يخفى عليه شـيء من أفعال وأقوال عباده؛ أن الفعل الذي لا مسـتند له من كتاب وسنة لا قيمة له وليس بحجة وإن كثر فاعلوه.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩]

٦٧٥. تفيد وبضميمة ما قبلها: أن الأمر بالفواحش وإباحتها والرضا بها، محض ظلم للنفس والعباد؛ لما لها من أثر على النفوس وميلها؛ ولذا نزه نفسه وأخبر أنه ﴿لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾؛ بل يأمر ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾.

٦٧٦. تفيد أهمية الانتباه لما أمر الله تعالى به في كتابه، والتنصيص والتصريح وتقديم لفظ الأمر غالباً يكون مع القسط والعدل والحث على عدم الظلم كهذا الموضع، وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ وغيرها.

٦٧٧. فيها أن الرب هو الذي يأمر وينهى؛ لقوله: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي﴾.

٦٧٨. فيها رد جامع وإبطال كامل لكل من يزعمون أن الله أمرهم مما ليس من قبيل القسط من الفواحش وغيرها ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾.

٦٧٩. فيها أن أوامر الله كلها عدل، فهذه وما قبلها تجمع أمر الله ونهيه إجمالا وتنزهه تعالى عما لا يليق.

٦٨٠. فيها الإشارة إلى إحدى خصائص هذا الدين وهو الاعتدال والوسطية في كل شؤونه في العقائد والعبادات والتشريعات والنظم وكل شيء ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾. وهو العدل.

٦٨١. فيها أن من القسط ترك الشرك، وهو ظلم عظيم، ومنه إقامة الصلاة وتعمير المساجد. ومن ضيع هذين الأصلين فلا يؤمن أن يعدل في حق الخلق.

٦٨٢. فيها أنه يجب أن يجتمع العدل والتوحيد في الفرد والدولة المسلمة.

٦٨٣. فيها الحث على العدل والترغيب في فضله حيث أمر الله تعالى به، وقدمه في الكلام.

٦٨٤. فيها أن العدل مطهرة وصيانة للأعراض، وأن الظلم من أعظم أسباب انتشار الفواحش.

٦٨٥. تفيد وبضـــميمة ما قبلها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ، فمن ابتلي بشي من هذه الفواحش، فليطل السجود.

٦٨٦. تفيد فضل المساجد حيث خصه الله تعالى بالإقامة، وفي الحديث: "أحب البلاد إلى الله مساجدها". رواه مسلم.

٦٨٧. فيها أن رسـالة المسـجد الأولى هي تحقيق التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ، قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: فأمر بإقامة الوجه له عند كل مسـجد وهو التوحيد وتوجيه الوجه إليه سـبحانه، فإن توجيهه إلى غيره زيغ. وبالإخلاص يكون العبد قائما، وبالشـرك زائغا كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ وإقامته: توجيهه إلى الله وحده، وهو أيضا إسلامه، فإن إسلام الوجه لله يقتضي إخضاعه له، وإخلاصه له.(تفسير آيات أشكلت ١/٤٢٥-٤٢٦).

٦٨٨. فيها: أهمية شأن صلاة الجماعة في القرآن؛ لأنه أمر بالدعاء عامة وفي المساجد خاصة.

٦٨٩. فيها كمال التعظيم والخضوع لله تعالى فأشرف ما عند الإنسان وجهه فأمر بإقامته لله تعالى والسجود لله تعالى بع خضوعا وتذللا وتعبدا.

٦٩٠. تفيد فضل السجود لله تعالى قيل: سميت المساجد؛ لأنها مكان السجود وهو أشرف أركان الصلاة (فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد).

٦٩١. فيها الجمع بين العقيدة والعبادة بين عبادة القلوب وعبادة الجوارح ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ.. وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

٦٩٢. فيها الإشارة الى شرطي العبادة المقبولة وهما الإخلاص والمتابعة ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ، وهنا ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ...وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ..﴾ ، فيها التأكيد على الإخلاص المنافي للشرك والنفاق.

٦٩٣. فيها التنبيه إلى أن من أهم مقاصد العقيدة: إخلاص الدين كله لله.

٦٩٤. تفيد وجوب إخلاص الدعاء لله سبحانه وتعالى وأن من دعا غيره فهو مشرك شركا أكبر.

٦٩٥. تفيد: أن الدعاء، من أعظم ما يصرف الفحشاء؛ لذكر الدعاء في الآية؛ وكما قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾.

٦٩٦. فيها دليل على العمل بالقياس ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

٦٩٧. فيها إثبات البعث، والبرهان قدرته سبحانه وتعالى على بدء الخلق.

٦٩٨. فيها التأكيد على الربط بين العبادات القلبية والجوارح والتشريعات وبين الإيمان باليوم الآخر ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾أي إليه فيجازي المحسن بإحسانه والعاصي بعصيانه

٦٩٩. فيها التنبيه على أحد أهم أدلة البعث الملجمة للمنكرين وهو الاستدلال بالمبدأ على المعاد. وقد تكررت في غير ما آية ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾.

٧٠٠. فيها التنبيه الى أهم عبادات الجوارح وهي الصلاة، وأهم عبادات القلوب وهو الإخلاص لله، وإلى أهم العبادات الجامعة بينهما وهو الدعاء.

٧٠١. فيها: تنزيه الله عن العبث- سبحانه -، وأنه لم يخلق الخلق سدى وهملا.

٧٠٢. فيها: توحيد الله بالربوبية والألوهية.

٧٠٣. تفيد: أن المنفرد بالخلق والإحياء، هو المنفرد بالطاعة والعبادة وهو الله جل ذكره؛ كما قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ حصر ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

٧٠٤. فيها، وبضميمة ما قبلها: تخويف وتحذير من اقتراف الشرك والفواحش؛ ولذا ذكرهم بالبعث.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٠]

٧٠٥. فيها: أن لله الحكمة البالغة والقضـــاء العادل في أن خلق الناس وجعلهم على فريقين فريق مؤمن وفريق كافر.

٧٠٦. فيها: بيان أن الهداية بفضل الله وكرمه ومنته وأن الضلالة بخذلانه للعبد إذا تولى بجهله وظلمه.

٧٠٧. فيها أن الله ســبحانه هو الذي يهدي من يشـــاء من عباده ولولا توفيقهم للهداية ما اهتدوا، ولهذا حقت الضلالة على الفريق الذي لم يحظ بهداية الله سبحانه.

٧٠٨. تفيد﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وأن هؤلاء هم الذين طلبوا الهداية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾فهداهم الله وزادهم من فضله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، وأن الفريق الأخر: لما غمسوا في أهوائهم واتبعوا شـــياطينهم الذين يزينون لهم الباطل لم تتحقق لهم الهداية، فعلي المؤمن الحرص بســؤال الهداية والثبات عليه، وكان دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، وسؤال الله حسن الختام، فالمؤمن لا يأمن الفتنة.

٧٠٩. تفيد: أن الناس، فريقان، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

٧١٠. تفيد كمال عدل الله سبحانه وتعالى، وهذا مأخوذ من الجملة المشعرة بالتعليل ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾، فما حقت عليهم الضلالة إلا بسبب اتباعهم للشيطان، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

٧١١. تفيد أنه هدى من هداه فضلا منه سبحانه؛ لأنه لم يذكر سبب هدايتهم.

٧١٢. فيها دليل على أن عموم الهداية بفضل الله ومَنّه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى - بجهله وظلمه - الشيطانَ، وتسبب لنفسه بالضلال.

٧١٣. فيها دليل على القدر في قوله تعالى:﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

٧١٤. فيها: أن مولاة أهل الغواية سبب في الضلال والبعد عن الهداية.

٧١٥. فيها خطورة موالاة شياطين الإنس والجن من أهل الإشراك والنفاق والضلال، وأنها سبب الضلالة.

٧١٦. فيها أن الشياطين تتلقف الناس الذين حُرموا هداية الله حتى تصبح ولايتهم لشياطينهم من دون الله عز وجل.

٧١٧. تفيد أن الضلال له أسباب منها اتخاذ الشياطين أولياء من دون الله؛ وذلك يشمل شياطين الإنس والجن.

٧١٨. تفيد أن الشيطان له أولياء؛ وقد قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

٧١٩. تفيد وجوب أن يكون العبد وليا لله؛ ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾.

٧٢٠. تفيد: النهي عن اتخاذ الشيطان وليا، ويجب اتخاذه عدوا؛ قال الله: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ﴾.

٧٢١. رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾صدق الله

٧٢٢. تفيد: أن ولاية الله، هي محض الهدى.

٧٢٣. فيها أنه ليس كل مريد للخير قد أصابه.﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾. وكما قال تعالى:﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾قال ابن مسعود:"كم من مريد للخير لم يصبه".

٧٢٤. فيها أن أهل الضلالة يُصابون بعمى البصيرة فيرون ضلالهم هدايةً، وهداية غيرهم ضلالة، كما قال فرعون:﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾، مع أنه منغمس في الغيّ والضلال.

٧٢٥. فيها أن الظن والحسبان لا يكفي في أصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين. افاده النيسبوري. ولا يخلي صاحبه من المسؤولية.

٧٢٦. فيها دليل على خطأ قول من زعم أنّ الله تعالى لا يعذّب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلاّ أن يأتيها على علم منه بموضع الصّواب، ووجه الدلالة قوله ﴿وَيَحۡسَبُونَ﴾ والمحسبة الظنّ لا العلم.

٧٢٧. فيها أن هذه الآية تضمنت الإيمان بالقدر والشرع، والمبدأ والمعاد، والأمر بالعدل والإخلاص، ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر، ويحسب أنه على هدى والله أعلم.

٧٢٨. فيها أن أكثر من ضل من البشر في الاعتقادات والأعمال يحسبون أنهم مهتدون، وأقل الكفار الجاحدون للحق كبرا وعنادا كأعداء الرسل في عصورهم، وحاسديهم على ما آتاهم الله من فضله فكرمهم به عليهم، كما حسد إبليس آدم واستكبر عليه، ومنهم فرعون والملأ من أشراف قومه الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤].

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

٧٢٩. تفيد بدلالة المناسبة لما سبقها من أمره سبحانه بالقسط وبإقامة الوجه عند كل مسجد ما يكمل ذلك بأمرهم بما ينبغي عند تلك الإقامة من ستر العورة الذي تقدم الحث عليه.

٧٣٠. تفيد بدلالة المناسبة والسياق بيانا للاستخدام الأمثل لما من به عليهم من اللباس والريش، وهو يشمل لباس التقوى الظاهري والباطني الذي سبق الحث عليه.

٧٣١. فيها مناسبة لما قبلها من وجوه، منها: أنهم تقولوا وافتروا على الله بأنه يأمر بالفحشاء، فرد عليهم بما سبق، وهذه ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ فأمر بأخذ الزينة التي هي زيادة على مجرد تغطية العورة، فكيف أيها السفهاء تتقولون إنه يأمر بها؟!، ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

٧٣٢. يفيد بدأ الخطاب بالنداء لفت الانتباه لما سيأمر به.

٧٣٣. يفيد التعبير بلفظ الزينة ترغيباً وإذاناً فيه، وبياناً أنها ليست مما يتورع عنه.

٧٣٤. تفيد أن تعظيم شـــعائر الله مما يحبه الله تعالى ويحث عليه، والعبادة والوقوف بين يدي الله أولى أوقات التزين.

٧٣٥. تفيد استحباب التجمل وتحسين الهيئة عند الصلاة، خاصة صلاة الجمعة والعيد وفي مَوَاطِنِ الْخَيْرِ كُلِّهَا، ويدخل في ذلك النظافة من الأدناس والأنجاس، والطيب؛ لأنه من الزينة، والسواك؛ لأنه من تمام ذلك.

٧٣٦. تفيد أن الجمال والتزين مطلب في جميع أمور الدين.

٧٣٧. فيها: إشارة إلى أن الله تعالى يحب إظهار نعمه بلبس أجمل الثياب وأحسنها وخاصة في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان.

٧٣٨. فيها إشارة إلى أن الزينة ليست من ذات الإنسان وإنما تطلب من شيء خارج عنه بدليل ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ وهذا مرجح للآية في ســورة النور ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ففي الآية دليل على أن الزينة المرادة في الآية هي ما قاله ابن مســعود الملاءة والعباءة وليســت في الوجه والكفين على ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما والله اعلم.

٧٣٩. فيها أن الله جميل يحب الجمال.

٧٤٠. تفيد بمفهوم المخالفة من الأمر بالزينة عند كل مسجد تجنب الملابس الرثة والمتسخة.

٧٤١. فيها رد على من يلبسون الخشن من الثياب ويلبسون الصوف، بأن الله قد أباح الزينة وأنه لا رهبانية في الاسلام.

٧٤٢. يفيد أمر الله المصـلي بأخذ الزينة عند كل مســجد إشــارة إلى أهمية تزيين المصـليات والمساجد وتطهيرها وتنظيفها وصيانتها من الانجاس والأوساخ الحسية والمعنوية؛ فإن تزين العبد في العادة ينبغي أن يصاحبه تزين للمكان بدون ما ورد النهي فيه.

٧٤٣. يفيد إضافة الزينة إلى المخاطبين إشارة لطيفة إلى أنه ليس كل زينة تصلح أن تأخذ عند كل مسجد؛ وأن الزينة تختلف باختلاف الأشخاص والعصور والازمنة والامكنة.

٧٤٤. تفيد: أن الآدمي سوي الفطرة، يتستر ويتزين؛ ولذا قال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ولو شاء لقال: يا أيها الناس". فهؤلاء الذين يتعرون باسم التحضر، هم في الواقع قد انتكست فطرتهم.

٧٤٥. تفيد الرد على نظرية النشوء والارتقاء الكفرية التي تجعل أصل الإنسان قردا، فقد نسب الله تعالى البشر إلى أبيهم آدم الذي خلقه في أحسن صورة، وقد سقطت هذه النظرية بالبراهين الكثيرة حتى عند الكفار ومع ذلك لازالت تدرس في بعض جامعات المسلمين.

٧٤٦. فيها مع ما قبلها أن للمؤمن أن يزيد على اللباس الذي يستر عورته ما يتزين به من غير سرف ولا مخيلة.. فقال سبحانه: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ...﴾.

٧٤٧. فيها ما يدل على أصل من أصول الدواء، بل أصول الطب، فقد أمرت هذه الآية بالأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وهما قوام الحياة، وحرمت الإسراف فيهما وهو سبب كافة الأمراض إذ قال رسول الله: (ما مَلأ آدميٌّ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أُكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثُلُثٌ لِطعامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وثُلُثٌ لِنَفسه) رواهُ الإمامُ أحمَدُ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ، وقَالَ التِّرمذيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وشاهد آخر أنه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني حاذق قال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم أديان وعلم أبدان فقال له علي: قد جمع الله الطب كلّه في نصف آية من كتابنا فقال له ما هي؟ قال: قوله عز وجل ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

٧٤٨. يفيد هذا التفصيل التام لحكم الزينة والطيبات على كمال الشرع والدين وصدق النبي عليه السلام وإتمام الشريعة لقوم يعلمون.

٧٤٩. تفيد الاعتدال والوسطية في المأكل والمشرب وفي جميع شؤون الحياة.

٧٥٠. فيها الحث على الأكل والشرب الذي بهما قوام البدن، فإذا ترتب من عدم الأكل والشرب لحوق ضرر يُتْلِف نَفْسَه أَوْ بَعْض أَعْضائِه أَوْ يُضْعِفُهُ عَنْ أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ فهنا يجب

عليه الأكل ويحرم تركه، وفي حالة عدم الخوف مما ذكر يكون الأكل والشــرب بدون إســراف مباح.

٧٥١. فيها أن جميع المطعومات والمشروبات حلال إلا ما خصه الشرع بدليل في التحريم؛ لأن الأصل في جميع الأشياء الإباحة إلا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل؛ ولهذا أطلق الله تعالى هنا الأكل.

٧٥٢. فيها تنبيه لبيان أمر الله بالقسط في الآية الســابقة فذكر مثالا عمليا لذلك الأمر وهو مما يتعلق بحياة بني آدم اليومية فقال عز اسمه ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾. فهذا مثال للقســط الذي أمر الله به

٧٥٣. النهي عن الإسراف هنا كما هو في المأكل والمشرب فهو شامل للزينة أيضا التي أمر الله باتخاذها يعني بغير إسراف ولا مخيلة كما أكدت على ذلك النصوص، وعند الإمام أحمد في مسنده يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:(كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده).

٧٥٤. تفيد: أن الأصل في الطعام والشراب، الحل؛ لأنه أطلق الأمر ولم يقيده.

٧٥٥. تشير: إلى وسطية هذه الشريعة.

٧٥٦. فيها: بيان جمال هذه الشــريعة المباركة؛ فهي تحث على ما فيه قوام البدن، وتنهى عن السرف وما يضرها؛ بل تأمر ببذل الزاد؛ وفي الحديث: "ومن كان له فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له" رواه مسلم.

٧٥٧. فيها: بيان فضــل الله على عباده، حيث جعلهم أهلا لتلقي الأوامر التي بها صــلاح دينهم وآدميتهم؛ فالأنعام تأكل وتشرب، لكنها لا تتزين، فضلا عن أن تستر عورة.

٧٥٨. تفيد أن الزينة عامة للرجال والنســـاء فعلى المرأة أن تتزين في مســـجدها عند إرادة الصلاة... أما عند كل مسجد فهذا عام خصصته آية "ولا يبدين زينتهن..." الآية وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم

٧٥٩. تفيد: أن هناك قدرا من التزين واجب؛ وهو التســـتر، كما أن هناك قدرا من الطعام والشراب كذلك؛ وهو سد الرمق. وذلك لتعذر القول بأن الأمر للندب مطلقا، أو أنه للوجوب مطلقا؛ فتأكد هذا التفصيل.

٧٦٠. تفيد ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قاعدة عامة مهمة في جميع شـــؤون الحياة وهو النهي عن الإســـراف، فحذف المعمول ليدل على العموم، أي لا تســـرفوا في الأكل والشـــرب واللباس ولا غيرها، وهو حرام.

٧٦١. فيها التحذير من عواقب الإســـراف في اللباس والطعام والشـــراب، وعيد وتهديد للمسرفين؛ لأن محبة الله تعالى يترتب عليها رضاه عن العبد وإكرامه، وعدم محبة الله للعبد يترتب عليها بعده وهلاكه؛ ولا شـــك أن من لا يحصـــل له شـــيء من الخير فيحيط به كل شـــر، وأن عقوبة ذلك عاجلة وآجلة، والواقع يشهد بالعقوبة العاجلة للمسرفين. فيها

٧٦٢. فيها: أهمية وعظم شـــأن محبة الله للعبد؛ ولذا قال: ﴿لَا يُحِبُّ﴾ولم يقل: "يكره"، لتشـــعر النفس بأهمية هذه المحبة، وتتجنب ما يصرفها.

٧٦٣. فيها النهي عن أكل الحرام الذي هو أعظم الإســـراف، لأن الإســـراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام

٧٦٤. فيها إثبات الحب لله تعالى، وأنه يكون بأسباب.

٧٦٥. فيها ما يدل على عظم هذه الآية، حيث جمعت أصـــول أحكام الشـــريعة كلها، فجمعت الأمر والنهي والإباحة والخبر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]

٧٦٦. مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: لَمَّا كان مِنَ المعلومِ أنَّ ما كانوا ألِفُوه واتَّخذوه دِينًا يستعظمونَ تَرْكَه؛ لأنَّ الشَّيطانَ يُوسْوِسُ لهم بأنَّه توسُّعٌ في الدُّنيا، والتَّوسُّعُ فيها ممَّا ينبغي الزُّهدُ فيه، كما دعا إليه كثيرٌ مِنَ الآياتِ- أكَّدَ سُبحانَه الإذنَ في ذلك.

٧٦٧. فيها أن التحريم والتحليل حق الله سبحانه وتعالى وحده؛ لقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ...﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ..﴾.

٧٦٨. تدل على إباحة الزينة بالضوابط الشرعية؛ وفي الحديث: "إن الله جميل يحب الجمال" رواه مسلم.

٧٦٩. تفيد: أن الله يحب الستر والتستر، ولا يأمر بالفحشاء كما زعموا؛ لقوله: ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾، فأضافها لنفسه.

٧٧٠. تفيد: النهي عن تحريم ما أحل الله وأباح.

٧٧١. تفيد إظهار نعمة الله عزوجل بلبس أجمل الثياب وأحسنها وخاصة في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان.

٧٧٢. فيها: أهمية العلم عن الله.

٧٧٣. تفيد الإنكار والتوبيخ لمن يحرم زينة الله والطيبات؛ يستفاد ذلك من الاستفهام. وأيضًا لَمَّا حَرَّمَتِ العَرَبُ في جاهِلِيَّتِها زينةَ اللِّباسِ في الطَّوافِ تعبُّدًا وقُربةً، وحَرَّمَ بعضُهم أكْلَ بعضِ الطَّيِّباتِ مِنَ الأَدْهانِ وغيرِها في حال الإحرامِ بالحَجِّ كذلك، وحَرَّموا مِنَ الحَرْثِ والأنعامِ ما بيَّنه تعالى في سورة الأنعام. وحَرَّمَ غيرُهم مِنَ الوَثنِيِّينَ وأهلِ الكِتابِ كثيرًا مِنَ الطَّيِّباتِ والزِّينةِ كذلك- جاء دينُ الفِطرةِ الجامعُ بين مصالِحِ البَشَرِ في معاشِهم ومَعادِهم، المطَهِّرُ المزَكِّي لأرواحِهم

وأجسادهم، يُنكِرُ هذا التحَكُّمَ والظُّلمَ للنَّفْسِ، فقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾.

٧٧٤. فيها التحريم بغير شرع من الله من صفات المشركين؛ الذين حرموا المباحات بآرائهم الفاسدة وابتداعهم.

٧٧٥. فيها أن إضافة الزينة إلى الله يدل على استحسانها والمنة بها.

٧٧٦. فيها أن المظاهر من لبس الثياب الجميلة ليست مخلّة بالتقوى والتدين، كما أن التقشف والزهد المبالغ فيه لحرمان النفس من متع الحياة المباحة ليس مرغوباً فيه شرعا؛ وإنما المهم إصلاح النفس بالأخلاق، وعمارة القلب بالإيمان، وتزكية النفس بالعمل الصالح والجهاد.

٧٧٧. فيها أن تمسك بعض الغلاة في الدين بالآيات المنفرة عن الدينا المهونة لشأنها مطلقاً حتى تركوا الزينة والطيبات من الرزق إنحراف عن منهج الحق الذي جعلها للمؤمنين أصالة في الحياة الدنيا.

٧٧٨. فيها إرشاد للمؤمنين إلى النظر في هذه المباحات وحسن الاستفادة مما أخرجه الله لهم، وأنهم أمناء على ما في الأرض من خيرات وكنوز ومنافع، ومسئولون عن القيام بواجبه في تقدم الحياة وإصلاح العمران، والسبق في الحياة بمختلف أنماطها الزراعية والصناعية والاقتصادية والعلمية والثقافية والاجتماعية، ولم يكن دين الله سببا لإضعاف أحد، أو لتأخر الأمة، وإنما الضعف أو التخلف ناجم من كسل الناس وتراخيهم وجهلهم، وتفكك جماعتهم، وتنافرهم وتباغضهم.

٧٧٩. فيها أن الزهد المأمور به إنما هو بالقلب بمعنى أنه لا يكون للدنيا عنده قدر ولا له إليها التفات ولا هي أكبر همه، وأما كونها ينتفع بها فيما أذن الله فيه وهي محقورة غير مهتم بها فذلك من المحاسن، ولما كان هذا المعنى من دقائق المعاني ونفائس المباني، أتبعه تعالى قوله جواباً لمن يقول: إن هذا التفصيل فائق فهل يفصل غيره هكذا؟ (كذلك) أي مثل هذا

٧٨٠. فيها: إنكار الله عزوجل على من حرم ما أحل الله من الطيبات تعنتا.

٧٨١. فيها: بيان فضل الله سبحانه وتعالى وواسع كرمه على عباده حيث أحل لهم الطيبات باختلاف أنواعها من ملبس ومأكل ومشرب.

٧٨٢. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ تشـــير إلى أن الأرزاق فيها طيب وخبيث قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾.

٧٨٣. ينكر على من منع المستلذات من نعم الله المباحة، الدالة على رحمته وعظيم عطاياه لمن آمن ولمن كفر، فالدنيا ليست من النعيم الخالص.

٧٨٤. تفيد: أن المحرم الطيبات، وما أذن الله فيه من اللباس وغيره، فهو طاغوت ينازع الله أمره؛ لقوله: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ﴾، من ذا الذي يضاهيني ويحرم على عبادي ما أحللت لهم، هم عبادي وليسوا عبادك يا أيها الطاغوت. وهذا ظاهر في أئمة الكفر الذي يحرمون على أتباعهم ما أحل الله.

٧٨٥. فيها إباحة الزينة والطيبات من الرزق التي خلق الله موادها لعباده، وعلّمهم بما ألهمهم وأودع في فطرهم كيفية صنعها والانتفاع بها.

٧٨٦. فيها أن الأصـــل في كل ما يتزين به الإنســـان من الملابس وأنواع التجمُّلات الإباحة والحل، وكذلك كل ما يستطاب من مطاعم ومشارب، فهذه الآية تقتضي حل كل المنافع إلا ما خصه الدليل وهذا أصل معتبر في كل الشريعة.

٧٨٧. تفيد أن ترك الطيبات والإعراض عن اللذات ليس ذلك من القربات، فإنه لم ينقل عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أنه امتنع من طعام لأجل طيبه قط، بل كان يأكل الحلوى والعسـل والبطيخ والرطب، وإنما يكره التكلف لما فيه من التشـاغل بشـهوات الدنيا عن مهمات الآخرة.

والله تعالى أعلم

٧٨٨. فيها: أن الله عزوجل جعل هذا التوسع في الطيبات ليستعين بها المسلم على طاعة الله عزوجل وعبادته.

٧٨٩. تفيد إثبات يوم القيامة وأن الخيرات والرفعة فيه خالصة لأهل الإيمان؛ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

٧٩٠. فيها: حب الله للمؤمنين وكرامتهم على ربهم، وبغضه للكافرين؛ لأنه صرح بذكر المؤمنين، وأعرض عن الكافرين ولم يسمهم.

٧٩١. تفيد: أن التمتع بالجنة حسي يدرك بالحواس؛ كما كان الحال في الدنيا؛ لقوله: ﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وتصديقه: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا﴾.

٧٩٢. عليه: فإن ما ورد من بيان النعيم، يدل على البعث وأن الأرواح سترد إلى الأجساد مرة أخرى لتدرك النعيم، كما كانت تدركه في الدنيا؛ مع الفارق بين الدارين. يرزق الله المؤمن والكافر علي سواء ويبسط للكافر العادل الذي يتحرى الطيب من الرزق ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا ...﴾[الاحقاف: ٢٠] اما في الأخرة فهي خالصة للمؤمنين وان المؤمن يرث الكافر ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فان يأخذ نصيبه ونصيب الكافر الذي فرط في حقه.

٧٩٣. تفيد أن المستلذات من الطعام والشراب والمزينات من الثياب وغيرها المؤمنون أولى بها من غيرهم؛ لأنهم هم الذين يحسنون العمل في إخراجها على وجهها الصحيح، ويستخدمونها فيما أخرجت من أجله والانتفاع بها، والتجمل بها في خير الأماكن والأحوال، بخلاف أهل الجهالات.

٧٩٤. تفيد أن التوسيع من الله لعباده بالطيبات ليستعينوا بها على عبادته؛ ولذا فلم يبحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: لا تبعة عليهم فيها.

٧٩٥. تفيد أن من لم يؤمن بالله، واستعان بالطيبات على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التنعم بها، ويُسأل عن النعيم يوم القيامة.

٧٩٦. فيها أن التعلم يتطلب التفصيل.

٧٩٧. تفيد أن آيات الله عز وجل مفصلة مبينة وكذلك ما يستنبط منها من هدايات فيه التفصيل لكل ما يسعد البشرية.

٧٩٨. تفيد أن الآيات القرآنية تورث العلم النافع؛ لقوله﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

٧٩٩. تفيد أهمية التفصيل في العلم وبسط الأدلة.

٨٠٠. تفيد بيان أن المسلمين يتمتعون بما أحله الله من الطيبات في هذه الحياة مع غيرهم لكن في الآخرة هي خاصة بهم ولا يشركهم فيها كافر.

٨٠١. فيها: أن كتاب الله، مبين ومفصل؛ بخلاف الكتب المحرفة فليست كذلك، ففيها من البس والغموض ما لا يخفى.

٨٠٢. تفيد: أن الكفار، أهل جهالة وتجاهل؛ ولذا لا ينتفعون بالقرآن؛ لقوله: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وكما قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

٨٠٣. فيها أن القرآن جاء على أعلى نوع من البيان والتفصيل والتوضيح في أحكامه.

٨٠٤. فيها أن القرآن يستفيد من آياته من لهم ملكة وقابلية للعلم ليتوصلوا به إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح.

٨٠٥. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيه تعريضٌ بجهلِ وضَلالِ عُقولِ المشركينَ الذين استَمَرُّوا على عنادِهم وضَلالِهم، رغمَ ما فُصِّلَ لهم مِنَ الآياتِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٨٠٦. فيها تناسب دقيق مع ما سبقها فلما أنكر الله تعالى على المشركين وغيرهم تحريم ما ليس بحرام كالزينة وطيبات الرّزق، ذكر هنا أنواع المحرّمات وأصولها، إجابة لسؤال قد يطرأ في النفوس عما حرمه الله تعالى.

٨٠٧. فيها بيان عظم التناسق القرآني بين آياته فلما كانت الآية السابقة جامعة للمباحات، جاءت هذه الآية جامعة في المحرمات.

٨٠٨. فيها: رد آخر على المشركين الذين تقولوا على الله وزعموا أنه يأمر بالفحشاء – سبحانه –. بل إن الله – جل ذكره –، ينهى عن باطن الإثم، فكيف يأمر بظاهره؟!، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾.

٨٠٩. فيها أن التحليل والتحريم حق لله تعالى.

٨١٠. فيها أن الشرع أمرا ونهيا مقدورا عليه ودون استطاعة العباد.

٨١١. فيها أن بيان المحرمات للناس من واجب الداعية إلى الله ﴿قُلۡ﴾ولذا ذهب بعض أهل العلم على أن القول على الله بغير علم أعظم من الشرك بالله؛ لأن الله تعالى رتب المحرمات من الأدنى إلى الأعلى.

٨١٢. فيها رد على الذين قالوا ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾أي الفواحش ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

٨١٣. فيها دليل على أنها فواحش في نفسها لا تستحسنها العقول فتعلق التحريم بها لفحشها فإن ترتيب الحكم على الوصف المناسب المشتق يدل على أنه هو العلة المقتضية له، فدل على أنه حرمها لكونها فواحش وحرم الخبيث لكونه خبيثا وأمر بالمعروف لكونه معروفا.

٨١٤.

٨١٥. فيها أن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل الرشيد الذي يعصم من كل الفواحش المستقذرة عقلا وطبعا.

٨١٦. تفيد تحريم النظر إلى العورات؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والنظر إلى العورات حرام داخل في قوله:﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾.

٨١٧. فيها: أن المحرمات منها ما ظهرت الحكمة من تحريمه، ومنها مالم تظهر، وفي هذا يتجلى الإيمان.

٨١٨. فيها تحريم البغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوبُ المتعلقةُ بحق الله، والمتعلقةُ بحق العباد.

٨١٩. فيها أن أفرد البغي بالذكر بناء على التعميم فيما قبله أو دخوله في الفواحش للمبالغة في الزجر عنه.

٨٢٠. فيها تحريم الشّرك بالله وهو أقبح الفواحش والذنوب على وجه الأرض.

٨٢١. فيها أن من أشرك بالله تعالى غيره قد عمل بما لم تقم عليه حجّة من عقل ولا برهان من وحي.

٨٢٢. فيها تهكم بالمشركين؛ لأنه لا يجوز أن ينزل الله تعالى برهاناً بأن يشرك به غيره.

٨٢٣. فيها أن تسمية الحجّة سلطانا؛ لأنها ترجح قول الخصم على غيره، ويكون لها تأثير على عقل السامع وفكره

٨٢٤. فيها دلالة على أن البرهان أساس الاستدلال على صحة العقيدة، وأن الإيمان لا يقبل بغير وحي من الله، يدعمه الدّليل والبرهان.

٨٢٥. فيها أقوى الدلائل على أن الاعتقاد بالتقليد باطل، بل لا بد أن يبني الإنسان اعتقاده على براهين بينة.

٨٢٦. فيها خطورة القول على الله بغير علم إذ قرنه بالشرك.

٨٢٧. فيها تحريم التّقول على الله بغير علم ولا حجّة كالافتراء والكذب على الله، بادّعاء أنّ له ولدا، أو شريكا من الأوثان، وتحليل الحرام وتحريم الحلال بلا سند ولا حجّة، وهو القول

بالرَّأي المحض دون دليل من الشرع، وهو سبب تحريف الأديان، والابتداع في الدين الحق، واتباع الهوى والشيطان، كما فعل أهل الكتاب.

٨٢٨. تفيد بلاغة القرآن الكريم؛ فإن هذه الآية جمعت أصول المحرمات؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن أصول المحرمات التي قال الله فيها: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء.

(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/١٥٦)

٨٢٩. فيها بيان عظم هذه المحرمات حيث جعل تعالى تحريم هذه الأشياء تحريماً دائما لا يباح بحال؛ بخلاف الميتة والدم ولحم الخنزير فأنها تحرم في حال وتباح في حال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]

٨٣٠. فيها مناسبة لما قبلها؛ فبعد أن بين سبحانه ما أحل لعباده وما حرم عليهم، أخبر بأن الموت ينتظر كل حي، ويأتي بعد الموت الجزاء.

٨٣١. فيها: بيان أن الحياة أيام قليلة وأنفاس محدودة فعلى المسلم أن يعرف قيمة وقته ويستثمره فيما يكون فيه سعادته وما يسر به غدا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾ وقال الله ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ﴾ وقال الله ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ...﴾.

٨٣٢. فيها: رد على من يقول: "مات فلان ناقص عمر".

٨٣٣. تفيد: أن الله لم يخلق الخلق ﴿سُدًى﴾. وحتمية الموت تدل على ما بعده.

٨٣٤. فيها إثبات القدر وتحديد الآجال.

٨٣٥. فيها أن الغفلة تكون على مستوى الأمم كما تكون على مستوى الأفراد، وإذا كانت غفلة الفرد تُعَدُّ بالساعات، فإن غفلة الأُمم تُعدُّ بالسنين فتحتاج الأمة دائما للتذكير والنصح والوعظ بمصيرها ولقاء ربها وعاقبة أمرها

٨٣٦. تفيد أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، ويملي ولا يفلت، وله الحكمة البالغة في تأخير أمر وتعجيله.

٨٣٧. لما كان نظرهم إلى الفسحة في الأجل، وكان قطع رجائهم منه من جملة عذابهم، قدمه فقال ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي من الأجل ساعة عبر بها والمراد أقل ما يمكن، لأنها أقل الأوقات في الاستعمال في العرف. افاده البقاعي رحمه الله.

٨٣٨. فيها عظيم حلم الله على خلقه إذ لم يعاجلهم بعذابه على أثر تكذيبهم، بل نسأ لهم في آجالهم لعلهم يرجعون عن باطلهم ويصدقون رسله، ومثاله في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا بل أستأني بهم، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا).

٨٣٩. تفيد: أن الله يؤخر الانتقام بالكافرين والظالمين، ليوم معلوم عنده.

٨٤٠. فيها: تسلية للمؤمنين عامة، وللمظلومين.

٨٤١. تفيد أثر الوقف على دلالة المعنى ففي هذه الآية الكريمة وقفاً لطيفاً، استحبه بعض العلماء، وهو الوقف على قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ ثم البدء بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهذا الوقف هو للفت الانتباه، لئلا يوهم العطف على جواب الشرط، لأنه لا يجوز أن يُقال: إذا جاء الأجل لا يتقدم عليه. ثم بيَّن الله تبارك وتعالى تمام عدله أنه لن يقدمهم عن الساعة المكتوبة بحيث تنقص أعمارهم.

٨٤٢. فيها أنه لا تقبل الاستئنافات ولا طلبات التأجيل في موعد الموت أو الهلاك وهذا يتضح في قصة إبراهيم مع الملائكة عندما أتوا لإهلاك قوم لوط عليهما السلام.

٨٤٣. فيها بيان أن الأمم تموت وتمرض وتصح وكل ذلك بأسبابه وسنن الله وتقديره في العمران والخراب وفق علمه وحكمته، خاصة مخالفة هدي الآيات التي قبل هذه الآية بالإسراف في الزينة والطيبات، واقتراف الفواحش والآثام والبغي، والإشراك بالله والكذب على الله والابتداع

في دينه، فما من أمة سعيدة ارتكبت هذه الضلالات والمفاسد المبيدة إلا وسلبها الله سعادتها وعزها، وسلط عليها من استذلها وسلب ملكها.

٨٤٤. فيها الوعيد للمشركين بالعذاب إذا خالفوا أمر الله تعالى، كما قال ابن عباس المراد: أن الله تعالى أمهل كل أمة كذبت رسولها إلى وقت معين. ومعرض السياق جاء بما يوقظ القلوب الغافلة، لأن ذكر الأجل هنا دون أن يقول لكل أمة عذاب أو استئصال، إيقاظا لعقولهم من أن يغرهم الإمهال فيحسبوا أن الله غير مؤاخذهم على تكذيبهم.

٨٤٥. فيها أن عدم تقدمه وتأخره يفيد كمال علم الله، لأنه عند ما ضربه عالم بكل ما يكون من أمرهم، فلا يتجدد شيء من أحوالهم يستدعي التقديم أو التأخير.

٨٤٦. فيها دليل على أن المقتول إنما يقتل بأجله، وفي ذلك رد على كثير من المعتزلة القائلين: بأن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له، وإنه لو لم يقتل لحيي. وهذا غلط، لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له؛ بل من أجل ما فعله الله من إزهاق نفسه عند الضرب له. فإن قيل: فإن مات بأجله فلم تقتلون ضاربه وتقتصون منه؟ قيل له: نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه، لا لموته وخروج الروح إذ ليس ذلك من فعله. ولو ترك الناس والتعدي من غير قصاص لأدى ذلك إلى الفساد ودمار العباد.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥]

٨٤٧. فيها تكريم لبني آدم؛ لهذا النداء الكريم الذي فيه تنبيه وتنويه.

٨٤٨. فيها: الإيمان بالرسالات.

٨٤٩. فيها أن الرسل لا يكونوا إلا رجالا من بني آدم على الراجح.

٨٥٠. فيها: إشارة إلى قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨-٩]. لقوله: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾، من جنسكم.

٨٥١. تفيد أن الرسل من بني آدم لقوله؛ ﴿مِّنكُمۡ﴾وفي المسألة خلاف معروف.

٨٥٢. تفيد كثرة الرسل والرسالات للتنكير في قوله: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾.

٨٥٣. فيها قطع الحجة على بني آدم بإرسال الرسل إليهم.

٨٥٤. فيها تنبيه لبني آدم أن لا يترقبوا أن تجيئهم رسل الله من الملائكة لأن المرسل يكون من جنس من أرسل إليهم.

٨٥٥. تفيد لطفة الله تعالى في قوله : "مِنْكُمْ" لأن كون الرســـول منهم أقطع لعذرهم وأبين للحجة عليهم من جهات:

أحدها: أن معرفتهم بأحواله وبطهارته تكون متقدمة.

وثانيها: ان معرفتهم بما يليق بقدرته تكون متقدمة فلا جرم لا يقع في المعجزات التي تظهر عليه شك وشبهة في أنها حصلت بقدرة اللَّه تعالى لا بقدرته فلهذا السبب قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾[الانعام: ٩].

وثالثها: ما يحصل من الالفة وسكون القلب إلى أبناء الجنس بخلاف ما لا يكون من الجنس فإنه لا يحصل معه الالفة

٨٥٦. فيها تعريض بالجهلة من الأمم الذين أنكروا رسالة الرسل لأنهم من جنسهم، مثل قوم نوح، إذ قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾[هود: ٢٧] ، ومثل المشركين من أهل مكة إذ كذبوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأنه بشر كما أخبر تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾[الاسراء: ٩٤- ٩٥].

٨٥٧. فيها: حب الله للعذر، وبيان فضل الله على عباده، بأن تفضل عليهم بإرسال الرسل.

٨٥٨. تفيد: أن الرسول يرسل ومعه كتاب من عند الله.

٨٥٩. تفيد أن الدعوة تكون بالوحي كتابا وسنة؛ لقوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ﴾وهو كاف في الهداية.

٨٦٠. فيها: أهمية قراءة القرآن على الناس؛ وببيانه بما يحصل به التقوى والصلاح.

٨٦١. فيها تنبيه للأمة على أن العناية بالقرآن لا تكون بمجرد تلاوته وحفظه فحسب كما هو واقع الكثيرين؛ لقوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ بل ببيانه وشرحه للناس.

٨٦٢. فيها بيان لبعض صفات الرسل فإنهم رسل من جنس بني آدم، وقوله ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾صفةٌ أخرى للرسل وهي تبيين أحكام الله وشرائعه.

٨٦٣. فيها أن التقوى والإصلاح هما سبيل الأمن والسعادة.

٨٦٤. فيها أن الانسان إذا أمن الخوف مما يستقبل وجنب الحزن على ما مضى تحصلت له السعادة والفلاح.

٨٦٥. فيها دعوة لاقتفاء أثر أهل التقوى والإصلاح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]

٨٦٦. لما سبق ذكر المصدقين الطائعين، جاء في هذه الآية ذكر المكذبين المستكبرين..

٨٦٧. أن الكبر من موانع الوصول إلى الهداية.

٨٦٨. تفيد عظم الآيات وفضلها لإضافتها إلى الله عز وجل. وجمعها لكثرتها وتنوعها.

٨٦٩. فيها: أن التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها، كفر يوجب الخلود في النار.

٨٧٠. فيها: دقة التعبير القرآني؛ قال البقاعي في النظم: ولَمّا كانَ التَّكْذِيبُ قَدْ يَكُونُ عَنْ شُبْهَةٍ أوْ نَوْعٍ مِنَ العُذْرِ – نَفى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾أيْ: أوْجَدُوا الكِبْرَ إيجادَ مَن هو طالِبٌ لَهُ عَظِيمُ الرَّغْبَةِ فِيهِ، مُتَجاوِزِينَ عَنْها إلى أضْدادِ ما دَعَتْ إلَيْهِ.

٨٧١. فيها إثبات النار والتخويف منها والتحذير من بعض أسباب دخولها وهو التكذيب والاستكبار.

٨٧٢. تفيد تحريم الاستكبار ومنه رد الحق كبرا، وفي الحديث: "الكبر بطر الحق" أي رده.

٨٧٣. فيها أن الاستكبار والكبر من أسباب دخول النار والحرمان من دخول الجنة؛ وفي الحديث: "لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر" رواه مسلم.

٨٧٤. تفيد خلود أصحاب النار فيها وهذا زيادة في عذابهم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧]

٨٧٥. تفيد تحريم الظلم ومن أعظمه افتراء الكذب على الله عز وجل.

٨٧٦. الكذب على الله يؤدي إلى سوء الخاتمة.

٨٧٧. فيها: بيان أن ما يقدره الله ويكتبه في هذه الحياة وما يقع في هذا الكون من خير وشر وسعادة وشقاء إنما هو على ما كتب في اللوح المحفوظ.

٨٧٨. تفيد الإيمان بالملائكة، وأنهم رسل الله تعالى؛ لقوله: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

٨٧٩. تفيد أن ملك الموت له أعوان؛ لقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ والمراد ملك الموت وأعوانه. قال البغوي: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه

٨٨٠. فيها: بيان أن الملائكة تبكت المشركين وتفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله.

٨٨١. تفيد: أن من لزم عبودية الله، كان الله معه عند الموت، وأنجاه من شدائده وأهواله.

٨٨٢. فيها المشرك يكتشف ضعف الآلهة الباطلة ويعترف بخذلانها له عند الممات.

٨٨٣. تفيد أن الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

٨٨٤. فيها أن الشهادة على النفس بالكفر لا تغني شيئا وإنما الذي يغني هو البراءة من كل ما يعبد من دون الله وذلك قبل الغرغرة أو خروج الشمس من مغربها.

٨٨٥. تفيد: أن الأهوال والشدائد تحمل الإنسان على الإقرار والشهادة على نفسه؛ وكما قال: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]

٨٨٦. تفيد أن كفرة الجن يعذبون في النار مع كفرة الإنس.

٨٨٧. فيها: التحذير من مصاحبة أهل الشر والفساد والبعد عنهم حتى لا يقع الإنسان فيما هم فيه من الغي والضلال.

٨٨٨. تفيد: أن الكفار يقذفون في النار جماعات جماعات؛ وكما قال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾، قيل: تفرطوا في النار.

٨٨٩. تفيد تحريم اللعن بين المسلمين؛ لأن اللعن تحية أهل النار ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، في مقابل أن السلام تحية أهل الجنة جعلنا الله من أهلها ووالدينا والمسلمين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾.

٨٩٠. فيها: تعريض بما كانوا عليه في الدنيا، من ثناء المستضعفين على الظالمين زورا؛ أما اليوم وهم في النار يلعن بعضهم بعضا.

٨٩١. ﴿جَمِيعًا﴾ فيها عظم الله سبحانه وأنه لا يفلت ولا يغيب عنه منهم أحد.

٨٩٢. فيها التحذير من الضلال والإضلال والحث على الإيمان قبل أن لا يفوت الأوان وقبل الندم يوم لا ينفع التلاوم والندم. فالكفار يلعن بعضهم بعضا ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾لكل ضعف، ولكن لا تعلمون، فعدم العلم من شدة ما هم عليه من العذاب فكل مشغول بنفسه، لكن شدة غيظهم ما دعاهم للمطالبة بذلك والله اعلم، وفي الحديث (من دعا الي ضلالة كان عليه من الاثم مثل أثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) رواه مسلم.

٨٩٣. فيها أن لا ينبغي الركون إلى الكثرة الضـــالة واعتقاد الحق معها على كل حال، واتباع سـلوكها المنحرف عن شـريعة الله.. فالله تعالى يقول إنهم أمم وليســوا واحدة وهم من الثقلين وليســوا فقط من قبيل واحد.. ومع ذلك ما أغنت عنهم الكثرة فصـدقت باطلهم في الدنيا ولا خففت عنهم عذابهم في النار وما يفهم هنا صرح به في قوله تعالى ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٨٩٤. فيها: أن الجزاء من جنس العمل من يكذب بآيات الله ويســتكبر عنها ويبتعد عن طاعة الله وطاعة رسوله جزاؤه الحرمان من دخول الجنة والعذاب المهين في دار البوار.

٨٩٥. فيها: أن العذاب في دار العذاب يتضاعف على كل من فيها أجارنا الله وإياكم منها.

٨٩٦. فيها براءة أهل الضـلال بعضـهم من بعض، الأتباع والمتبوعين حين يرون العذاب ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾وهو نوع من العـذاب حين يتخلى عنك من كنت تعلق به آمال الحماية في ساعة العسرة.

٨٩٧. فيها تحريم التقليد الأعمى وأنه لا ينفع الاعتذار بطاعة الســـادة والكبراء والأجداد في مخالفة أمر الله.

٨٩٨. تفيد: أنه لا عذر للمستعضف في الكفر والصد عن سبيل الله.

٨٩٩. فيها: الإيمان بالنار وبكلام أهلها، وبما يكون منهم من كلام وحوار، ومن لعن وتوبيخ ودعاء بعضـــهم على بعض؛ وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، وقال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣]، وقال: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۝١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٤-١٠٨].

٩٠٠. فيها أن المتبوع وإن كان سببا لضلال التابع، فالتابع أيضا كان سببا لتمادي المتبوع في ضلاله وشدة شكيمته فيه بتقويته بالاتباع وتأييده بالمناضلة عنه والدفاع ولما كانوا جاهلين باستحقاقهم لهذه الدقيقة قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾.

٩٠١. تفيد: جرم هؤلاء الأتباع والمستضعفين، والذين كانوا يقولون: "أنا عبد المأمور"؛ فهم مجرمون حقا يحبون الجرم والاجرام؛ قال الله الملك الحق: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ فانظروا إلى الأسياد!، شهدوا شهادة حق وصدق، بقولهم: ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾، وسبحان الله، لم يقولوا: كنتم قوما مجرمين؛ لسرعة الرد بكونهم مجرمين حقا طاغين؛ قال الله: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۢۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا طَٰغِينَ﴾.

٩٠٢. تفيد: أن الاجتماع في النار – أعاذنا الله –، ليس فيه تسلية أبدا لأهل النار؛ كما كان الحال في الدنيا؛ فإن الناس إذا عمهم البلاء واشتركوا فيه خفف عنهم وحصلت التسلية؛ كما قالت الخنساء: "ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي؛ وتصديقه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾.

٩٠٣. تفيد أن القرآن الكريم يبني في الإنسان قوة الشخصية وألا يكون تابعا حقيرا يحركه المستكبرون، ويذكره أن هذا سبب للخسران ودخول النيران؛ ويشبه هذه الآية قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾.

٩٠٤. ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾على قراءة من قرأ بالياء، أي لا يعلم كل فريق ما بالفريق الآخر، إذ لو علم بعض من في النار أن عذاب أحد فوق عذابه لكن نوع سلوى له.

قال تعالى:﴿ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٩].

٩٠٥. تفيد، وبضميمة ما قبلها: التحذير من أن يكون العبد رأسا في الشر.

٩٠٦. أن المتبوبعين والمستضعفين من هؤلاء لا عذر لهم في اتباع الأسياد؛ بل لهم رغبة في الكفر بالله وعصيانه؛ لأنهم لو أرادوا الله ورسوله والدار الآخرة لاتبعوا الحق واعتزلوا الباطل كما فعل المستضعفون من المؤمنين قديما وحديثا.

٩٠٧. فيها اعتراف المضلين باستحقاق الضالين للعذاب لأنه لوكان فيهم خيرا ما سلكوا سبيلهم ولو كان فيهم خيرا لا رشدوهم ونصحوهم.

٩٠٨. فيها: حجة وحسرة على الأتباع، حيث وبخهم الأسياد وقالوا: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾، بل زادوا في توبيخهم والتبرئة منهم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾. فالحامل على كفرهم وصدهم عن دين الله هو حبهم ورغبتهم في هذا، وليس سلطان المتبوعين كما كانوا يزعمون؛ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ﴾ [الصافات: ٣٠].

٩٠٩. فيها: أن الأتباع والمتبوعين، سواء في أصل العذاب؛ كما اشتركوا في أصل الكفر والإجرام.

٩١٠. تفيد: أن الفضل كل الفضل، أن ينجو العبد من عذاب النار؛ وتصديقه: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾، لقوله: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾، أي علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم.

٩١١. في تذييل الآية بأن العذاب كان بسبب كسبهم دليل على عدل الله سبحانه، كما قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ...﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]

٩١٢. تفيد: أن للعبد كسبا وإرادة.

٩١٣. فيها أن من أعظم الإجرام تكذيب آيات القرآن والاستكبار عنها.

٩١٤. تفيد أن آيات الله عز وجل الواضحة الدلالة على ألوهيته وربوبيته تستلزم من العبد الإيمان بالله تعالى وحده وصرف العبادة له سبحانه.

٩١٥. فيها أن للسماء أبوابا تفتح وتغلق﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

٩١٦. فيها أن الاعمال الصالحة ترفع إلى الله –﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، وأعمال الكفار لا تصعد إلى السماء.

٩١٧. فيها أنه كما أن أبواب السماء مغلقة في وجه أعمالهم وأرواحهم، كذلك هي مغلقة لا يتنزل عليهم منها رحمة ولا بركة ولا هداية بسبب تكذيبهم واستكبارهم.

٩١٨. يدل إيثار التشديد في قوله: ﴿تُفَتَّحُ﴾ إلى: أن الله شكور لعباده المؤمنين المذعنين لآياته، ولذا فتح لهم السماء لأعمال الصالحة تفتيحا كثيرا؛ وكان من حسن جزائه لهم أن جعل ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾.

٩١٩. تفيد استحالة دخول الكفار الجنة، كاستحالة دخول الجمل في الإبرة أو الخيط الغليظ جدا، فجزاء المستكبرين في الارض الذل والهوان في اليوم الاخر قال تعالي في الحديث القدسي (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني قصمته).

٩٢٠. تفيد أن الشيء إذا عُلِّق بما يستحيل كونُه دلَّ ذلك على تأكيد، فالجنة محرمة على الكافرين.

٩٢١. فيها: روعة ودقة التعبير وتصوير معاني الاستحالة؛ لأن الخيط عادة يدخل ثقب الإبرة بدقة وعناية قد تلحقها مشقة مع حدة البصر، وهذا كله وهو معد لهذا الغرض؛ فما بالك بالجمل؟؛ فانظر إلى دقة سمك الخيط وحجم الجمل!؛ فلن يلج ولو اجتمع الثقلان. فإيثار هذا التشبيه والمثل، أبلغ وأعظم من غيره؛ لما سبق بيانه، ولأنه معلوم ظاهر لدى العامة والخاصة؛ كما كانت آيات الله معلومة ظاهرة وجليه لدى الجميع.

٩٢٢. يفهم منها: أن هذا النوع من الحيوانات ﴿ٱلْجَمَلُ﴾ سيبقى إلى يوم أن يرفع القرآن؛ لأن المثل قائم إلى هذا اليوم؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ﴾، وكأنه يقول: وإن تربصتم ليلج إلى يوم القيامة، فلن يلج. لأنه لو خلا منه زمان، لقيل - معاذ الله -: لم هذا التحدي والجمل غير موجود أصلا. وأستأنس بقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ فستظل محلا للنظر والاعتبار؛ كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾. فإن قلت: ما فائدة هذا؟ قلنا: بيان الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم؛ الذي يثمر تعظيمه في قلب المؤمن، ويقود الكافر للإيمان به. وعلى هذا فقس في سائر أمثال القرآن، التي من هذا القبيل؛ فهي باقية ببقاء القرآن.

٩٢٣. تفيد تعظيم الرب جل وعلا؛ لقوله: ﴿نَجْزِي﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والكبرياء.

٩٢٤. تفيد التنديد بالأجرام والمجرمين خاصة الذين أجرموا في حق الله تعالى وآياته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]

٩٢٥. فيها: بيان إحاطة النار بالظالمين من كل جانب من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

٩٢٦. فيها: بيان صنوف العذاب في نار جهنم أجارنا الله جميعا منها.

٩٢٧. فيها: بيان سبب وقوع العذاب بالقوم وهو ظلمهم لأنفسهم وكفرهم بآيات الله.

٩٢٨. فيها: بيان عدل الله عزوجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٩٢٩. تفيد خطورة الظلم وأعظمه الشرك؛ لأنه يؤدي إلى هذا المصير الأليم.

٩٣٠. تفيد أن من أسماء النار ﴿جَهَنَّمَ﴾ وهو اسم له دلالاته في الترهيب والتخويف: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾.

٩٣١. تفيد عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته على جعل النار من فوقهم ومن تحتهم.

٩٣٢. تفيد: أنه ليس ثم شيء في جهنم يخفف من جهته العذاب؛ حتى إذا عظم بهم الكرب واستغاثوا، جاءهم الغوث من النار أيضا؛ كما قال: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

٩٣٣. تفيد انتفاء الرّاحَةِ عنهم في جَهَنَّم، فَإِنَّ المَرْءَ يَحْتاجُ إلى المِهادِ والغاشِيَةِ عِنْدَ اضْطِجاعِهِ لِلرّاحَةِ، فَإذا كانَ مِهادُهم وغاشِيَتُهم النّارَ، فَقَدِ انْتَفَتْ راحَتُهم، وهَذا ذِكْرٌ لِعَذابِهِمُ السُّوءِ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ حِرْمانَهم مِنَ الخَيْرِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢].

٩٣٤. فيها مناسبة لما قبلها من الآيات حيث إنه لما ذكر أهل النار وما هم فيه من العذاب ناسب أن يذكر الفريق الثاني أهل الجنة ليظهر التباين بين الفريقين.

٩٣٥. تفيد أن العمل من الإيمان ونص عليه لأهميته وأثره.

٩٣٦. تقديم الإيمان يفيد أن الأعمال لا تقبل بغير إيمان.

٩٣٧. حذف المفعول يدل وجوب الإيمان بكل ما أمر الإنسان بالإيمان به.

٩٣٨. فيها أن الله هو المشرع والأمر والنهي والمكلف لعبده بما يشاء.

٩٣٩. تفيد تخفيف كلفة الإيمان والعمل الصالح على المدعوين ترغيبا لهم فيه وترجية لهم في رحمة الله وهذا بخلاف من يعسرون الدين للناس ويجعلونهم في أضيق مساحة فيه ، ففي الآية نص في أن الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ فيها حسرة على الكافرين إذ أن أوامر الإسلام ونواهيه في وسع الإنسان الالتزام بها لا كما يظن من لبس عليهم الشيطان بأن الإسلام دين تقييد وتشديد.

٩٤٠. فيها لطفه بعباده إذ لم يكلفهم فوق الوسع.

٩٤١. فيها ضعف الإنسان ونقصه﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

٩٤٢. فيها ضلال النصارى عندما ابتدعوا الرهبانية وشددوا على أنفسهم بما لا يطيقونه ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾.

٩٤٣. فيها هداية دعوية لمن يتصدون لدعوة الناس ببيان يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها.

٩٤٤. يفيد جمع الصالحات كثرتها وتنوعها، وفي هذا تيسير على العباد لتنوع أبواب الخير.

٩٤٥. تفيد تعظيم الرب جل وعلا؛ لقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والكبرياء.

٩٤٦. فيها رد على الجبرية؛ لأنه اثبت للنفس وسعا وقدرة.

٩٤٧. الإشارة إلى البعيد في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تدل على علو ورفعة وسمو أهل الجنة جعلنا الله وإياكم منهم.

٩٤٨. تفيد ملازمة المؤمنين للجنة لقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة والاستمرار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾.

قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

٩٤٩. تفيد وبضميمة ما قبلها: أنه لا يطيب العيش ولا يهنئ حتى تصفو النفوس. وهذا محسوس وملموس. بل بدليل الآية منفردة؛ لقوله: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

٩٥٠. تفيد شدة ما فيه أهل الجنة من نعيم بعد أن ذكرت الآيات السابقة العلاقة بين الكافرين في النار والبراءة واللعن والتلاوم فيما بينهم ذكر الله تعالى هنا ما يقابل ذلك من صفاء قلوب المؤمنين في الجنة وتنقيتها مما قد يكون علق بها في الدنيا ليكتمل التنعم واللذة والسرور

٩٥١. فيها: أن أهل الإيمان لم تسلم قلوبهم من الغل في الدنيا.

٩٥٢. تفيد التهوين على النفس مما يجده من إخوانه فأنت لا تتعامل مع معصومين.

٩٥٣. فيها التنبيه على أن الغل في القلب آفة وخلق ذميم لا يليق بالمصطفين الأخيار فينبغي على العبد مجاهدة نفسه وطهارة قلبه منها ومن كل خلق ذميم ولذلك كان من مأثور الدعاء النبوي: (واسلل سخيمة قلبي).

٩٥٤. تفيد سعت رحمة الله تعالى بعباده الصالحين وهو ينزع ما في صدورهم ليكون في قمة المحبة والالفة والاجتماع الكريم .

٩٥٥. قوله: ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾تنكير غل يدل على نزعه وإن قل فلا يبقى منه شيء، والله أعلم، ولأن النكرة إذا دخلت عليها ﴿مِّنْ﴾ كانت نصا في العموم.

٩٥٦. ترشد إلى سلامة الصدر للمسلمين وهو من أفضل الأعمال، والغل كما يرتبط بالصدر فإنه يرتبط بالقلب أيضا كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

٩٥٧. فيها إشارة إلى شدة التصاق الغل بالصدور؛ ولذا عبر عنه بالنزع، كما قال تعالى في الملك أيضا: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾لشدة الحرص عليه والاستماتة في البقاء عليه.

٩٥٨. من نزع ما في صدره من غل، وصفا قلبه لإخوانه المسلمين فقد عجل له نعيم من نعيم الجنة. قاله بعض السلف.

٩٥٩. يفيد: ذم الغل، وعليه: فينبغي الدعاء بالسلامة والتعوذ منه؛ قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٩٦٠. فيها أن جريان الأنهار من تحتهم من أعظم النعيم ولذلك يذكر كثيرا في كتاب الله عز وجل.

٩٦١. فيها التنبيه إلى أن الهداية محض منة وكرم وتلطف من الله تعالى بمن شاء من عباده، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ ، فاستوجب ذلك الحمد والشكر لله عليها

والاعتراف بالمنّة للمنان سبحانه وتعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٩٦٢. فيها الحث على طلب الهداية من الله عز وجل لأنه الذي يملكها، وفي الحديث القدسي: "يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني اهدكم". رواه مسلم.

٩٦٣. تفيد: أن الجنة، لا تورث إلا باتباع الرسل، "من أطاعني دخل الجنة...".

٩٦٤. فيها أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة وليست عوضا لأنه (لا يدخل أحد بعمله الجنة) كما قال صلى الله عليه وسلم فدل على أن الباء في قوله تعالى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ باء السببية لا باب العوض.

٩٦٥. يفيد تذييل الآية بأن الأعمال سبب لدخول الجنة بعد التصريح في أولها بأن الهداية محض منّة وكرامة من الله تعالى؛ وذلك لكي لا يفتروا عن العمل ويتكلوا على القدر السابق ولذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ثم استشهد بقول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾وكلها أعمال مضافة إلى العبد مبينة أنه سبيل وسبب لليسرى أو العسرى، قال بعض السلف:(أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله. وأدخلوا الجنة برحمة الله. وتقاسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته بل من أعلى أنواع رحمته) أفاده السعدي رحمه الله

٩٦٦. فيها أهمية العمل الصالح وأثره في دخول الجنة.

٩٦٧. وفيها أن ﴿دَعْوَاهُمْ﴾أي: دعاؤهم ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾وهو أنَّهم كلّما اشتهوا شيئاً قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾فجاءهم ما يشتهون فإذا طعموا ممَّا يشتهون قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كما في الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

٩٦٨. تفيد: أن من وفق إلى عمل صالح، أن يحمد الله. وفي الحديث: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤]

٩٦٩. فيها: تحقق وعد الله عزوجل للمؤمنين بالثواب ودخول الجنة وللكافرين بالعذاب ودخول النار.

٩٧٠. فيها: بيان أن هناك اتصال بين أهل الجنة وأهل النار وأن أهل الجنة ينظرون إلى من في النار ويخاطبوهم بذلك على رغم المسافة البعيدة بين الجنة والنار إلا أنهم يسمعون ندائهم لنعلم حقيقة أن مقياس الدنيا على بالآخرة بعيد جداً.

٩٧١. تفيد أن هناك نداء بشارة وإكرام، ونداء تقرير وتقريع، بعد أن نودي أصحاب الجنة فيها ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ بعدها جاء دورهم ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ...﴾.

٩٧٢. في ذكر الفعل الماضي (وعد) جواز إطلاق الوعد على الخير والشر فيشمل الوعد والوعيد أو أن دخول الكافرين النار وعذابهم فيها من تمام ما وعد الله للمؤمنين

٩٧٣. تفيد أن الجزاء من جنس العمل في الآخرة، فقد كان لأصحاب الجنة نداء لأصحاب النار في الدنيا، ودعوة للاستقامة، لكنه قوبل بالظلم والسخرية والإهانة.

٩٧٤. فيها: تسلية لأهل الإيمان، وأن دوام الحال من المحال؛ فأين هؤلاء الكفار الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وأين تقبلهم في البلاد؛ فها هم اليوم في الجحيم، وأهل الإيمان في النعيم ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾.

٩٧٥. تفيد عظمة الرب جل وعلا وكمال قدرته؛ لأنه يسمع نداء هؤلاء لهؤلاء مع تفاوت الدرجات ونهاية الدركات وهؤلاء في نعيمهم يحبرون وهؤلاء في جحيمهم يسجرون.

٩٧٦. تفيد أن الله لا يخلف الميعاد وأن وعده حق؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾. فقد روى الطبري بإسناده عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾، وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكلَّ خير علمه الناس أو لم يعلموه، ووعدَ أهل النار كلَّ خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه.

٩٧٧. فيها استعمال الأذان بمعنى الإعلام مع الإعلان.

٩٧٨. تفيد أن الظلم وأعظمه الشرك من أسباب لعنة الله ودخول النار؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾.

٩٧٩. تفيد النهي عن الظلم بجميع أنواعه وبيان سوء عاقبته؛ وفي الحديث: "الظلم ظلمات يوم القيامة". رواه مسلم. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه قيل له: وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾وهو ظالم

٩٨٠. يفيد قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قطع طمعهم في الخروج، ولكي لا يحسبوا أن إقرارهم بهذا الحق ينفعهم بشيء؛ وهذا غم فوق غم؛ وكما قال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٥]

٩٨١. أن الصدَّ عن سبيل الله من صفات الكافرين.

٩٨٢. التعبير بفعل المضارع ﴿يَصُدُّونَ﴾وصلك الموصول يفيد التأكيد والاستمرار ويدل ذلك على أن صدهم عن سبيل الله ممنهج على خطط قائمة مستمرة.

٩٨٣. فيها أن سبيل الله واحد، إذ لم يقل سبل، بل نهى في آية أخرى حيث قال سبحانه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾

٩٨٤. فيها: أن أهل الباطل إن لم يصدوا عن الدين بالكلية، سعوا في تلبيسه على الناس، وتغييره وتحريفه. وهذا مشاهد. فالكفار، إذا لم يستطيعوا أن يحولوا بين الناس ودين الإسلام، سلطوا إخوانهم المنافقين على المسلمين فلبسوا الحق بالباطل، وغيروا وحرفوا.

٩٨٥. فيها أن من وسائل صد أهل الباطل عن الحق تشويه الحق والتنفير منه ومن أهله ويرومون إظهار سبيل الله المستقيمة بأنها عوجاء غير مستقيمه ويختلقون لها النقائص والافتراءات يموهون بها على الناس تنفيرا عن الحق وأهله. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾

٩٨٦. فيها، وبضميمة ما قبلها: أن الصد عن دين الله والحيلولة بينه وبين الشعوب، وتلبيسه عليهم، والكفر بالآخرة، ظلم محض؛ لقوله قبلها: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثم وصفهم بعدها: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾. ومفهومه: أن الدعوة إلى الإسلام، وبيانه بالحق والايمان بالآخرة، من العدل الذي يجب انتشاره؛ وعلى قدر الاهتمام به، يكون العدل. فليس العدل فقط، في الحكم بين المتخاصمين. وعليه: فإذا أردت أن تعرف، مقدار عدل البلد، فانظر إلى اهتمامهم بالإسلام والدعوة إليه. وهذه النكتة يغفل عنها كثير من الناس، فأكثرهم يعتقدون أن العدل فقط فيما يتعلق بالدنيا، وإنما العدل الحقيقي أن يكون فيما سلف، وإذا تحقق عم العدل وساد بأنواعه؛ ولذا ترى كثيرا منهم يثنون على أوربا ويصفونها بالعدل، مع أنها من أظلم خلق الله؛ لأنهم يعملون ليل نهار على ألا يصل الإسلام إلى شعوبهم، ويقومون بتشويه صورة الإسلام؛ ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾. وهذا ما يحاكيه إخوانهم المنافقون في بلاد الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]

٩٨٧. يفيد لفظ الرجال هنا الجنسين، وجيء به للتغليب، ولعله والعلم عند الله أنه لم يقل ونساء سترا عليهن وأنهن لسن ممن يخاطبن غيرهن أو ينظر إليهن من في الجنة أو النار.

٩٨٨. فيها عدل الله سبحانه ودقة ميزانه في أن تتساوى سيئات وحسنات أهل الأعراف.

٩٨٩. فيها أن لا يستهين العبد بالسيئة الصغيرة أن يفعلها، وبالحسنة مهما صغرت أن لا يفعلها، فربما هي التي تكون مرجحة لكفة ميزانه وبها ينجوا من النار ويدخل الجنة.

٩٩٠. فيها أن حالة الإنسان سواء كانت نعيما أو جحيما تظهر على وجهه وبها يعرف.

٩٩١. تفيد أن رحمة الله سبحانه وتعالى تغلب غضبه؛ فإن مصير أصحاب الأعراف الجنة على الراجح مع أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

٩٩٢. تفيد فضل الرجاء لله سبحانه وتعالى؛ لقوله عن هؤلاء: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾فأعطاهم ما طمعوا فيه لأنه سبحانه قال: " أنا عند ظن عبدي بي".

٩٩٣. تقديم أصحاب الجنة يدل على شرفهم ورفعتهم ومكانتهم عند ربهم سبحانه وتعالى.

٩٩٤. تفيد فضل السلام وأنه التحية في الدنيا والآخرة؛ لقولهم:﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾وقال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

٩٩٥. فيها أن أسماع الناس وأحجامهم وأصواتهم توسع أكثر مما هي عليه في الدنيا وإلا فكيف يحصل التخاطب بين هذه الفئات مع بعد المسافات أصحاب الجنة يخاطبون من في النار والعكس وكذا أصحاب الأعراف

٩٩٦. تفيد: أن المعصية، سبب في التأخر.

٩٩٧. تشير: إلى خسارة من لقي الله بلا عمل؛ فإذا كان هذا حال أصحاب الأعراف ولهم حسنات، فما الظن بغيرهم من الذين ليس لهم حسنات أصلا؟؛ أعني من قال الله فيهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

٩٩٨. ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾كل طمع ينتهي بدخول الجنة.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٧]

٩٩٩. فيها إثبات النار والتخويف منها.

١٠٠٠. فيها فظاعة وكراهة منظر النار ومن يعذب فيها - اجارنا الله واياكم - حيث أن وجوه أهل الأعراف تصرف إليها صرفا ولا تنظر اليها باختيارها.

١٠٠١. فيها استحباب التوسل باسم الرب في الدعاء، وهو أكثر ما ورد الدعاء به القرآن.

١٠٠٢. فيها أن الدعاء من العبادات الباقية إلى يوم القيامة كالذكر.

١٠٠٣. فيها: أنه لا ينجيك من كربك ومحنتك إلا الله.

١٠٠٤. تفيد: أن من رأى غيره في حالة لا تسر، أن يعوذ بالله منها، ويدعو لصاحبها .

١٠٠٥. تفيد النهي عن الظلم وبيان سوء عاقبته.

١٠٠٦. تفيد أن الدعاء مستمر في الدنيا ويوم القيامة.

١٠٠٧. تفيد أن العذاب مستحق بأسبابه.

١٠٠٨. فيها أن كل من دخل النار فهو من الظالمين، فنعوذ بالله من حال أهل النار.

١٠٠٩. تفيد خطورة الظلم وعلى رأس ذلك الإشراك بالله.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٨]

١٠١٠. تفيد: أن الصحبة الصالحة، والاجتماع على الدين ونصرته، ينفع يوم القيامة. والإذعان لآيات والعمل بها كذلك.

١٠١١. تفيد أن سمات الخير وسمات الشر تظهر على صاحبها؛ ولذلك وجب الحرص على ما يبيض الوجه يوم القيامة.

١٠١٢. فيها وجود كلام وحوار ونقاش بين أصحاب الطوائف المختلفة يوم القيامة.

١٠١٣. فيها اجتماع أصحاب الصفات المتقاربة والنعوت المتشابهة من المؤمنين والكافرين في مكان واحد ولكل طائفة منهم علامة واحدة (سيما) يعرفون بها.

١٠١٤. فيها بعد ما بين أهل الإيمان أصحاب الجنة وأهل الكفر أصحاب النار في المكان بدليل قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰٓ﴾التي تكررت في هذه الآيات ثلاث مرات لأن النداء لا يكون إلا للبعيد.

١٠١٥. تفيد: أن الحكم للغالب؛ لقوله: ﴿رِجَالٌ﴾، وإلا فهناك من النساء، من كانت تصد عن دين وتستكبر عن آياته؛ كامرأة أبي لهب، وغيرها كاللواتي ادعين النبوة؛ لأن جماعة الرجال هم المقصودون بالدعوة وغيرها أصالة والنساء لهم تبع وهذا سر نداء الرسل أممهم بقولهم ﴿يَٰقَوۡمِ﴾والقوم جماعة الرجال خاصة.

١٠١٦. تفيد: التحذير من جمع الناس والأموال للصد عن دين الله؛ قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾.

١٠١٧. تفيد أن الاستكبار وأكل المال الحرام من أسباب دخول النار.

١٠١٨. تفيد أن غاية الغبن أن تكون بينك وبين دخول الجنة حسنة، فلا تحقر من المعروف شيئا، فلربما الحسنة التي تدخلك الجنة لم تأتي بعد أصحاب، فأصحاب الأعراف هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم.

١٠١٩. تفيد اغترار الكفار بالكثرة والجمع وأنها تدفع عنهم العذاب؛ لقوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾، ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾.

١٠٢٠. تفيد أن الاستكبار عاقبته الذل والصغار وعذاب النار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩]

١٠٢١. تفيد أن بعض مقاييس الحكم في الدنيا لا تجدي نفعاً في مقاييس الآخرة.

١٠٢٢. فيها حرمة التألي على الله ووجوب وقوف الإنسان عند حده وعدم الافتئات على الله تعالى.

١٠٢٣. تفيد إثبات صفة الرحمة لله عزوجل على ما يليق بجلاله وعظمته.

١٠٢٤. فيها إشارة إلى أن المستكبرين في الدنيا كما عاشوا مع أوهامهم التي أعمت بصائرهم في الدنيا يعيشون كذلك وهماً عظيماً في الآخرة، حيث أقسموا ألّا ينال الله أهل الأعراف برحمة، فكان الأمر على خلاف وهمهم.

١٠٢٥. فيها أن الأمن والطمأنينة والسعادة العظمى تتحقق لكل من دخل الجنة برحمة الله من السابقين واللاحقين، وإن تفاوتت منازل أهل الجنة ومراتبهم

١٠٢٦. فيها: تسلية على ما فات من حظوظ الدنيا، وأن نعيم الجنة ينسي شقاء الدنيا. وفي الحديث: "فيغمس فيها غمسة...".

١٠٢٧. ذم الخوف والحزن، وأن الجنة منزهة عن هذا.

١٠٢٨. فيها إشارة إلى: سوء أدب الكافرين بربهم، وأنهم يخوضون ويقولون على الله ما لا يعلمون.

١٠٢٩. والنكرة في قوله: ﴿بِرَحۡمَةٍ﴾، تشير إلى شناعة قول الكفار، وكأنهم يقولون: والله لا ينالهم الله بأدنى رحمة. وقد كذبوا.

١٠٣٠. فيها أن الجنة مسكن الضعفاء المتواضعين لله المذلين أنفسهم له، حتى أن بعض الناس كانوا يحتقرونهم في الدنيا، وأن النار دار المتكبرين، كما في الحديث: أَلا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ الجَنَّةِ؟ قالوا: بَلَى، قالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أَقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ، ثُمَّ قالَ: ألا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّارِ؟ قالوا: بَلَى، قالَ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ.

١٠٣١. فيها ضعف عقول الكافرين حيث أقسموا على شيء هو من علم الغيب، وأنهم لم يؤمنوا بما جاءت به الرسل.

١٠٣٢. تفيد أن أعظم بشارة يسمعها المؤمن في الآخرة ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ...﴾.

١٠٣٣. تفيد أن الكفار والمشركين يعرفون الله تعالى؛ لقولهم: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾لكنهم أشركوا به في العبادة فعبدوا غيره ظلما واستكبارا

١٠٣٤. فيها أن من نعيم الجنة نسأل الله الكريم من فضله أن أهلها لا يخافون من المستقبل ولا يحزنون على الماضي وهذا تمام الأمن والطمأنينة، جعلنا الله جميعا من أهلها.

١٠٣٥. فيها: ولاية الله لعباده وأوليائه المؤمنين؛ حيث دافع عنهم دفاعا عمليا؛ بأمره إياهم دخول الجنة، ووبخ أعدائهم الكفار وأغاظهم؛ بتعريضه أن لهم ما به يخافون ويحزنون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠]

١٠٣٦. تفيد أن هنالك خطاب وكلام بين أهل النار وأهل الجنة.

١٠٣٧. تفيد بعد المسافة بين أهل النار وأهل الجنة ﴿فَنَادَىٰ﴾.

١٠٣٨. تفيد: أن طعام الجنة، محض رزق من الله على أهلها.

١٠٣٩. تفيد عظم نعمة الماء فهي أول طلب لأهل النار أعاذنا الله منها.

١٠٤٠. في تقديم الماء على الطعام لشدة الحاجة إليه، فهو أولى في تخفيف الحرارة والعطش.

١٠٤١. فيها إشارة إلى أن النعم من الشراب والطعام وسائر الملذات حاملة على شكر المنعم والاعتراف له بالفضل سبحانه.

١٠٤٢. تفيد التنفير عن الكفر الذي هو سبب حرمان النعيم والخلود في الجحيم.

١٠٤٣. تفيد أن رزق الدنيا والآخرة كله من الله تعالى وحده فلا يطلب رزق من غيره ممن لا يملكون من قطمير.

١٠٤٤. تفيد أن الكافر يبحث عن كل سبب يخفف عنه ما هو فيه من العذاب، وتكون النتيجة عكس ما أراد بما يزيده حسرة وندامة وعذاب.

١٠٤٥. تفيد أن رزق أهل الجنة كثير وواسع لا يحصى ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

١٠٤٦. تفيد أن الرزق في الدنيا والآخرة من الله عز وجل وحده؛ ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

١٠٤٧. تفيد: قوله: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

١٠٤٨. فيها أن الكفار مبلتون بسؤال غير الله .

١٠٤٩. تفيد أن الكفر هو سبب هذا العذاب والحرمان؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾فليحذر الإنسان من الكفر وأسبابه وليستعذ بربه منه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر". في الصباح والمساء.

١٠٥٠. فيها إشارة إلى: عدم تعدي المؤمنين حدود الله، ووقوفهم عند حدوده؛ لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وكأنهم يقولون: وكيف نفعله، وقد حرمه الله؟، إنا كنا نطيعه في الدنيا، أفنعصيه في الآخرة بعدما أدخلنا الجنة؟!. وهذا يدلك أن المؤمنين لا يخشون في الله أحدا، ولا يحابون فيه أحدا.

قَالَ تَعَالَى:﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١]

١٠٥١. تفيد النهي عن اتخاذ الدين لهوا ولعبا كما يفعل المتصوفة ونحوهم ممن يذكر الله تعالى بالطبول والرقص والوجد.

١٠٥٢. فيها تسمية الحياة بالدنيا ومن معاني الدنيا الانقضاء وسرعة الزوال من الدنو؛ أي: القرب. أو أطلق عليها ذلك لتدني منزلتها عند الله، وكلا المعنيين جاءنا في صورة الذم.

١٠٥٣. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الاستهزاء بالدين والسخرية منه كفر يوجب الخلود في النار؛ ولقوله قبلها: ﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

١٠٥٤. تفيد التحذير من الاغترار بالدنيا وزخرفها الفاني؛ ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

١٠٥٥. وفيها أن الاغترار بالدنيا يحمل على اتخاذ الدين لهوا ولعبا؛ لأن عطف ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾من وجوهه أنه عطف سبب على مسبب.. وهذا سر من أسرار تحذير الله عباده من الاغترار بالدنيا في غير موضع من القرآن الكريم

١٠٥٦. فيها أن كل أحد سيلاقي ربه ليس بينه وبينه ترجمان، وقال تعالى:﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾.

١٠٥٧. فيها أن الله لم يخلق الخلق هملا، بل لا بد فيه من يوم يرجعون فيه إليه للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾.

١٠٥٨. تفيد أن الجزاء من جنس العمل، من أشد أنواع العذاب إهمال من كانوا أعزاء وأكثر أموالا وأولادا في الدنيا، فهم في طي النسيان في الآخرة حيث لا جاه ولا سلطان الا العمل الصالح الخالص لوجهه.

١٠٥٩. فيها أن الدين جد كل لا يقبل أن يتخذ مجالا للهو واللعب سواء في تطبيقه أو تأويله أو فهمه.

١٠٦٠. تفيد التوجيه إلى الجدية في الحياة خصوصا في أمر الدين؛ ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾.

١٠٦١. تفيد خطورة نسيان الآخرة وأنه من أسباب الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة؛ قال: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾وقال: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢]

١٠٦٢. ناسـب بعد ذكر أحوال أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف للتحذير من سوء العاقبة، أن يذكر الكتاب وما فيه من منافع وبيان لأسباب النجاة والسعادة.

١٠٦٣. فيها، وبضـميمة ما قبلها: تسـلية للدعاة إلى الله؛ فإعراض المعرض، ليس ذما في بيانك للحق؛ فالقرآن وهو المفصـل من الذي علم البيان، ومع ذلك جحدوا آياته. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

١٠٦٤. تفيد إعذار الله عز وجل للمشركين بإنزال الكتاب المبين.

١٠٦٥. فيها تأكيد على أن القرآن محكم قيم غير ذي عوج؛ لأن ما فيه من تفصـيل إنما هو من العليم الحكيم سـبحانه.. جمع بين خيري الدنيا والآخرة، ففيه ﴿هُدًى﴾دلالة الحق، فينجي من الضلال..

١٠٦٦. فيها إظهار لسـعة رحمة الله الذي امتن على عباده بتفصـيل ما يحتاجون من العلم والعمل.

١٠٦٧. في التفصيل دقة التناسب مما يؤكد أن القرآن الكريم يصلح لكل زمان، وينتفع المؤمن به في الدنيا قبل الآخرة

١٠٦٨. فيها: رد على المنافقين والزنادقة، الذين يزعمون أن أحكام القرآن غير صـالحة لهذا الزمان ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ لقوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، بما هو كـائن إلى يوم القيامة؛ ومن جملة ذلك، أنه يعلم ما يحتاجه الناس وما يسـعدهم في الدنيا والآخرة. ونقول لهم: بل إن أحكام إخوانكم من اليهود والنصارى، هي التي لا تصلح لهذا الزمان ولا لأي زمان، وإن عمل بها أشقت في الدارين.

١٠٦٩. تفيد تعظيم الرب جل وعلا؛ لصـيغ الجمع في الآية التي تدل على العظمة والكبرياء: ﴿جِئْنَاهُم ..فَصَّلْنَاهُ﴾.

١٠٧٠. فيها الحث على استخراج ما في القرآن الكريم من هدايات وتفصيلها لينتفع بها لأنها من هذا الكتاب المفصل.

١٠٧١. تفيد أن كل حرف وكلمة وضعت في القرآن لها دلالتها لأنها وضعت بعلم تام وحكمة كاملة فيها: أن القرآن، حجة على الكافرين.

١٠٧٢. فيها: قوله ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

١٠٧٣. تفيد أن المؤمنين الصادقين ينتفعون بما في القرآن من هدى ورحمة وعلى قدر الإيمان يكون ذلك الانتفاع.

١٠٧٤. تفيد – بمفهوم المخالفة – أن من ترك العمل بالقرآن الكريم فهو على ضلال وجهل، وفي الأثر: "ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله".

١٠٧٥. فيها " أن العلم قبل القول والعمل "كما بوب الامام البخاري

١٠٧٦. هذه الآية أصل كبير للمعنيين بالتعليم والدعوة والإرشاد حيث أنها تضمنت الأركان الأساسية التي ينبغي أن يعنى بها المخططون والمنفذون للتعليم والدعوة والإرشاد وذلك كما يلي:

أولا: المنهج (البرنامج): والذي يدل عديه الكتاب المفصل تفصيلا قائما على العلم، والفصل يعني إبانة أحد الشيئين عن الآخر. والتفصيل يعني الإبانة والتوضيح. فهذا منهج متضمن لآليات تعليمه كما يسمى في العلوم المعاصرة بالتصميم التعليمي. وفي هذا فائدة عظيمة للاهتمام بتصميم المادة التعليمية والدعوية والإرشادية وخاصة في العلوم الدينية.

ثانيا: وضوح الأهداف والغايات: ويدل عليه ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾. فغاية الكتاب الهدى والرحمة، ويا لها من غايات وأهداف واضحة وشاملة وضرورية وذات أهمية عالية. ويستفاد من هذا تحديد الهدف الواضح البين المهم جدا لكل خطاب دعوي وتعليمي.

ثالثا: تحديد النواتج والجهة المستفيدة: ويدل عليه ﴿لِّقَوۡمٖ...﴾.

١٠٧٧. تفيد أهمية الإيمان وأثره في الانتفاع بالقرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]

١٠٧٨. فيها صدق ما جاء في القرآن عن مصير المكذبين وما سيؤل إليه أمرهم.

١٠٧٩. فيها دعوة للاهتمام بالمستقبل الحقيقي، وأن العبد سيؤول به الحال بحسب ما قدم من التصديق والعمل.

١٠٨٠. فيها التنبيه إلى معنى التأويل في القرآن وهو بمعنى العاقبة وما يؤول ويعود إليه الشيء ويقع في الخارج. كما ورد استعماله عند السلف بمعنى: التفسير أما مصطلح التأويل عند الخلف فهو في الحقيقة بمعنى التحريف وإنما سمي تأويلا ليقبل.

١٠٨١. تفيد خطر الغفلة ونسيان الذكر؛ لقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾.

١٠٨٢. تفيد: أن القيام تظهر فيها حقائق الأمور؛ ولذا سماها {الحاقة}؛ لقوله – حكاية عنهم –: ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾.

١٠٨٣. تفيد: أن اعتراف من نسي الله وأعرض عن ذكره وما جاءت به الرسل من الحق والصدق لا ينفعهم هذا الاعتراف ولا يجدي نفعا وذلك عند معاينة الجزاء ووقوع ما أخبر الله به.

١٠٨٤. فيها أن المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين، وفي الحديث (قل لا إله إلا الله كلمة احاج لك بها عند الله).

١٠٨٥. فيها التنبيه على الشفاعة المنفية التي انخرم أحد شروطها فليست كل شفاعة نافعه.

١٠٨٦. تفيد: انعدام الشفعاء لهؤلاء يوم القيامة؛ جزاء وفاقا، فقد كانوا يعبدون سرابا في الدنيا، ولذا لم يجدوهم في الآخرة؛ لقوله: ﴿فَهَل لَّنَا﴾، ولم يقولوا: فاشفعوا لنا – مثلا –.

١٠٨٧. فيها فساد فطر الكفار وكذبهم حيث إنهم طلبوا الرجوع للدنيا ليعملوا غير الذي كانوا عملوه، وذلك من هول ما عاينوا، ولكن الله سبحانه أكذبهم، حيث قال في آية أخرى ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾.

١٠٨٨. تفيد أهمية العمل الصالح وأثره في النجاة من العذاب؛ لقولهم؛ ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ﴾.

١٠٨٩. تفيد التخويف من العمل السيء الذي يسوء صاحبه يوم القيامة؛ لقولهم؛ ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ،﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾.

١٠٩٠. تفيد: أن الاعتقاد، يسمى عملا؛ لقوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾، ويدخل في الشرك بداية.

١٠٩١. تفيد: أن أعظم خسران هو خسران النفس فإن من خسر نفسه خسر كل شيء ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

١٠٩٢. تفيد أن نسيان ما جاءت به الرسل، والشرك باتخاذ الشفعاء من دون الله من أسباب خسارة النفس وهلاكها ذلك هو الخسران المبين.

١٠٩٣. فيها بطلان كل ما يعبد من دون الله من طواغيت حيث لم تغن عن نفسها شيئا، فضلا عن أتباعها تفيد عاقبة الشرك السيئة وأن المشرك لا ينتفع بمن عبدهم في الدنيا ولا في الآخرة؛ لقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله، ويفترونه في الدنيا مما يَعِدُهم به الشيطان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

١٠٩٤. في الآية علاقة بالتي قبلها، قال البقاعي رحمه الله: (ربما قال الكفار: ماله إذا كان قادرا وأنت محق في رســالتك لا يعجل لنا الإتيان بتأويله، بين أن عادته الاناءة وأن كان أمره وأخذه كلمح البصر إذا اراده، فقال في ستة أيام.

١٠٩٥. فيها: الجمع بين توحيد الربوبية والألوهية؛ لقوله: ﴿رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾.

١٠٩٦. تفيد انفراده تعالى بالخلق دون شريك له.

١٠٩٧. تفيد: أن الله، له الحكمة البالغة في تأخير الشيء وتقديمه؛ لقوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولو شاء لقال لها ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.وهنا نكتة مهمة، إن من الناس يستعجل ربه في قضاء حاجته، حتى إنه ليسيء الظن بالله إذا أخر عنه؛ ولكنه لو استشعر معنى الآية ولمست قلوبه، تالله لما أساء الظن به طرفة عين. فالزم الباب واجتهد في الدعاء والإلحاح، ولا عليك بعدها؛ فإنه سيستجيب لك قطعا على يقتضيه فضله وعدله وحكمته؛ قال الله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

١٠٩٨. فيها: تعليم الخلق على التثبت والتأني في الأمور كما قال سعيد بن جبير لإنه سبحانه وتعالى قادر على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة أيام.

١٠٩٩. فيها إن الشــيء إذا حدث دفعة واحدة فلعله يخطر بالبال أن ذلك الشــيء إنما وقع على سبيل الاتفاق، فإذا حدث شيئا فشيئا على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة، وقيل: إن التعجيل في الخلق أبلغ في القدرة والتثبت أبلغ في الحكمة فأراد الله تعالى إظهار حكمته في خلق الأشياء بالتثبيت كما أظهر قدرته في خلق الأشياء بكن.

أفاده الالوسي.

١١٠٠. فيها: إثبات صفة من صفات الخالق العظيم وهو استواؤه تعالى على عرشه وكل صفة لله عزوجل تمرر كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل وهو مذهب السلف الصالح.

١١٠١. تفيد: أن الله، منزه أن يحتاج لشـــيء مهما عظم؛ لأنه ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، بعد أن خلقه وأوجده. إنه المستغني عن العرش، ألا يستغني عنك؟، وإنما قبلك لقوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾.

١١٠٢. فيها: بيان فضـل الله على عباده، حيث جعل لهم الليل والنهار؛ قال الله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [القصص ٧١-٧٢].

١١٠٣. فيها: دقة نظام هذا الكون، الدالة على حكمة الله البالغة؛ لقوله: ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾، فلا يتأخر أحدهما عن الآخر؛ قال الله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

١١٠٤. تفيد: الحث على العمل الصالح؛ فإن الليل والنهار يعملان عملهما فيك؛ سيما وقد قال: ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ سريعا. فلعل فيها: إشارة بسرعة مرور الأيام. ولكن البركة بيد الله.

١١٠٥. فيها: جواز حذف ما دل الظاهر عليه؛ لقوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾، والنظائر كثيرة. قال السمعاني في تفسيره: فِيهِ حذف، وَتَقْدِيره: يغشي اللَّيْل النَّهَار، ويغشي النَّهَار اللَّيْل.

١١٠٦. تفيد أن الشـــمس والقمر والنجوم من آيات الله العظيمة الدالة على وحدانيته؛ ويؤكد ذلك أنها خصت بالذكر في الآية مع أن كل ما في الكون مسخر بأمر الله تعالى.

١١٠٧. فيها: بيان عظيم قدرة الله وســـلطانه، حيث أن ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾.

١١٠٨. تفيد: أن الله ما خلق السماوات والأرض وكل هذا الخلق، سدى وهملا؛ بل خلقهما بالحق، والذي من جملته: أن يعبد ويطاع وحده بلا شــريك؛ ولذا قال: ﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾، وكل هذا يتوجب قيام القيامة والبعث؛ وتصـــديقه: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

١١٠٩. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن كل ما سواه مفتقر إليه.

١١١٠. في الآية الســـابقة في قوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾دليل على أن القرآن غير مخلوق لأن الله عطف الأمر وهو كلامه تعالى على الخلق. والأصـــل أن العطف يقتضـــي المغايرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥]

١١١١. لما سبق التدليل على كمال قدرته وعظيم خلقه سبحانه ناسب التكليف بالتوجه إلى العظيم الحكيم قيوم السماوات والأرض سبحانه بالدعاء والتضرع..

١١١٢. تفيد، وبضـــميمة ما قبلها: أن دعاء غير الله أعظم الاعتداء؛ لأنه المنفرد بالخلق، فكيف يدعى غيره الذي ليس له شـرك في الســماوات والأرض؟!. بل إن الآية ذاتها دلت على هذا؛ لقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾، المنفرد بالخلق والملك والتدبير.

١١١٣. تفيد فضل الالحاح في الدعاء والمسألة ﴿تَضَرُّعًا﴾

١١١٤. أفضل الدعاء أخفاه وأخشاه.

١١١٥. في الآية توجيه لتمتين العلاقة بالرب العظيم الحكيم.

١١١٦. في ورود اسم الرب تودد وتلطف من العظيم سبحانه في تكليف العباد.

١١١٧. تفيد أن الله تعالى يحب أن يُســأل ســراً لكمال غناه وعزته وقوته، ويحب ابن آدم أن يُسأل علانية لحاجته وضعفه ومنته.

١١١٨. فيها توجيه لأن يدعو العبد ربه خائفا وجلا؛ طامعا في إجابة الله لدعائه.

١١١٩. تفيد أنه كلما خلا الإنسان بنفسه كان أقرب لله تعالى.

١١٢٠. تفيد: وجوب تعلم فقه الدعاء؛ امتثالا للأمر وتجنبا للتعدي.

١١٢١. يفيد: أن دعاء المستغني والغافل، لا يستجاب؛ لمنافاتهما التضرع والخوف.

١١٢٢. في إخفاء الدعاء اقتداء بنبي الله زكريا، والذي رضـــي الله فعله واســـتجاب دعائه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

١١٢٣. تفيد: التحذير من الصراخ في الدعاء. وفي روح المعاني: وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ في الدعاء خصوصا في الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستك المسامع وتستد ولا يدرون أنهم جمعوا بين بدعتين رفع الصوت في الدعاء وكون ذلك في المسجد.

١١٢٤. فيها أن من كمال الدعاء أن يظهر فيه الداع عجزه وفقره وحاجته إلى فضل ربه وأن يقترن الدعاء بإظهار الذل لله.

١١٢٥. فيها أن ما يطرأ على العبادة قد يفسدها أو ينقص من أجرها، ومثال ذلك هنا الاعتداء في الدعاء. من صور الاعتداء في الدعاء ما رواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول:(اللهم إني أسألك القصر الأبيض من الجنة عن يمين الجنة إذا دخلتها قال يا بني سل الله الجنة وتعوذ من النار فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء).

١١٢٦. فيها: بيان عظمة الله وقدرته؛ حيث أمرهم بإخفاء الدعاء، ومع ذلك يسمعه وهو في السماء على العرش.

١١٢٧. فيها التأدب مع الخالق ولله المثل الاعلى ومن كل من علا قدره.

١١٢٨. فيها: حث النفس على فعل ما يستوجب محبة الله، والبعد عما يصرف هذه المحبة؛ ولذا تراه في مثل هذا يقول: ﴿لَا يُحِبُّ﴾. وهذا يدلك على أهمية استجلاب محبة الله، وأن صرفها عن العبد خسارة عظمى.

١١٢٩. فيها تحريم الاعتداء في كل الأمور وهو مجاوزة الحد المشروع ولذلك قال تعالى في القتال: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ ومثلها في تحريم الطيبات وفي التعامل مع النساء ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾فيها أن من خصائص هذا الدين البارزة أنه دين الاعتدال والوسطيه الحقة في كل شيء لا الوسطية المعتدى عليها.

١١٣٠. تفيد أن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه، وأعظم التجاوز الشرك بالله، كدعاء غير الله من الأموات والأوثان، ونحو ذلك.

١١٣١. تفيد فضل الدعاء للأمر به في قوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾وفي الحديث الحسن: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة" وقال: "من لم يسأل الله يغضب عليه. والآيات والأحاديث كثيرة في هذا المعنى.

١١٣٢. تفيد أن أعظم العدوان في الدعاء دعاء غيره، فإن أعظم العدوان الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ ومن العدوان أن يدعوه غير متضرع؛ بل دعاء هذا كالمستغني المدلي على ربه، وهذا من أعظم الاعتداء لمنافاته لدعاء الذليل، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد.. ومن الاعتداء أن يعبده بما لم يشرع، ويثني عليه بما لم يثن به على نفسه، ولا أذن فيه، فإن هذا اعتداء في دعائه: الثناء والعبادة وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب.. (مجموع الفتاوى)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]

١١٣٣. تفيد أن الأرض خلقت من أوّل أمرها على صلاح قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾

١١٣٤. التّصريح بالبعدية هنا تسجيل لفظاعة الإفساد بأنّه إفساد لما هو حسن ونافع، فلا معذرة لفاعله ولا مساغ لفعله عند أهل الأرض.

١١٣٥. تفيد أن الله تعالى أصلح الارض بإرسال الرسل وأنزال كتبه، والظلم الذي هو الإشراك أصل الفساد.

١١٣٦. فيها: أن الفساد طارئ؛ لقوله: ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾، ويشهد له قول الله: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾، وكأنه يقول: ولم يظهر قبلهم؛ ولأن فساد المعتقد الدافع لكل شر، في الأصل أنه طاري، وفي الحديث الإلهي: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم.

١١٣٧. فيها: أن الإسلام، يأمر بإعمار الأرض؛ بخلاف ما يشنعه أعداء الدين.

١١٣٨. فيها أن الفساد في الأرض يكون بفعل المعاصي وإصلاحها بفعل الطاعات ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ..﴾.

١١٣٩. تفيد فضل الإسلام في النهي عن الفساد في الأرض بخلاف أمم الكفر الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

١١٤٠. الدّعاء يكون لأجل خوف منه وطمع فيه، فحذف متعلِّق الخوف والطّمع لدلالة الضّمير المنصوب في قوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾.

١١٤١. تفيد: أن إخفاء الدعاء، هو الأصل؛ فلا ينقل عنه إلا بدليل؛ كما ورد في دعاء الخطيب في الجمعة والاستسقاء، والقنوت. وعليه: فلا يجوز للداعي أن يدعو ويسمع من حوله، ولما فيه من التشويش والأذية.

١١٤٢. تفيد: التحذير، من دعاء الله على جهة المزاح – تعالى الله –؛ كما يفعله من لم يرج لله وقارا؛ في وسائل الإعلام والتواصل. ففاعله على خطر عظيم. ويدخل في ذلك، التحذير من الدعاء على النفس أو الولد، على جهة المزاح.

١١٤٣. فيها الرد على غلاة الصوفية الذين يقولون نعبد الله حبا وعشقا له تعالى لا خوفا من عقابه ولا رجاء في رحمته، والقاعدة عند أهل السنة أن:

- من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري.
- ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ.

- ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق.
- ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب فهو المؤمن الموحد.

ثم إن لفظ "العشق"، لا يجوز إطلاقه على الله.

١١٤٤. ذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع له فيه ممتنع، وذكر الخوف في آية الذكر لشـــدة حاجة الخائف إليه فذكر في كل آية ما هو اللائق بها من الخوف والطمع، فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما في الصدور..(قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى)

١١٤٥. تفيد أن الرحمة صفة من صفات الرب والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه لأن الصفة لا تفارق موصوفها فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف أولى بالقرب منه بل قرب رحمته تبع لقربه هو من المحسنين...ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين وذلك يستلزم القُربين: قربه وقرب رحمته.

١١٤٦. فيها فضل الإحسان وأنه من الأسباب الجالبة لرحمة أرحم الراحمين وذلك لأن الرحمة من أهم دوافع الإحســـان إلى الآخرين فكان الجزاء من جنس العمل فكانت الرحمة الإلهية قريبة من المحسنين

١١٤٧. فيها أن ذكر الإحسان بعد الأمر بالدعاء تنبيه إلى أنه من موجبات الإجابة وأسبابها. فمن رام على الإجابة فليحســن الدعاء فلا يعتدي وليحســن العمل وليحســن الى الخلق فمن كان كذلك فحري ألا ترد دعوته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧]

١١٤٨. فيها: بيان مظاهر قدرة الله عزوجل حيث يرسل الرياح مبشرات برحمته وحمل الرياح للسحاب ثم يسوق الله عزوجل السحاب إلى بلد ميت فينزل الماء فيخرج به الثمرات كلها دلائل عظيمة على عظيم قدرة الله عزوجل وعظيم خلقه وكامل تصريفه سبحانه وتعالى.

١١٤٩. عبر بالفعل المضارع ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ليفيد التجدد.

١١٥٠. تفيد: أن الرياح ليست كلها مبشرات.

١١٥١. تفيد: أن الرياح مسخرة بأمر الله.

١١٥٢. المطر غالبا يستبشر به الناس وهو جند من جنود الله يأتي بالنماء والخير، ولكن قد يأتي بالهدم والغرق والعذاب كما حدث لقوم نوح ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾.

١١٥٣. فيها: رد على من ينسب المطر وكيفية تكونيه ونزوله لفعل الطبيعة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

١١٥٤. فيها: إعجاز علمي، حيث ذكرت الآية مراحل تكوين المطر وكيفية نزوله وأثره على الأرض الجدباء. وتأمل قوله: ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، يوجه حيث أراد؛ فهم يقولون: إن اتجاه الرياح، عامل أساسي يحدد كمية المطر.

١١٥٥. فيها: أن المتحكم في الكون عامة، وفي الماء خاصة هو الله وحده؛ لقوله: ﴿سُقۡنَٰهُ﴾، وكما قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾.وعليه: فلا يخاف المسلم غير الله أن يمسك عليه أحد الماء في سد أو غيره.

١١٥٦. الماء أصل الحياة ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾وكما أحيا الارض بالزرع وإخرج أنواع الثمار، كذلك قادر سبحانه على إحياء الموتى.

١١٥٧. في الآية عظيم قدرة الله، فالماء واحد والتراب هو التراب ولكن الثمرات تخرج مختلفة.

١١٥٨. فيها: بيان كثرة الخير الذي يسوقه الله لعباده؛ لقوله: ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾، والتنكير هنا للتكثير.

١١٥٩. فيها: تعظيم الله؛ لقوله: ﴿سُقۡنَٰهُ﴾، ﴿فَأَنزَلۡنَا﴾، ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾، ﴿نُخۡرِجُ﴾، والنون للعظمة والجمع للتعظيم.

١١٦٠. فيها: تقرير عقيدة البعث بعد الموت والمجازاة على الأعمال.

١١٦١. فيها: ضرب المثل حيث ضرب الله المثل بإحياء الأرض بعد موتها بإحياء الأجساد بعد أن تصير رميما يوم القيامة.

١١٦٢. فيها الدليل العقلي على إثبات البعث؛ لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾.

١١٦٣. فيها أن البلدان تموت وتحيا.

١١٦٤. فيها إشارة إلى: الحديث الذي فيه: "... ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة". رواه البخاري وغيره.

١١٦٥. تفيد: أن الإيمان بالبعث، سبب في تذكر وإحياء القلوب.

١١٦٦. تفيد أن التأمل في الآيات الكونية والشرعية يورث التذكر؛ لقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

١١٦٧. تفيد: النظر في الكون وخلق الله، والاستدلال به على قدرته – سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]

١١٦٨. فيها مناسبة دقيقة لما قبلها، وكأنه يقول: فكما أن الأرض الطيبة تنبت نباتها وتنتفع بالمطر بإذني، فكذا الهداية والانتفاع بالآيات بإذني. وإن لم يُستحضر هذا، أشكل وجه الهداية هنا.

١١٦٩. فيها: التأدب مع الله عز وجل؛ لقوله: ﴿ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ثم قال في الخبيث: {لا يخرج إلا نكدا}، فلم يقل: بإذنه، ولم يقل: نخرجه. فهو من قبيل قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾، مع أنه قال قبلها: ﴿يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ﴾. وهذا ظاهر – إن شاء الله.

١١٧٠. تفيد أثر الهدى في قلب المؤمن كيف يقبله قلبه وكيف يكون أثره عليه طيبا في حياته وبعد مماته، وكيف يكون أثره في قلب الكافر.

١١٧١. تفيد أهمية ضرب الأمثال في بيان الحق وتوضيحه للناس.

١١٧٢. تفيد كما أن الأرض تحيا بوابل السماء فالقلوب تحيا بنور الوحي.

١١٧٣. تفيد أن البلاد فيها الطيب والخبيث كما أن الناس كذلك فيهم الطيب والخبيث؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكانت منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا. ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ". متفق عليه

١١٧٤. تفيد أن الأسباب ليست مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك؛ لقوله: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾، قال السعدي: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾أي: بإرادة الله ومشيئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك.

١١٧٥. تفيد أن من من الله عليه بالهدايات ورأى أثر ذلك في قلبه وجوارحه فليشكر ربه فهي منة منه عليه.

١١٧٦. تفيد أثر الهدى على حياة الفرد والمجتمع.

١١٧٧. تفيد أن أهل الشكر هم المنتفعون بالآيات؛ قال السعدي: أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في

مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحيا، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها. وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلا قابلا، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئا.

١١٧٨. تفيد: أن الله، نوع البراهين والأدلة لإثبات الحق، ولكن لا ينتفع بها إلا الشاكرون.

١١٧٩. فيها: إذن الله، وأنه لا سبيل لخروج شيء وولوجه إلا بإذن الله وحده. وعليه: فمن أصيب في زرعه وخسر، ولم تنتج الأرض ما كان يرجوه، فليصبر ويحمد الله، وليعلم أنه وقع بإذن الله، فإن فعل عوضه ربه.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩]

١١٨٠. سورة الأعراف بدأت فيها أغلب قصص الأنبياء في القرآن وقصة نوح عليه السلام بدأت ﴿لَقَدۡ﴾بدون واو إشارة إلى ابتداء القصة وفي جميع القران جاءت بواو ﴿وَلَقَدۡ﴾عطفاً على سورة الأعراف واستكمالاً لما بدأت به.

١١٨١. تفيد: رحمة الله بعباده بإرسال الرسل إليهم.

١١٨٢. فيها حاجة البشرية للرسل، وأنها لا تستقيم بدونهم.

١١٨٣. تفيد أن الرسل يبعثون إلى اقوامهم خاصة بخلاف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإنها عامة؛ لقوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾.

١١٨٤. رسالة نوح عليه السلام فيها عمومية ولكنها عمومية خاصة بقومه بينما رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة لقومه وللناس أجمعين إلى يوم القيامة.

١١٨٥. فيها إثبات الرسالات وأولها رسالة نوح عليه السلام وأنها حق لا ريب فيه.

١١٨٦. فيها توجيه للدعاة والمصلحين؛ للمسارعة في الدعوة وبذل النصح.

١١٨٧. تفيد: تودد نوح عليه السلام لقومه وتواضعه لهم ﴿يَٰقَوۡمِ﴾

١١٨٨. تفيد: أهمية التوحيد، وأنه أعظم ما يدعو النبي قومه إليه.

١١٨٩. التركيز على جانب التوحيد والإيمان باليوم الآخر وما يترتب على ذلك هي ركيزة مهمة في الدعوة إلى الله

١١٩٠. فيها بيان معنى التوحيد بتأكيد ركنيه وهما النفي والإثبات ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إثبات العبادة لله وحده ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾نفي عبادة ما سوى الله ولا يغني أحد الركنين عن الآخر.

١١٩١. فيها توحيد الألوهية (العبادة) هو أول دعوات الأنبياء لأن الخلاف مع أقوامهم إنما هو في إثباته .

١١٩٢. تفيد رحمة نوح عليه السلام بقومه وشفقته عليهم ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾

١١٩٣. فيها تأكيد الكلام بجملة من المؤكدات حين يكون الأمر عظيما (القسم ولام القسم وقد وغير ذلك)

١١٩٤. التخويف والإنذار مسلك دعوي ينبغي عدم إغفاله.

١١٩٥. بيان حقيقة الدعوة والتلطف في الدعوة مع التخويف كلها أمور تلزم الدعاة.

١١٩٦. فيها التخويف لمن لم يحقق توحيد الله تعالى في العبادة وأنه متوعد بـ ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾

١١٩٧. فيها بيان سرعة استجابة الأنبياء في تبليغ رسالة ربهم، وإيصال الخير للمدعوين، بدلالة "الفاء" ﴿فَقَالَ﴾.. وكما قال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾، ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

١١٩٨. تفيد: أن التوحيد، أعظم المنجيات من عذاب الله، وما وقع العذاب وحل بالأمم إلا بالإشراك.

١١٩٩. تفيد قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾. لقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ بحق، وإلا فإن لهم آلة أخرى؛ وتصديقه: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ...﴾.

١٢٠٠. فيها: خوف الرسـل على أقوامهم من عذاب الله؛ فلنتأسّ بهم؛ وكما قال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

١٢٠١. تفيد: أهمية التخويف بعذاب الله في الدعوة إليه – سـبحانه. فإذا تعمد الداعي ألا يتعرض للنصوص الوعيد، ففي دعوته خلل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٠-٦١]

١٢٠٢. فيها: أن من يعترض على دعوة الرسل هم رؤساء القوم وكبراؤهم.

١٢٠٣. فيها: انقلاب الموازين وانتكاس المفاهيم عند أولئك القوم حيث يرون أن من يدعوهم إلى الهدى هو الضال.

١٢٠٤. فيها أهمية اعتبار الملأ وقدرتهم على التأثير وعدم الاستهانة بهم أو استعدائهم.. وهذا ظاهر في قبول الرسل لخطابهم والرد عليهم كممثلين لشرائح مجتمعية تتستر بهم..

١٢٠٥. تفيد، وبضميمة السابق واللاحق: أن نوحا – عليه السلام –، أول رسول أرسله الله للناس؛ ولأنه لما شرع في سرد قصص الرسل، بدأ بنوح – عليه السلام.

١٢٠٦. تفيد أن أكثر من يقفون في وجه الحق كبراء الناس الذين تهدد دعوة الحق مصـالحهم القائمة على الباطل.

١٢٠٧. تفيد أهمية وصول الدعوة لكل الناس وعدم حصرها على فئة محددة.

١٢٠٨. تفيد أن الناس أعداء ما جهلوا.

١٢٠٩. تفيد أن الجهل مع الجاه من موانع قبول الحق.

١٢١٠. تفيد أن الأذى في الدعوة قد يكون من القريب أكثر من البعيد ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾.

١٢١١. تفيد أن اتهام أهل التوحيد بالضلال شنشنة قديمة في الأمم.

١٢١٢. تفيد أن التهم التي لا تقوم على بينات لا ينبغي أن يلتفت إليها ﴿لَنَرَىٰكَ﴾مجرد رؤية ليس معها دليل أو برهان.

١٢١٣. تفيد أن أهل الباطل قد يجتمعون على شـــبهة معينة يرمون بها أهل الحق ويظلون يرددونها حتى تستقر عند العامة.

١٢١٤. فيها أن تنميق الكلام لا يجعل الباطل حقا بقولهم ﴿مُّبِينٍ﴾وبعبارة أخرى: ليس كل من قال قولاً ووصفه بأحسن الأوصاف كان صادقاً فيه. ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وصف حالة الضلال بالظرف﴿فِى﴾للمبالغة في إحاطة الضــلال به كأنه محيط به من جوانبه احاطة الظرف بالمظروف منغمس فيه- حاشاه عليه السلام- وتقييد الضلال بي ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾وايثار فعل الرؤية ﴿لَنَرَىٰكَ﴾بدلا من غيره وكأنه أصبح شيئا محسوسا مرئيا وقد دل على عظم الافتراء وشدة التكذيب.

١٢١٥. فيها تصديق لقول القائل: "وظلم ذوي القربى أشد مضاضة... على الحر من وقع الحسام المهند"؛ لقوله: ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾، وتصديقه: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فمثل نوح – عليه السلام – لا يقال له هذا ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بل يقال له: سمعنا وأطعنا.

١٢١٦. فيها تصـديق قوله:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾. ففيها تسلية للنبي وورثته – صلى الله عليه وسلم.

١٢١٧. تفيد: أن أول ما تصدع بالحق، ستجد من يخالفك حتما.

١٢١٨. تفيد: أن من الناس من يألفك عمرا طويلا، لكن إذا أمرته بالحق أخذ في معاداتك؛ لقوله: ﴿لَنَرَىٰكَ﴾، ولم يقولوا: وجدناك؛ دليل أنهم كانوا قبل بعثته يتعايشـــون معه – صـــلى الله عليه وسلم – بسلام. ولعل فيه: أنهم صدعوا بمخالفته أبدا؛ وكأنهم يقولون: ستظل رؤيتنا فيك،

أنك في ضلال ما عشت أبدا ودعوتنا إلى ما دعوتنا إليه. وهذا ما وقع بالفعل؛ قال الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.ولم يقولوا: رأيناك.

١٢١٩. فيها: أن من الناس، من يرى الحق باطلا؛ وليس هذا فحسب، بل يراه أشد الضلال؛ لقوله: ﴿مُّبِينٍ﴾. أعاذنا الله.

١٢٢٠. تفيد: أن الأنبياء، منزهون عن الضلال؛ فلا يصدر منهم إلا الحق؛ حتى وقت المزاح؛ ألا تراه يقول: أمزح ولا أقول إلا حقا؟ ونهى عن الكذب ولو في ضحك. وهذا يدلك أن الرسل، صفوت خلق على الإطلاق؛ قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٢٢١. تفيد: أن مدعي النبوة كلهم ضُلّال.

١٢٢٢. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾تدل على ان ليس كل الرؤى هي مسددة وصالحة فكثير من الباطل والضلال نشأ من الأفكار الفلسفات الخاطئة.

١٢٢٣. فيها رد على متبعي المفكرين وامثالهم ما أحسن هذا المنهج الذي يدل على ثبات وخلق عظيم! اللهم أعنا على التأسي بهم.

١٢٢٤. فيها: أن الداعية الموفق ينفي عن نفسه ما ينسبه إليه أعداؤه مما ليس فيه بكل هدوء مع بيان الحق بوضوح، فحين تتهم بنقيصة أو مذمة ليست فيك؛ فلا تزد على نفيها عنك، فهكذا كان أنبياء الله يفعلون: قال نوح "يا قوم ليس بي ضلالة" وقال هود "يا قوم ليس بي سفاهة".

١٢٢٥. فيها: تلطف الأنبياء مع أقوامهم في الرد عليهم. لم يقل "ضلالٌ" كقولهم لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ تقول: ما عندي تمرة، فتعمُّ بالنفي.

١٢٢٦. تفيد: أهمية التأكيد، والتعليل في الخطاب؛ فقوله: ﴿لَقَدْ﴾تأكيد وقسم. وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تعليل.

١٢٢٧. تفيد أن الله لم يخلق الخلق إلا لغاية، ليس سدى وهملا ، فقد أخبر عن خلقه السماوات والأرض وسائر المخلوقات، ومهمد الأرض للحياة، وبعد هذا كله أرسل الرسل لعبادته وحده لا شريك له..

١٢٢٨. تفيد أهمية التعامل مع اتهامات وشبه الأعداء بوعي دون تشنج ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ثم بين حقيقة أمره.

١٢٢٩. تفيد أهمية شجاعة الداعية في مواجهة كل من يقف في طريق الحق والهدى.

١٢٣٠. تفيد أهمية الحكمة في دفع شبهات أهل الباطل، وبيان الحق.

١٢٣١. تفيد أن هدي الأنبياء ليس للباطل إليه سبيل.

١٢٣٢. تفيد أن اتهامات أهل الباطل لأهل الحق لا ينبغي أن تأثر فيهم وتصرفهم عن دعوتهم.

١٢٣٣. تفيد أن منهج الانبياء واتباع الانبياء هو رد شبهة الباطل ونفي الغلط دون الدخول في النيات أو الاعتداء على الاشخاص أو المجاوزة في الكلمات، يُروى أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ورحمه؛ داس بقدمه رَجُلا من الرعية نائما في ظلام المسجد. فقال الرجل بغضب: ما لك؟! أأنت حمار؟ فقال عمر: لا، أنا أمير المؤمنين! فقال رفيق الأمير: دعني أفعل وأفعل، أيقول لأمير المؤمنين هكذا؟! فقال له الأمير عمر: لا تفعل، إنما سألني: أأنت حمار؛ فأجبته: لا، أنا أمير المؤمنين!!

١٢٣٤. تفيد أن الأنبياء لا يقابلون السيئة بمثلها؛ وبمثل هذا يرد على النصارى الذين يفترون على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال السمعاني في تفسيره: وَلم يقل: أَنْتُم الضلال، كَمَا جرت عادتنا.

١٢٣٥. تفيد: أن المخلوق المربوب، حقيق أن يقل ويذعن لما جاءت به الرسل؛ وهذا من أسرار مجيء قوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾هنا.

١٢٣٦. تفيد التخلية قبل التحلية ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]

١٢٣٧. تفيد أن وظيفة الرسل عليهم السلام هي البلاغ والنصيحة.

١٢٣٨. تفيد: فضيلة الرسل حيث إنهم هم المبلغون عن الله تعالى.

١٢٣٩. تفيد: سعي الرسل عليهم السلام إلى ما فيه خير وصلاح أممهم.

١٢٤٠. تفيد: تفرد الرسل بصفات لا يدركهم بها أحد من الخلق.

١٢٤١. فيه أن رسالات الأنبياء واحدة وهي توحيد الله، ودينهم واحد وهو الإسلام، ولكل شرعة ومنهاج فالإيمان بأحدهم يقتضي الإيمان بكل الرسل ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ..﴾ والتكذيب برسول واحد يقتضي التكذيب بكل الرسل، حتى وإن لم يدركوه ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ مع أن كل قوم كذبوا رسولهم فقط

١٢٤٢. تفيد جملة: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ صفة لرسولوالمقصود منها إفادة التّجدّد، وأنّه غير تاركٍ التّبليغَ من أجل تكذيبهم تأييساً لهم من متابعته إياهم، ولولا هذا المقصد لكان معنى هذه الجملة حاصلاً من معنى قوله: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ﴾، ولذلك جمع الرّسالات لأنّ كلّ تبليغ يتضمّن رسالة بما بلَّغَه. قاله ابن عاشور.

١٢٤٣. وجه العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ هو ما تؤذن به إضافة الرّب إلى ضمير المتكلّم من لزوم طاعته، وأنّه لا يسعه إلاّ تبليغُ ما أمره بتبليغه، وإن كَرِهِ قومه. افاده ابن عاشور.

١٢٤٤. فيها إثبات الرسالات والنبوات، وأهميتها في حياة البشر، ولذلك بدأت مع بداية انحراف البشرية في زمان نوح عليه السلام؛ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾.

١٢٤٥. فيها أن الرسل أنصح الخلق للخلق. وأحرصهم على هدايتهم وتبليغ رسالات ربهم.

١٢٤٦. تفيد: أن ممقتضى الربوبية، إرسال الرسل وإنزال الكتب؛ ولذا قال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ لأن ربي الخالق ما خلقكم سدى، ولم يتركهم هملا.

١٢٤٧. ناسب مع البلاغ والنصح اسم الرب (المربي) بما فيه من معاني الحنو والعطف، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾وناسب مع الوعيد والتحذير من عقابه الذي لا يرد عن القوم المجرمين؛ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ بما فيه من معاني العظمة والمهابة.

١٢٤٨. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾تفيد اللام في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ تفيد معنى الاختصاص للدّلالة على أنّ النّاصح أراد من نصحه ذات المنصوح، لا جلب خير لنفس النّاصح، ففي ذلك مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وأنّها وقعت خالصة للمنصوح، مقصوداً بها جانبه لا غير، فربّ نصيحة ينتفع بها النّاصح فيقصد النّفعين جميعاً، وربّما يقع تفاوت بين النّفعين فيكون ترجيح نفع النّاصح تقصيراً أو إجحافاً بنفع المنصوح.

١٢٤٩. في الإتيان بالمضارع دلالة على تجديد النّصح لهم، وإنّه غير تاركه من أجل كراهيتهم أو بذاءتهم.

١٢٥٠. تفيد أنه لا يكفي في الدعوة مجرد البلاغ بل لابد من الشفقة والحرص على هداية الخلق للحق ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾.

١٢٥١. فيها جواز أن يخبر الداعية المدعو بأنه أعلم منه، إذا كان كذلك، فيما فيه مصلحة.

١٢٥٢. فيها أن الرسل أعلم الخلق بالله وبشريعته؛ لقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهذه مقولة أول الرسل، وقال خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ: "أنا أعلمكم بالله" متفق عليه.

١٢٥٣. ﴿مِنَ﴾ابتدائية أي: صار لي علم وارد من الله تعالى، وهذه المعاني التي تضمّنها هذا الاستدراك هي ما يُسلِّم كلّ عاقل أنّها من الهدى والصّلاح، وتلك هي أحواله، وهم وصفوا حاله بأنّه في ضلال مبين، ففي هذا الاستدراك نعي على كمال سفاهة عقولهم. (السابق)ولذا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٢٥٤. الآية تفيد بتوجيه التعليم الديني ليكون تعليما تطبيقيا يستفيد منه المتعلم في نفسه ويقدمه لغيره تبليغا ونصحا.

١٢٥٥. تفيد أن علم الأنبياء من الله تعالى، من خلال ما أوحى به إليهم، ليس للكسب والاجتهاد فيه مجال ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾.

١٢٥٦. تفيد أن العلم بما جاء عن الله تعالى هو أهم ما يميز الداعية ويحمله على الثبات في وجه أهل الباطل.

١٢٥٧. تفيد أن يجوز أن يذكر الإنسان الصفات التي تزيد ثقة ومكانة الناس في تقبل دعوته ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وفيها من الهدايات أن على المبلغ دين الله أن يضع لبلاغه خطة متراتبة من (الرسالات) فيبدأ بتعليمهم الرسالة الأهم والأساس ثم يبلغهم الهداية التي تليها وهكذا حتى يكون ربانيا في بلاغه فهي ليست رسالة واحدة ولكنها رسالات.

١٢٥٨. ، يفيد الإجمالُ البديعُ في قوله ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تهديداً لهم بحلول عذاب بهم في العاجل والآجل، وتنبيهاً للتّأمّل فيما أتاهم به، وفتحاً لبصائرهم أن تتطلب العلم بما لم يكونوا يعلمونه، وكل ذلك شأنه أن يبعثهم على تصديقه وقبولِ ما جاءهم به. (التحرير والتنوير).

١٢٥٩.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣]

١٢٦٠. تفيد فضل الله عز وجل على العباد حيث إن الرسل يأتونهم في مكانهم ولا يتكلفون البحث عنهم؛ لقوله: ﴿أَن جَآءَكُمْ﴾.

١٢٦١. فيها أن الرسل من جنس البشر وهذا مما يسهل الاتباع والاقتداء؛ لقوله: ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾، وفيه إشارة إلى عدم الغلو فيهم واتخاذهم اربابا من دون الله؛ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

١٢٦٢. تفيد عظيم رحمة الله بعباده حيث ذكرهم بربوبيته لهم ﴿رَّبِّكُمْ﴾ فهو الذي يرعاهم ويربيهم ويصلحهم.

١٢٦٣. فيها تعجب الكفار الذي لا معنى له إلا العناد والسفه، والغريب تتابعهم على هذه الصفة كما قال تعالى عن كفار هذه الأمة: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ وغيرها وهذا يذكر بتتابعهم على إتهام الأنبياء بما ليس فيهم كما في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

١٢٦٤. فيها أن الرحمة ثمرة التقوى التي سببها الإنذار.

١٢٦٥. تفيد توجيه الدعاة إلى اتباع سبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله بالمجيء إلى الناس في بلادهم واماكنهم وانذارهم وأمرهم بتقوى الله عز وجل وتبشيرهم برحمته وفضله.

١٢٦٦. تفيد قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

١٢٦٧. تفيد قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]

١٢٦٨. الفاء في قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ تدل على مسارعتهم إلى التكذيب بغير تثبت وروية وهذا يدل على سفه الكفار فإن العاقل يتثبت ولا يسارع بتكذيب ما لم يحط به علما.

١٢٦٩. تفيد الفاء في قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ على سرعة انجاء الله تعالى لنوح عليه السلام ومن معه وسرعة اهلاك الظالمين المكذبين.

١٢٧٠. تفيد الحديث الذي فيه: تأتي المعونة من الله على قدر المؤنة؛ لقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ﴾، دل عليه الفاء في الكلمتين.

١٢٧١. تفيد التنفير عن التكذيب بآيات الله ورسله.

١٢٧٢. تفيد: أثر الصحبة على الإنسان. فمن صاحَب أهل الخير نجا معهم، ومن صاحَب أهل الشر هلك معهم﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾.

١٢٧٣. تفيد أن النجاة يهيأ الله لها الأسباب المناسبة ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾.

١٢٧٤. تفيد أهمية تعلم الصناعات التي يحتاج إليه أهل الإيمان في معركتهم مع أهل الباطل.

١٢٧٥. تفيد أهمية الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى.

١٢٧٦. تفيد أن المنجي من الهلاك هو الله تعالى وذلك يكون بأسبابه.

١٢٧٧. تفيد أن اتباع الرسل من أعظم أسباب النجاة من العذاب﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾.

١٢٧٨. تفيد أن التكذيب بآيات الله عز وجل من أسباب العذاب العاجل والآجل؛ لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

١٢٧٩. تفيد نصرة الله لأوليائه وشدة بطشه بأعدائه.

١٢٨٠. فيها أن كل من كذب الرسل عليه انتظار العذاب عاجلا أو أجلا.

١٢٨١. فيها أن الأمطار والفيضانات من جنود الله يعاقب بها من يشاء من عباده.

١٢٨٢. تفيد تعظيم الرب جل وعلا وكمال قدرته وسعة رحمته وشدة انتقامه.

١٢٨٣. تفيد ما كان عليه قوم نوح من عمى القلوب والبصـــائر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

[الأعراف: ٦٥]

١٢٨٤. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن هودا ثاني رسول، أرسله الله للناس بعد نوح – عليهما السلام –. ويشهد له، قول الله: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾.

١٢٨٥. تفيد أن من مهام الرسل والدعاة بيان الأحكام الشرعية ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾وإزالة العوائق الفكرية ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ومتابعة المدعوين ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٢٨٦. تفيد أنه من رحمة الله بعباده أن يرسل إليهم رسولا من أنفسهم يعرفون نسبه وسيرته وصدقه.

١٢٨٧. يستفاد من الآية قوة تأثير الداعية المعروف للناس والمخالط لهم في معاشهم الذي يتمتع بالعشرة الطيبة ﴿أَخَاهُمۡ﴾.

١٢٨٨. تفيد: أن الرسل، "تبعث في نسب قومها". وفي لفظ: "أحساب قومها". رواهما البخاري. والكلام لهرقل، لما سأل أبا سفيان – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم. وليكون أقوى في قيام الحجة، وانقطاع المحجة؛ فهم يعرفون صدقه وأمانته وعفافه؛ وتصديقه: ﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، وقوله: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

١٢٨٩. تفيد أن الله لا يعذب أحدا من خلقه قبل إقامة الحجة عليه ببعثة الرسل ودعوته إلى توحيده وتقواه.

١٢٩٠. إضافته﴿أَخَاهُمۡ﴾تقتضي أنه منهم مولدا ونسبا، وهذا لم يمنعه من مخالفتهم فيما هم فيه من الباطل، ودعوتهم لما جاء به من الحق.

١٢٩١. تفيد أن التوحيد أساس دعوة الأنبياء والمرسلين.

١٢٩٢. تفيد أن تحقيق عبودية الله تعالى في الأرض هو الغاية من إرسال الأنبياء والرسل.

١٢٩٣. تفيد بطلان كل الآلهة التي تعبد من دون الله، كأن لم تكن، لأنها لا تغني عن من يعبدها شيئا،﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.

١٢٩٤. قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾يفيد أفضلية تحبب الداعية إلى المدعوين والتلطف بهم ودعوتهم بالتي هي أحسن.

١٢٩٥. تفيد انطلاق الداعية في دعوته من النقاط المشتركة مع محيطه ولا يضيره تعدادها بل هي نقاط قوة له ومظنة تقبله كالقرابة أو المواطنة... إلى آخره.

١٢٩٦. تفيد تميز رسالة المصطفى عليه السلام بتفردها بأنها للناس كافة بينما كانت غيرها مقتصرة على قوم النبي خاصة.

١٢٩٧. يستفاد من الآية إعداد دعاة مختارين من أقوامهم للقيام بدعوتهم مباشرة.

١٢٩٨. فيها إشارة إلى تداخل المنهج العاطفي والمنهج العقلي في الدعوة والإقناع.

١٢٩٩. فيها أن الدعوة إلى التوحيد يجب أن تسبق أي إصلاح دون العقيدة.

١٣٠٠. تفيد أن التوحيد مبني على النفي والإثبات؛ لقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وهذا إثبات ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾وهذا نفي.

١٣٠١. تفيد قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ لقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ بحق؛ لأن الواقع أن لهم آلهة أخرى؛ لكنها باطلة؛ وتصديقه: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾.

١٣٠٢. تفيد بذل الداعية جهده في دعوته والتخطيط لها فلا تكون اعتباطية وارتجالية ف (هود) استخدم في دعوته ههنا: نداء، أمر، نفي، استفهام... وإن كانت دعوة الأنبياء مصحوبة بالتأييد الرباني وجب استصحاب دعوة الداعي بالإعداد والتهيئة.

١٣٠٣. تفيد: الاهتمام بدعوة الأقارب إلى الله، وأنهم أولى الناس بدعوتك؛ فمن الناس من يجتهد غاية الاجتهاد في دعوة البعيد، ويقصر بل ويعرض عن القريب. وعليه: فتفيد قوله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾. فيدعى الأقرب فالأقرب.

١٣٠٤. تفيد مخاطبة الداعية في دعوته للعقل ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ والقلب ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٣٠٥. ويتفرع عن ذلك أن العبد مهما اجتهد في فعل المأمور وترك المحظور إن لم يلتزم التوحيد ويجانب الشرك فإنه لا يدخل في زمرة المتقين.

١٣٠٦. تفيد أن تحقيق التوحيد يجعل العبد من المتقين.

١٣٠٧. يد: أن الشرك سبب في حلول العذاب، بل أعظم الأسباب على الإطلاق؛ ولذا قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، يريد: اتقوا عذابه بالتوحيد؛ كما قال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٦ – ٦٨]

١٣٠٨. تفيد الآية أنّ اتهام الملأ للأنبياء والمرسلين ولأهل الحق من السنن الكونية المتكررة.

١٣٠٩. فيها أن الملأ وأهل الترف والسطوة هم من يعاند الرسل ويطعن فيهم غالبا.

١٣١٠. يفيد قوله: ﴿ٱلْمَلَأُ...﴾أن يحذر من تصدر للرئاسة والزعامة من أن ينزلق فيما يؤدي إلى الكبر فالكفر فيحصن نفسه أكثر من غيره، فإنها – اي الزعامة – من موارد الهلاك إلا من رحم ربي، ومعظم من جابهوا الرسل إنما كانوا ﴿ٱلْمَلَأُ﴾أهل السيادة وما ذاك إلا خوفاً على سيادتهم من إيمان الخلق بالسيد الحق، وبمن للخضوع استحق.

١٣١١. فيها: دقة التعبير القرآني؛ لقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، إشارة إلى أن من هؤلاء الملأ من آمن. وكما آمن من آمن من أشراف قريش في بادئ الدعوة. ونحوه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾.

١٣١٢. تفيد اختلال الموازين عند أولئك القوم حيث نسبوا السفاهة إلى نبي الله هود وهم في الحقيقة أهل السفاهة والضلال.

١٣١٣. تفيد مع ما قبلها تشابه أساليب الكفار وتعاملهم مع أنبيائهم؛ وأنه اختلفت عباراتهم إلا أن الصد واحد؛ ﴿لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾﴿لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

١٣١٤. تفيد أن أهل الباطل لا يستطيعون مواجهة الحق بالحجة، إنما يواجهونه بالظنون والتكذيب، وأحيانا بالتهديد والتعذيب.

١٣١٥. تفيد قوة اعلام أهل الكفر ومقدرتهم على تلفيق التهم والشائعات حول الدعاة.

١٣١٦. تفيد بلاغة القرآن فلما زاد قوم هود في وصف نبيهم بالكذب ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ناسب أن يزاد في وصفهم بالكفر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾.

١٣١٧. تفيد ضعف الباطل وقوة الحق إذا واجهوه بالرأي والظن ﴿لَنَرَىٰكَ﴾ ﴿لَنَظُنُّكَ﴾ فقابلهم بالتأكيد والثبات، وإن كان فردا وهم جماعة.

١٣١٨. تفيد: أن الكبر سبب في الصد عن كل خير وفضيلة.

١٣١٩. تفيد أن من أهم صفات الداعية المبلغ عن الله تعالى أن يكون ناصحا أمينا.

١٣٢٠. تفيد مجادلة الخصم بالتي هي أحسن حتى مع عظم الصفات المتهم بها.

١٣٢١. تفيد: أن على الإنسان أن يرد على من أتهمه ويبرئ نفسه مما قيل فيه من باطل.

١٣٢٢. تفيد: بيان الصفات التي يتصف بها الرسل وهي البلاغ والنصح والأمانة.

١٣٢٣. تفيد: ما عليه الرسل الكرام من الخلق والعظيم والأدب الحسن والجميل حيث الرد منهم بهذا الأسلوب البديع الراقي.

١٣٢٤. تفيد مع ما قبلها أن جميع الأنبياء في قمة الأدب والأخلاق الحسنة في تعاملهم مع أقوامهم؛ ومجادلتهم لهم بالتي هي أحسن؛ وصبرهم على أذاهم في سبيل دعوة الحق؛ قال نوح لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال هود لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٣٢٥. تفيد أنه ليس كل ما يقال عنك من الظنون يستحق أن تفرد له ردا ونفيا بعينه؛ بل يكتفى في رد الظنون بالحقائق التي هي من لازم نفيها؛ حيث قال قوم هود: ﴿لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾فلما كان قولهم هذا ظنا لم ينفه نبي الله هود بعينه بخلاف السفاهة؛ بل اكتفى

بقوله: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. أو بعبارة أخرى؛ لا ينبغي للعبد أن ينشغل بظنون الآخرين تجاهه. وهذا الفهم ينفع جدا في المناظرات؛ ولكن البعض لا يتفطن لهذا؛ فيترك الدعوة ويأخذ في الدفاع عن نفسه؛ وتأمل قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٧].فكلما خاض فرعون في موسى – عليه السلام –، تمسك موسى بقضيته، ولم يعبأ.

١٣٢٦. تفيد جواز مدح العبد نفسه في موضع الضرورة التي يتطلب ذلك.

١٣٢٧. فيها التلطف بالمدعوين والصبر على أذاهم والتأسي بالرسل في ذلك.

١٣٢٨. تفيد حرص الرسل والأنبياء وأتباعهم على البلاغ المبين؛ لقوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾.

١٣٢٩. أن إعلام الباطل دائما يفتري ثم يهول الأمور ويعظّمها حتى ينفر الناس من اتباع الرسل ويخافون من الحق ويخشون أهله؛ ولذلك شواهد كثيرة في القرآن ليس المقام الابحار معها الآن؛ لكن نقول هنا قوم هود جعلوا السفاهة ضخمة كبيرة وهي محيطة بهود من كل جانب وكأنه منغمس فيها من شدة السفه فرد عليهم بإعادة الأمور إلى نصابها وإعادة الحقائق إلى مكانها الطبيعي ووزنها الصحيح فالسفة صفة من الصفات التي تكون في النفس البشرية كغيرها من الصفات، وهي تعتري الانسان أحياناً او دائماً فالسفه في داخل النفس وعرض من الأعراض لا محيطة بها لذا قال ﴿بِى سَفَاهَةٌ﴾ثم نفاها وانتهى الأمر عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام.

١٣٣٠. تفيد أن الرسل أنصح الخلق للخلق، وأن من صفاتهم الأمانة؛ لقوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

١٣٣١. تفيد: أن الأنبياء، منزهون عن السفه وسوء الخلق وما ينفر من دعوتهم؛ فلا عذر لمن لم يتبعهم؛ لأن سيء الخلق، يعرض الناس عن دعوته لسوء خلقه؛ ألا تراه يقول: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

١٣٣٢. فأفاد التركيب ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تأكيداً جديداً على صدقه وصدق مسعاه.

١٣٣٣. تفيد، وبضميمة ما سبق: كما أن الأنبياء دينهم واحد، فكذا أدبهم وخلقهم واحد؛ فقد قال نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٣٣٤. حذر الداعية مسبقاً وإعداد نفسه بحيث لا يجد المخالف ثغرة يأتيه منها. فعلى القول بتفسير (الرسالات) بأنها السابقة؛ استباقاً من هود لما قد يدعيه معارض بجدة ما جاء به فهو يؤكد أنه إنما جاء بما جاء به سلفه وزيادة ولا تعارض، فكلها ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ والتعدية ب ﴿لَكُمْ﴾ تفيد أن يبتعد الداعية تماماً في سياق نصحه عما قد يظهر أو يوهم مشاركته المنصوح في الفائدة والنتيجة المرجوة من النصيحة، فهذا أدعى لقبول المنصوح لعلمه أن الناصح ما أراد إلا خيره هو لا خيراً لنفسه.

١٣٣٥. تفيد أهمية نقل الحوار مما يتعلق بالداعية في شخصه إلى ما يتعلق بدعوته وأهدافه

١٣٣٦. تفيد: التأسي بالأنبياء، في طريقة دعوتهم إلى الله.

١٣٣٧. تفيد أهمية النصح ودوره الفاعل في الإصلاح وإن وجد الإنسان صدودا وإعراضا.

١٣٣٨. فيها: أن على الداعية الصبر على أذى الناس، وله في الأنبياء الأسوة الحسنة. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.

١٣٣٩. فيها أن على الداعية احتساب ما يواجهه من أذى، فله في الأنبياء أسوة حسنة فيهون عليه ويخفف عنه. وهذا إحدى المقاصد التي لأجلها ساق المولى قصص الأنبياء السابقين لسيد المرسلين.

قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]

١٣٤٠. فيها أن الداعية الانجح غالبا يكون من المجتمع الذي يدعو فيه وأنه يجب على الداعية أن يفهم المجتمع الذي يريد أن يدعوه.

١٣٤١. تفيد أن كتب الله عز وجل فيها التذكير والذكرى؛ لقوله: ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

١٣٤٢. تفيد تواضع الداعية في معرض دعوته فهو أدعى لتقبله وقبول دعوته﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾.

١٣٤٣. فيها إشارة إلى: أن النبوة في الرجال، دون النساء. على الراجح.

١٣٤٤. فيها: بيان رحمة الله بعباده، حيث أرسل إليهم رسلا من جنسهم؛ ألا تراه يقول: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾.

١٣٤٥. تفيد: أن تعجب المخالف، لا يقوي حجته، وهذا أسلوب – التعجب والاستخفاف – يدركه من ينشغل بمناظرات أعداء هذه الأمة.

١٣٤٦. تفيد: أن العجب كل العجب، ممن أعرض عن دعوة الرسل؛ ليس العجب من الرسل التي جاءت بما فيه سعادة البشرية.

١٣٤٧. فيها: تسمية ما نزل على الرسل، بالذكر.

١٣٤٨. فيها: تشريف لما جاءت به الرسل، وأنه غزير المعاني، وفيض من الدلالات؛ وهذا من خصائص القرآن.

١٣٤٩. يفيد قوله: ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ فوائد: منها: أنه ليس ملكا فيلتبس عليهم؛ كما قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾، فلم يدروا أملك أم رجل. ومنها: أنه ليس غريبا عنكم؛ فأنتم تعرفون حسبه ونسبه وصدقه وأمانته؛ ففيه إلزام لهم. ومنها: أنه حريص عليهم، وعلى إيصال الخير لهم؛ كما قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

﴾. ومنها: إشارة إلى: تواضعه، ولكي لا يأكلهم الحسد؛ لقوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾، ولم يقل: أوعجبتم أن جاءكم ذكر أنزل علي – مثلا. منها: أنه أرسل بلسانهم؛ كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾. منها: أدعى لعدم الحسد، أيْ: عِزُّهُ عِزُّكم وشَرَفُهُ شَرَفُكم فما فاتكم شَيْءٌ، فَكانَ هَذا الكَلامُ مِن جَوامِعِ الكَلِمِ في إبْطالِ دَعْوى الخَصْمِ والِاسْتِدْلالِ لِصِدْقِ دَعْوى المجادِلِ، وهو يَتَنَزَّلُ مَنزِلَةَ سَنَدِ المنعِ في عِلْمِ الجَدَلِ.

١٣٥٠. فيها أن الذين بعث فيهم نبي الله نوح لم يكن لهم اسم يعرفون به وجاءت تسميتهم في القرآن بقوم نوح يفيد جواز أن ينسب القوم إلى أحد أفرادهم.

١٣٥١. فيها جواز وفائدة ضرب المثال للاتعاظ بمصير من سبقهم ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ والسعيد من وعظ بغيره لا من وعظ بنفسه.

١٣٥٢. تفيد أهمية الاعتبار بمن سبق من الأمم ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾.

١٣٥٣. تفيد: التذكير بما حل بالمعرضين من الأمم الخالية؛ وكما قال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، يصيب طائفة ويدع أخرى؛ لتتعظ هذه الأخرى.

١٣٥٤. تفيد أن من النعم العظيمة على الإنسان الامتنان عليه بصحة الجسم وقوته؛ فعليه أن يشكر الله باستعمالها في طاعته.

١٣٥٥. فيها أن قوة البدن وبسطته من نعم الله عز وجل ومن مظاهر قوة الأمة ومنعتها؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾.

١٣٥٦. أن القوة من أسباب انتصار الأمم والدول بمفهومها الواسع لتشمل إلى جانب القوة البدنية وشدة البأس والشجاعة القوة العسكرية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية وقطب رحاها القوة الدينية والعقدية.

١٣٥٧. الإكثار من ذكر النعم يستوجب شكرها، وشكرها من أعظم أسباب الرزق والبركة والفلاح في الدنيا والآخرة.

١٣٥٨. تفيد أن من الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله، تذكير المدعو بنعم الله عليه وهو من أساليب الرسل قدوة البشر.

١٣٥٩. تفيد كثرة نعم الله عز وجل على عباده وتنوعها؛ لقوله: ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ بالجمع والتنكير؛ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

١٣٦٠. تفيد: أن الزيادة والنقصان، بيد الله وحده؛ وكما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

١٣٦١. تفيد أن الفلاح في الدنيا والآخرة له أسباب يتحقق بها.

١٣٦٢. أن الرسل أجمعت على أربعة مسائل ودعوا قومهم إليها وهي مذكورة في القرآن في عدة مواضع:

- الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك.
- اتباع الرسل.
- التقوى.
- ملازمة الاستغفار.

١٣٦٣. تفيد حسن الأسلوب في دعوته، فقد أجمل في ذكر الإنذار ﴿لِيُنذِرَكُمۡ﴾ وفصّل في الترغيب ﴿إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ...﴾ ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ...﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]

١٣٦٤. تفيد أن الكفر مناف للفطرة والمنطق والعقل السليم، فعبادة الإله الواحد هي الأصح عقلاً ومع ذلك استنكروها ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ كما استنكر قوم لوط عليه السلام ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

١٣٦٥. تفيد أن العبادة لله سبحانه وتعالى وحده، وأن الرسل يأمرون بذلك كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

١٣٦٦. تفيد أن التوحيد لابد فيه من الكفر بالطاغوت وترك عبادة الأوثان؛ لقوله: ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

١٣٦٧. تفيد أن من الفتن الصارفة للعبد عن قبول الحق: فتنة تقليد الآباء والعشيرة.

١٣٦٨. كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وعلى المسلمين الذين ورثوا الاسلام من أبويهم أن يكثروا من شكرا الله، والشكر يزيد النعم، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد ١٧]

١٣٦٩. تفيد: أن جميع ما الأوامر التي تأمر بها الرسل أقوامهم، مرده إلى التوحيد؛ لأنه لا يقبل العمل مع الإشراك. وجهه: أنهم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾، ولم يقولوا: وتأمر بكذا وكذا. لأنه أمرهم بأوامر أخرى ولا ريب؛ وتصديقه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٣٧٠. تفيد أن شبهة تقليد الآباء والأجداد من أخطر الشبهات التي ضل بها الكفار عبر القرون والأزمان.

١٣٧١. تفيد: أن على الآباء أن يكونوا قدوات صالحة لأولادهم.

١٣٧٢. تفيد أن إلف المنكر يعمي بصيرة صاحبه فيصير منكرا للحق مستبعدا له متعجبا منه ومن وقوعه، و(أن الإلف لا ينفي الزيف).

١٣٧٣. فيها: أن الكفار يشهدون للرسل بأنهم يدعون إلى التوحيد. وقد قيل: "الحق ما شهد به الأعداء".

١٣٧٤. تفيدالمسؤولية المزدوجة للأولياء والآباء اتجاه أنفسهم واتجاه أولادهم لأن ضلال ذرياتهم بسببهم سيتحملون وزرها مع أوزارهم.

١٣٧٥. تفيد أن أهل الباطل لا يقارعون الحجة بالحجة، بل لا يستطيعون رد ما قاله الله على لسان أنبيائه ورسله بأدنى شبهة، فضلا عن أن يردوه بحجة، يشير إليه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ..﴾.

١٣٧٦. التعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأْتِنَا..﴾ يفيد استعجال أهل الباطل في طلب هلاكهم، وعدم صبرهم على ما فيه خلاصهم.

١٣٧٧. فيها: أن الكفار، جهلة بمقام ربهم، وأنهم أهل حمق وجهل وغباء؛ وإن تظاهروا بخلافه؛ وتصديقه: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، لأنهم لا عقول لهم؛ ولو كانوا يفقهون لقالوا: "اهدنا إليه".

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾

[الأعراف: ٧١]

١٣٧٨. فيها، وبضميمة ما قبلها: أن الله، سريع العقاب.

١٣٧٩. تفيد قدرة الإله وعظمته بأن ما سيقع منه لا محالة واقع ولا راد له، لذا جاء الفعل بالماضي ﴿وَقَعَ﴾.

١٣٨٠. يفيد عطف الغضب على الرجس، الإشارة إلى أن ما سينزل بهم من عذاب هو انتقام لا يمكن دفعه؛ لأنه صادر من الله الذي غضب عليهم بسبب كفرهم.

١٣٨١. ذكر ﴿رَّبِّكُمْ﴾ في بداية الآية حيث يحمل رحمة الربوبية وختامها بالانتظار يفيد فسحة الأمل وإمكان الرجوع إلى الحق قبل فوات الأوان.

١٣٨٢. فيها أن من أساليب الجذب في الحوار والعرض هو ذكر النتيجة قبل السبب فكأنه يستدعي انتباههم وسؤالهم " لماذا يقع علينا غضب ورجس؟ "، والأشد من ذلك والأفظع، أن مجرد إرادة؛ ولذه النكتة لم يقل: وإذا وقع؛ إشارة إلى أنه أراده من الأزل، فهو واقع لا محالة إرادته – عز وجل – السوء بالعبد؛ وتصديقه: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، وإنما قلت: "الأشد

من ذلك"، لأن قوله: ﴿وَقَعَ﴾، يشـــير إلى قرب وقوعه؛ فقد يقال: قد هُيء للعذاب فلابد من وقوعه. مثل الجيش الذي يعد إلى غارة قريبة فهو متأهب لهذا؛ بخلاف إذا أراد الجيش مجرد إرادة لا تنفعه بشيء؛ لأنه لابد له من أخذ الأسباب، بخلاف الله خالق الأسباب – سبحانه.

١٣٨٣. تفيد أن من العدل أن يُذكَر للمعاقَب سبب العقوبة وعلتها.

١٣٨٤. يجب ألا ينخدع الإنسان بالأسماء فالعبرة بحقائق المسميات وعليه فالأحكام الشرعية إنما تنطبق على حقائق الأشياء (مسمياتها) وإن تغيرت أسماؤها كما في الحديث (يسمونها بغير اسمها).

١٣٨٥. أن الجدال غالبا ما يكون في الباطل لا سيما إذا كان مطلقا بلا قيد.

١٣٨٦. يفيد قوله تعالى على لســـان هود: ﴿فِيٓ أَسۡمَآءٖ ...﴾ أن هوداً "قد حول آلهتهم إلى مجرد أسماء لا تبلغ أن تكون شـــيئا وراء الاســـم الذي يطلق عليها، وهذا أعمق في الإنكار عليهم، والاستهزاء بعقوله".

١٣٨٧. الجدال بالباطل والدفاع عن الشرك من موجبات العذاب.

١٣٨٨. لا يجوز للإنســـان أن يتعبد الله بدون حجة ودليل: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖ﴾ وهذا يتوجب علينا أخذه بعين الاعتبار. فالحال في المدارس عندنا تدريس الطلبة مادة الاديان وتشمل الديانات الخمس الكبرى في العالم، بطريقة ينتج عنها غالباً –على الأقل– احترام الطلبة لتلك الديانات و (الأسماء التي سموها)، فوجب على أولياء الأمور التنبه لذلك.

١٣٨٩. ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ فيها سفه المشركين وأباءهم، إذ إن ألهتهم عجزت على أن تسمي نفسها، فهم من يختار لها الأسماء.

١٣٩٠. فيها: غيرة الأنبياء على ربهم أن يشـــرك به؛ وتأمل قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾، أمثل هذا يجادل فيه؟!. وتأمل القوة البراءة ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾.

١٣٩١. تفيد: أن ما أنزله الله حجة للعبد عند ربه؛ بخلاف ما لم يأذن فيه سبحانه.

١٣٩٢. تفيد كثرة جدال الكفار وعنادهم؛ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

١٣٩٣. تفيد أن كل حكم ليس عليه دليل فهو باطل سـواء تعلق بالاعتقاد، أو الأقوال، أو الأعمال، إلا أن الآية نص في الأول إيماء في تاليه.

١٣٩٤. تفيد عدم اليأس ومواصلة الدعوة والحوار بالحجة والبرهان حتى النهاية تماماً قوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم...﴾

١٣٩٥. فيها: أن عذاب الله واقع لا محالة.

١٣٩٦. فيها: لا عبرة بالمسميات وإنما العبرة بحقائقها.

١٣٩٧. فيها: الجدال من أجل إحقاق الباطل هلاك ووبال على صاحبه.

١٣٩٨. فيها: التهديد والوعيد لكل من خالف النهج القويم والصراط المستقيم.

١٣٩٩. فيها: قوة الرسل، وجرأتهم في الحق؛ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾، فمن يقدر أن يهدد ويوجه مثل هذا للملأ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]

١٤٠٠. تفيد قوله تعالى ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فالنجاة خاصة بالمتقين

١٤٠١. فيها تقديم عاجل بشرى الأنبياء واتباعهم، على هلاك المكذبين.

١٤٠٢. فيها الترغيب في لزوم الجماعة المؤمنة لأن النجاة والفلاح مصيرها.

١٤٠٣. تفيد أن معيتهم لنبيهم بتصديقه والايمان به، اقتضت معيتهم له في الانجاء﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾.

١٤٠٤. فيها: حب الله تعالى لأنبيائه وأتباعهم.

١٤٠٥. تتفيد أن اتباع الأنبياء سبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

١٤٠٦. الفاء في قوله: ﴿فَأَنجَيْنَهُ﴾ تفيد سرعة إنجاء الله تعالى للمؤمنين واهلاكه للكافرين.

١٤٠٧. فيها إشارة إلى: عدم الاغترار بالعمل؛ فمن نجاه الله فليستحضر أن نجاته كانت برحمة الله أولا؛ قبل أن يقول: هذا بسبب عملي أو صدقتي. ونحو ذلك؛ لقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ ولم يقل: بما عملوا كذا وكذا. وإن كانت الأعمال تنجي صاحبها ولا ريب، لكن يقدم رحمة الله أولا.

١٤٠٨. تفيد بركة صحبة الأنبياء والصالحين ﴿فَأَنجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

١٤٠٩. تفيد أن في إهلاك المكذبين من قوم عاد، وإنجاء هود ومن معه من المؤمنين: قدرة ظاهرة، وحكمة بالغة، وسنة باقية.

١٤١٠. قطع دابر الكافرين المكذبين فإذا قطع دابرهم اي آخرهم فمن باب أولى أن يكون قطع أولهم ووسطهم وهذا كناية عن إهلاكهم جميعا، ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فهو عذاب استئصال، وتدل عليه اية سورة الحاقة ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾.

١٤١١. تفيد أن من نجي فبرحمه الله ومن عذب فبما كسبت يداه فلا يلومن إلا نفسه.

١٤١٢. تفيد: أنه ليس الشأن ينجي أولياءه فحسب، ولكن الشأن أن ينجيهم ويهلك عدوهم؛ ألا تراه يقول – صلى الله عليه وسلم – في عاشوراء: "يوم نجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق وأهلك فرعون وقومه". وكما قال: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٤١٣. تفيد خطورة التكذيب بآيات الله وأن ذلك من أعظم أسباب الهلاك.

١٤١٤. تفيد: أن الله، لا يعذب أحدا إلا بجريرة. ويدعمه الحديث القدسي برواية ابي ذر وفيه (.. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) واستحضار أن العمل الصالح صدر من العبد بتوفيق الله له وقاية من العجب والمن..

١٤١٥. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن الشرك، سبب في الاستئصال والقلة؛ كما أن التوحيد، سبب في التكاثر والزيادة؛ وكما قال: ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾.

١٤١٦. تفيد التَّعْرِيض بِمَن آمَنَ مِنهم، وبَيانُهُ عَلى ما قالَ الزمخشري نقلا عن الطِّيِّبِيُّ أنَّهُ إذا سَمِعَ المؤْمِنُ أنَّ الهَلاكَ اخْتَصَّ بِالمكَذِّبِينَ، وعَلِمَ أنَّ سَبَبَ النَّجاةِ هو الإيمانُ تَزِيدُ رَغْبَتُهُ فِيهِ ويَعْظُمُ قَدْرُهُ عِنْدَهُ.

١٤١٧. تفيد أن هودا عليه السلام لم يقصر في البلاغ والقيام بما تستوجبه مسؤولية الرسالة بدليل قوله تعالى﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.

١٤١٨. فيها تأكيد تكذيبهم بقوله ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أنهم لن يؤمنوا حتى لو لم يهلكوا، كما قال تعالى في آية أخرى﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ (روح المعاني).

١٤١٩. فيها: أن الإيمان بالله، نجاة للعبد من عذاب الله؛ لقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾؛ فلو كانوا مؤمنين، لما قطع دابرهم. وأن الذل والصغار والشؤم في التكذيب بها والمعارضة لها والانسلاخ من آيات الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الأعراف: ٧٣]

١٤٢٠. تفيد أن ثمود أخاهم صالحا إنه منهم وأخوهم، وحرص الأخ على مصلحة إخوانه ظاهر لا يحتاج إلى دليل.

١٤٢١. تفيد: أن صالحا – عليه السلام، أرسل إلى ثمود خاصة؛ وعليه: فكل رسول كان يبعث في قومه خاصة، إلا النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك: لأمرين: الأول: لقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا﴾. الثاني: لقوله: ﴿لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾، لكم وحدكم. وإن كان يجب على من بعدهم من

المؤمنين أن يؤمنوا بأنها آية من الله إلى يوم القيامة. وكأني بكم تقولون: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ لأنه قال قبلها: ﴿...عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾.

١٤٢٢. تفيد أنه دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده، فالتوحيد هو أعظم ما يدعى إليه وهو مقدم على كل ما سواه.

١٤٢٣. يفيد تكرار الجملة الافتتاحية- حرفياً -:" يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره- في قصة كل نبي، التأكيد على وحدة هدفها وعلى أنها " من مشكاة واحدة".

١٤٢٤. تفيد سد لباب الشركاء مع الله بأخصر بيان، وتعريض بآلهتهم أنها لا تساوي شيئا ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

١٤٢٥. فيها توجيه الدعاة إلى البدء بالتوحيد ونبذ الشرك في دعوتهم اقتداء بالرسل والأنبياء فهو أصل الأصول؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: " فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله" متفق عليه وهذه رواية البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه.

١٤٢٦. تفيد أن التوحيد يقوم على النفي والإثبات؛ لقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إثبات ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ نفي. ولذلك كانت كلمة التوحيد بالنفي والإثبات: لا إله إلا الله.

١٤٢٧. فيها أهمية ربط المستهدفين بالمنهج والإله.. لا بالداعي والجماعة أو التنظيم.

١٤٢٨. تفيد أهمية تأجيج المشاعر الموجبة في الخطاب لأن ربهم فيها تذكير بنعمة الخلق وتدبير المعاش وسوق الأرزاق.

١٤٢٩. فيها أهمية انطلاق الداعية من نقاط الالتقاء والاتفاق بينه وبين من يدعوهم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

١٤٣٠. فيها أن البينات قد تكون حسية وقد تكون معنوية.

١٤٣١. إضافة الناقة إلى الله إضافة تشريف فالكون وما فيه لله.

١٤٣٢. تفيد علو مقام الأنبياء ورفعتهم عند الله تعالى؛ ولهذا أيديهم بالآيات والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به من الله تعالى.

١٤٣٣. تفيد أن طلب المشركين للآيات إنما كان من باب التعجيز ليس إلا.

١٤٣٤. فيها عظم آية الناقة؛ لقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

١٤٣٥. فيها أهمية الاعتناء بالمستهدفين واشعارهم بالاهتمام بهم والحرص عليهم.. وفعل الأشياء من أجلهم.. دل على ذلك الكاف في ﴿جَآءَتْكُم﴾

١٤٣٦. ﴿هَٰذِهِۦ﴾ فيها إشارة إلى ذات حاضرة فدلت على أهمية الأسلوب الحسي في الدعوة. وعدم الاتكال على الأخبار المجردة..

١٤٣٧. فيها دقة استعمال كلمتي البينة والآية.. كل في موضعها.. والآية كانت حاضرة.. لذلك كان الخطاب عن موجود وليس مراد ايجاده.. وفيها قوة المعاينة عن الخبر.

١٤٣٨. تفيد أن البينات والآيات التي أيد الله بها الأنبياء كلها من الله تعالى ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

١٤٣٩. تفيد: أن الله يرسل من الآيات ما يشاء؛ كما أن تخصيصه آية بعينها، لحكمة بالغة، ومعجزة تناسب أهل كل زمان.

١٤٤٠. يفيد إضافة كل من ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾ و ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ إلى الحق تعالى إلى تعظيم الأمر وتهويل أي رد فعل خاطئ. والذي لم يؤثر في قوم عميت بصائرهم.

١٤٤١. يفيد وضوحه – عليه السلام – التام في دعوته وأي مستجد فيها؛ فالناقة ناقة الله والأرض أرض الله ولا تكليف عليهم إلا الامتناع عن أذيتها وتركها ببساطة تأكل مما خلقه الله، وفي حال امتناعهم عما هو أبسط ما يكون كتكليف، سينالهم من الله عذاب أليم يهلكهم. وهذا مما يجب أن يتخلق الداعية به ولا يغفله لقصور همة أو ملل، أو لقناعة بأن من يدعوهم

يكفيهم أن يقتصـــروا على معرفة الحكم والعمل على تطبيقه دونما داع للوقوف على حِكَمه وتفاصيله.

١٤٤٢. تفيد: بأنه "لا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين"؛ لقوله: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾، علامة واضحة على صدق نبوتي.

١٤٤٣. الفعل ﴿فَذَرُوهَا﴾ادق وأبلغ من اتركوها أو دعوها.. لأن فيه توطئة للنهي ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ فكأن الأمر بعدم المساس أتى ضمنا في الأمر.. وأتى صريحا في النهي.

١٤٤٤. في قوله ناقة الله فذروها تأكل في أرض الله تعظيم لجرمهم في الاعتداء على الناقة فهي ليست مملوكة لهم أو لبشر غيرهم؛ وإنما هي ملك للخالق سبحانه ولم تكن تلحقهم مشقة من وجودها فهي لا تعيش على أرضـــهم ولا تأكل من رزقهم فليس لهم أي عذر أو مبرر للاعتداء عليها فضلا عن كونهم ينتفعون بلبنها ومن ثم عظم جرمهم بقتلها بعد التنبيه والتحذير الصريح فاستحقوا نزول العذاب الشديد لعظم الجرم.

١٤٤٥. ﴿فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ فيه لفت الانتباه إلى أنهم غير متكلفين بإطعام الناقة.. بل رزقها من أرض الله كرزقهم.. وفيها قطع الداعي لأذية الناقة.. ويؤيده.. ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾يفيد قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ علم صالح التام بقومه وطباعهم وتوقعه الشر منهم وفي الوقت نفسه شفقته عليهم، فأنذرهم مسبقاً لئلا يقعوا بالإثم. وكلا الميزتين لزم تحلي الداعية بهما. والله أعلم.

١٤٤٦. فيها أن الله قد يبتلي عباده بأوامر ونواهي قد تكون سببا لهلاكهم أو سعادتهم.

١٤٤٧. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ نهاهم عليه السلام عن مسها بأي سوء مهما صغر؛ في ذلك تنبيه وتحذير بالأدنى على الأعلى.

١٤٤٨. فيها ربط ســلامتهم من العذاب بســـلامة الناقة لحكمة، رجاء إيمانهم، فهي تغدو وتروح أمامهم كل يوم على غير عادة ما يشاكلها فلعل أن يقع في قلوبهم الايمان بهذا الامهال.

١٤٤٩. وفيها أهمية حفظ حدود الله وحماية جنابها من المساس فضلاً عن الانتهاك والتعدي ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾.

١٤٥٠. يفيد التعبير بالمس، مع تنوين كلمة" سوء": تحريم التعرض للناقة بأي نوع من أنواع الأذى.

١٤٥١. فيها بلاغة القرآن الكريم وإيجازه المبهر.

١٤٥٢. فيها أهمية التحذير من العقاب، وفي ذلك رد على الذين يركزون على الترغيب وذكر الجنة ويغفلون عن تحذير الناس من مغبة المعاصي.

١٤٥٣. تفيد أن العذاب دائما يقع بأسبابه خاصة عندما يقع العناد والاستكبار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤]

١٤٥٤. تفيد منة الله على عباده بأن يخلف بعضهم بعضاً ولا يفنيهم بالعذاب عن آخرهم. ثمود صاروا خلفاء من بعد عاد رغم أنهم لم يكونوا في أرض عاد ولكن لأنهم أعطوا من التمكين والقوة مثل ما أعطيت عاد فصاروا ممكنين قادرين فذكرهم صالح عليه الصلاة والسلام بهذه النعمة العظيمة.

١٤٥٥. تفيد أن التذكير بما حل بالأمم السابقة أسلوب قرآني يستفيد منه الداعية والمصلح في دعوته ووعظه وإرشاده.

١٤٥٦. تفيد سنن الله في ذهاب الدول والقرون فلا تدوم دولة ولا سلطان لشعب ﴿خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾.

١٤٥٧. تفيد أهمية الاتعاظ بأخبار من مضى من خلال تذكره ومذاكرته ﴿وَاذْكُرُوا﴾.

١٤٥٨. تفيد أهمية علم التاريخ وتذكير الدعاة به وتعليمه للناس.

١٤٥٩. تفيد أن دراسة التاريخ والتذكير به له أهداف دقيقة في المنهج القرآني.

١٤٦٠. تفيد أن اتخاذ القصـور والبيوت الفارهة لا يتناقض مع الخضـوع لله وعبادته والتواضع له وذكره سبحانه، إنما المشكلة في مخالفة دين الله.

١٤٦١. تفيد أن التمكين في الأرض شأن إلهي ليس للإنسان منه إلا اتخاذ الأسباب.

١٤٦٢. فيها أن من الأمم السابقة من كان لهم حضارات وتقدم في هندسة المباني.

١٤٦٣. تفيد فضل الله عز وجل على عباده وتسخيره الأرض بما فيها لهم؛ لقوله: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

١٤٦٤. تفيد ما كانت عليه ثمود من القوة والمنعة وطول الأعمار حتى نحتوا الجبال وسـكنوا فيها.

١٤٦٥. فيها أن التطور المادي وحده (مثل القصـور والبيوت الفارهة) مهما كان بارعا لا يدل على تقدم الإنسان ورقيه إن لم يكن من العابدين الذاكرين آلاء الله سبحانه وتعالى.

١٤٦٦. تفيد أن البناء المعنوي وهو بناء عقيدة وأخلاق وفكر الإنسـان هو الجانب الناقص دائما في بناء الحضارات المادية حتى لا تكون فسادا في الأرض، وهذا لا يقوم بها إلا نبي أو من يقوم مقامهم من الدعاة.

١٤٦٧. تفيـد أن الله تعـالى يعطي ويمكن في الـدنيا لمن يحب أو لا يحب فلا تعجب من التمكن المادي للكفار فهو قدم في تاريخ الإنسانية والحضارة.

١٤٦٨. تفيد أن العاقل يعرف كيف يستفيد من مكونات البيئة حوله في صناعة سبل العيش الكريم ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾.

١٤٦٩. تفيد أهمية الاستفادة مما مكن الله به بعض الشعوب والأمم في عمارة الأرض، حيث أحسن هؤلاء في معرفة أين تكون البيوت والقصور وهي تنتهي في وادي القرى الخصيب.

١٤٧٠. تفيد قدم علم النحت في الأرض وهو واحدة من علوم المعمار المهمة.

١٤٧١. تفيد براعة هؤلاء القوم في النحت حيث وصـلوا إلى تحويل الجبل كاملا إلى بيوت ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ وليس من الجبال، وهذا تعبير قرآني دقيق ما فهمته إلا بعد أن زرت تلك المدائن ورأيت كيف حولوا الجبال إلى بيوت.

١٤٧٢. تفيد توجيه دراسة الآثار بربطها بسلوك الناس الذين كانوا فيها، وعوامل زوالهم وبقائها.

١٤٧٣. تفيد أن تذكر النعم وشكرها من الطاعات العظيمة، وأن نسيانها وكفرها من المعاصي الكبيرة التي تستوجب هلاك الإنسان وخراب الديار.

١٤٧٤. تفيد أن النعم تزول بالمعاصي فوجب الابتعاد عنها.

١٤٧٥. تفيد: أن الله يمن على العباد بالنعم من غير مسألة، ثم هم يغيرون ويبدلونها بالإفساد وعدم الشكر؛ قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

١٤٧٦. فيها التنبيه إلى الصلة بين الترف والبطر ورغد العيش والغرور بالتقدم المادي والعجب وبين الإفساد في الأرض

١٤٧٧. تذكر آلاء الله على العبد من أكبر محركات القلب في مسيره إلى الله وتطهيره من أدران العجب والكبر. والبغي المؤدي إلى الإفساد في الأرض.

١٤٧٨. تفيد أن شكر النعمة يكون بتذكرها في القلب وذكرها في اللسان، واستخدامها فيما خلقت له وعدم الافساد بها.

١٤٧٩. تفيد أن شكر النعم من أعظم أبواب التوحيد التي يجب على العبد التقرب إلى الله تعالى به.

١٤٨٠. تفيد أن جميع النعم من الله المادية والمعنوية الظاهرة والباطنة.

١٤٨١. تفيد النهي عن الفساد في الأرض وارتكاب المعاصي، وأعظمها الشرك بالله تعالى.

١٤٨٢. فيها: أن الأنبياء، أنصح الناس، وأنهم يأمرون بالإصلاح وينهون عن الإفساد في الأرض.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ – ٧٦]

١٤٨٣. فيها أن الصراع بين الحق والباطل من السنن الكونية.

١٤٨٤. فيها شجاعة أهل الإيمان وإعلانهم تأييد الرسل وتصديقهم.

١٤٨٥. حب السلطة والجاه من معوقات الهداية.

١٤٨٦. فيها أن أصحاب المصالح الشخصية يشككون في دعوة الرسل ببث الشبهات.

١٤٨٧. فيها أن أوائل اتباع الرسل من الضعفاء.

١٤٨٨. فيها أن رئاسة الذين استكبروا قائمة على السيادة الدنيوية الخالية من الرحمة، والتي لم تلجم بلجام الوحي لذلك نرى وجود مستضعفين ومستضعفين لهم، في غياب الالتزام بأوامر الوحي الرحيمة. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

١٤٨٩. ﴿لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ فيها أن ليس كل المستضعفين آمن بصالح عليه السلام، بل هناك مستضعفون كذبوا وسيحشرون إلى النار مع المتكبرين ليتبرأ ويلعن كل منهم الآخر. ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ...﴾.

١٤٩٠. فيها أن الإيمان بالله إذا وقر في القلب لا يتزعزع صاحبه؛ ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ويهون معه كل ما يجده من بلاء وفتنة في دينه، وفي حديث ابي سفيان رضي الله عنه:(وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب). وقديما قال خبيب رضي الله عنه: ولست أبالي حين أقتل مسلما... على أيّ جنب كان في الله مصرعي...

١٤٩١. في بالآية ذم للكفار من وجوه الاستكبار وهو:

- رفع النفس فوق قدرها.
- تكذيب رسولهم الذي أرسل اليهم.
- استضعاف البسطاء من المؤمنين.

١٤٩٢. في الآية فضيلة للمستضعفين من وجوه.

- تصديقهم لنبي الله صالح وإيمانهم دليل رجحان عقلهم.
- صبرهم على الاستضعاف.
- ثباتهم على الحق واظهاره رغم الضعف.

١٤٩٣. ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾فيها استفهام على جهة الاستهزاء والاستخفاف في قولهم ﴿رَّبِّهِۦ﴾اختصاص بصالح ولم يقولوا من ربنا أو من ربكم. (البحر المحيط).

١٤٩٤. فيها أن الكفار يناظرون ويجادلون عن كفرهم وباطلهم ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾.

١٤٩٥. تفيد وجوب الإيمان بجميع ما أرسل به الرسول؛ لقولهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

١٤٩٦. خطورة الملأ وإعراضهم واستكبارهم ولذلك تكرر ذكرهم في القرآن كثيرا.

١٤٩٧. تفيد: أن زعزعة الحق في قلوب أتباعه، منهج قديم؛ لقوله: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ حقا؟

١٤٩٨. تفيد: الثبات على الحق والرد على أعداء الدين، والإعلام بالثبات على المنهج؛ لقوله: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ فغاظوهم.

١٤٩٩. تفيد قوة إيمان من آمن من المستضعفين برسالة صالح عليه السلام وثباتهم على الحق ورسوخهم فيه؛ لذا كان جوابهم جملة اسمية مؤكدة.

١٥٠٠. تفيد أن المحن تنطوي على منح، فمنحة الإيمان خرجت من محنة الاستضعاف والاستعباد.

١٥٠١. فيها: حجة الكافرين المستضعفين، الذين كفروا بسبب استضعافهم - زعموا -؛ لقوله عن المستضعفين المؤمنين، في مواجهة هؤلاء الملأ: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾؛ وكأنهم يقولون: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ وتصديقه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾. مثلهم في ذلك مثل بلال وأبي ذر وعمار وصهيب وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين.

١٥٠٢. تفيد خطورة الكبر والاستكبار وأثره في الكفر والجحود والصد عن سبيل الله؛ قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾.

١٥٠٣. كما تفيد شدة إعراض الكافرين، وإيغالهم في الاستكبار، وتعمقهم في الكفر والضلال.

١٥٠٤. الزعامة والجاه والسيادة في كل الأمم كانت أحد أهم أسباب الإعراض والتكذيب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]

١٥٠٥. تفيد أن الساكت شريك الجاني في جنايته إذا كان يعلم وسكت. فالذي عقر الناقة واحد، وأسند الله الفعل للجميع؛ لأن الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم؛ ومن علم سكت لضعفه وعدم قدرته مثل هذا عذره الله؛ فقد كان ضعاف الصحابة يرون القذر يطرح على رسول الله، ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا، فليس فقط قد علموا، بل رأوا رأي العيان وسكتوا لعذرهم. قال ابن مسعود: "لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم".

١٥٠٦. تفيد أن الرضا بالكفر كفر؛ وأن الرضا بفعل الظلم والمعصية ظلم ومعصية؛ حيث اجتمع تسعة رهط مفسدون لتنفيذ مخططهم؛ وانبعث أشقى القوم لعقر الناقة؛ فنسب الله هذا الفعل للجميع لرضائهم به وسكوتهم عنه. وتصديقه، ما حكاه الله عنهم في سورة النمل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ

﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[النمل: ٤٥-٤٦]. ولحثِّهم؛ فمن أعان قاتلا ولو بشطر كلمة، فهو قاتل مثله؛ وتصديقه: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾، ثم جمعهم فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾. وهذه مسألة عظمى، يحتاج إليها أهل هذا الزمان خاصة، الذي كثر فيه الهرج.

١٥٠٧. تفيد أن استهداف آية الرسول هو استهداف لدعوته؛ لأن مقصدهم من إهلاك الناقة أن يزيلوا آية صالح عليه السلام لئلا يزيد عدد المؤمنين به، لأن مشاهدة آية نبوءته سالمة بينهم تثير في نفوس كثير منهم الاستدلال على صدقه، والاستئناس لذلك بسكوت كبرائهم وتقريرهم لها على مرعاها وشربها

١٥٠٨. تفيد أنه لا تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، فهم عقروا الناقة التي هي أعظم آية، ويقولون له بعد ذلك إن كنتم من المرسلين أنزل علينا العذاب الذي تهددنا به

١٥٠٩. يفيد التعبير بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها؛ ذكر ابن إسحاق : أنه اجتمع لها ناس منهم، فرماها أحدهم بسهم وضرب آخر قوائمها بالسيف ونحرها آخر فأطلق اسم السبب على المسبب".

١٥١٠. فيها بيان ما كانت عليه ثمود وغيرها من العتو والطغيان والعياذ بالله.

١٥١١. تفيد أن عقرهم الناقة لم يكن عملا فرديا ولا تصرفا عفويا إنما كان تحديا لله ورسوله.

١٥١٢. تفيد: أن من وقع في ذنب، فلير الله منه مسكنة وتواضعا وندما؛ فذلك أجدر ألا يقع به العذاب؛ لقوله: ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾، وكأنه يقول: ويا ليتهم عقروها وندموا؛ بل ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾، بل تبجحوا قائلين ﴿ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ ...﴾. وعليه: فتفيد: دقة التعبير.

١٥١٣. فيها أن طاعة الرسول هي طاعة لله ومعصية الرسول معصية لله؛ ولذا قال تعالى ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾وهو ما أمرهم به صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

١٥١٤. تفيد أن المشركين لا يعرفون عظمة الله تعالى ولهذا عتوا عن أمره، واستعجلوا عذابه وبأسه.

١٥١٥. تفيد: أن الكفار يتفاوتون في الكفر؛ لقوله: ﴿فَعَتَوْا﴾. وكما قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾.

١٥١٦. فيها: بيان ضعف عقول الكفار، وعدم توفيق الله لهم؛ فهم يعلمون صدق نبيه وما أوعدهم به، ومع ذلك يطلبون أن يقع عليهم العذاب إن كان من الصادقين.

١٥١٧. فتفيد، وبضميمة ما بعدها: قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾.

١٥١٨. وتفيد: بأن الكفر ملة واحدة؛ مهما باعد بينهم الزمان والمكان؛ وتصديقه: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

١٥١٩. ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ جاء الفعل بصيغة المضارع فيه إشارة لنصحه لهم وشفقته عليهم فهو عليه السلام يكرر على مسامعهم نواهي ربهم حتى لا يقعوا فيها.

١٥٢٠. تفيد أن قوم صالح مع كفرهم فهم قوم معاندون حيث إنهم فعلوا كل ما نهوا عنه، وتركوا جميع ما أمروا به، بل زادوا على ذلك وطلبوا العذاب الذي توعدهم به صالح عليه السلام.

١٥٢١. تفيد: أن الأنبياء، يذكرون الوعيد على المخالفة، كما يذكرون الوعد على الطاعة؛ فينبغي أن يجمع الداعية بين هذين الأمرين؛ لقوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾، وهو العذاب إن خالفوا

١٥٢٢. كما أنها تشير: إلى أن الرسل، لا يملكون إلا هداية الإرشاد فحسب، لأنه حذرهم ومع ذلك وقعوا في المخالفة. وعليه: فيجوز إطلاق الوعد على الوعيد، وليس العكس؛ لأنه لم يقل: "بما تتوعدنا".

١٥٢٣. تفيد أنهم أرادوا توريط وإحراج صالح عليه السلام، لاعتقادهم بأن العذاب لا يكون، وأنه ليس من المرسلين، وفيه تعريض بأن الله ينصر رسله فلو كنت منهم فلينتقم منا ربك لك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨ – ٧٩]

١٥٢٤. تفيد مسارعتهم إلى الكفر والشر؛ للفاء في قوله: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾.

١٥٢٥. تفيد أن أوامر الله تعالى يجب أن تقابل بالإذعان والائتمار لا بالعتو والاستكبار.

١٥٢٦. فيها: أن الكفار، يستعجلون عذاب الله.

١٥٢٧. تفيد أن الله يمهل الظالمين، ثم يأخذهم متى شاء، ومن ثم فإن أفعاله سبحانه وتصرفاته تختلف عن أفعال خلقه الذين يبادرون بالعقوبة من يخالفهم ويعاجلونه بها.

١٥٢٨. فيها: بيان شدة العقاب الذي نزل بهم؛ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾، ولم تردَّهم؛ ولذا قال: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

١٥٢٩. تفيد: أن الله، سحتهم بهذا العذاب عن بكرة أبيهم؛ وصديقه ما قاله في عاد وثمود: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

١٥٣٠. فيها: جواز إطلاق الواحد، وإيرادة الكل؛ لقوله: ﴿دَارِهِمْ﴾، والأصل أنها: "دورهم"؛ كما قال: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾، يريد: والملائكة.

١٥٣١. تفيد: أن الرسل، لا يفرطون في التبليغ؛ ولقوله: ﴿لَقَدْ﴾، لام القسم، وقد للتحقيق.

١٥٣٢. تفيد: وجوب حمل النفس على قبول النصيحة.

١٥٣٣. تفيد: وجوب محبة الناصحين، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

١٥٣٤. فيها: حرص الأنبياء وجهدهم في التبليغ، حيث زادوا عليه بالنصح.

١٥٣٥. تفيد قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ لقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ على قول من يقول: أي: أعرض عنهم، وخرج من بينهم حين علم أن العذاب ينزل بهم؛ لأن الله لا يعذب قوما فيهم نبيه. وعلى قول من يقول: "إن كلام صالح، كان بعدما أهلكهم الله".

١٥٣٦. تفيد: الحديث الذي فيه: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»، وذلك لما ترك النبي قتلى بدر ثلاثا، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم..." الحديث.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]

١٥٣٧. فيها: وجوب الإنكار على المخالف، سيما إذا عظمت مخالفته.

١٥٣٨. تفيد: أن صنيعهم، تعافه الفطر السليمة.

١٥٣٩. تفيد: أن رسل الله، ينهون عن الفواحش، كما ينهون عن الشرك. وإذا كان الرسول ينهى عن الفاحشة، فلأن مرسله يبغضها ولا يأمر بها: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾.

١٥٤٠. فيها تعريض بالمشركين الذين أخبر عنهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

١٥٤١. فيها عظم وشناعة جرم من يقرون ويشرعون الشذوذ الجنسي وما يسمى بالزواج المثلي، وهو القمة بالانحطاط الخلقي ومؤذن بعقوبة ونهاية من تجرأ على إقراره.

١٥٤٢. تفيد أن الإنكار له أساليب وصورة متعددة يسلكها الداعية.

١٥٤٣. تفيد أنه لا حرج من تسمية لوط فإنه من أسماء الأنبياء.

١٥٤٤. تفيد: أن الله، حيي يكني؛ لقوله: ﴿أَتَأۡتُونَ﴾.

١٥٤٥. تفيد: أن الإنكار بذكر الاستفهام الانكاري، يكون أشد أحيانا من التصريح بالنهي وعدم الفعل؛ فإنه لم يقل – مثلا –: "لا تأتون".

١٥٤٦. تفيد أن مهمة الأنبياء الدعوة للخير والنهي عن المنكر والسوء.

١٥٤٧. تفيد عظم جريمة اللواط حيث سميت بالفاحشة.

١٥٤٨. تفيد أهمية علم الدعاة بأخبار وقصص العالمين وما كانوا عليه في السوء أو الخير.

١٥٤٩. تفيد أن الأنبياء يتكلمون بالوحي فإن هذا النفي لا يكون إلا بوحي ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨١]

١٥٥٠. تفيد: أنهم يفعلونها بمحض اختيار، قال القاسمي: وقَوْلُهُ تَعالى ﴿شَهْوَةً﴾" مَفْعُولٌ لَهُ، أيْ لِلِاشْتِهاءِ، أيْ لا حامِلَ لَكم عَلَيْهِ إلّا مُجَرَّدُ الشَّهْوَةِ مِن غَيْرِ داعٍ آخَرَ، ولا ذَمَّ أعْظَمُ مِنهُ، لِأنَّهُ وصْفٌ لَهم بِالبَهِيمِيَّةِ، وأنَّهُ لا داعِيَ لَهم مِن جِهَةِ العَقْلِ البَتَّةَ، كَطَلَبِ النَّسْلِ ونَحْوِهِ، أوْ حالٌ، بِمَعْنى مُشْتَهِينَ تابِعِينَ لِلشَّهْوَةِ، غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إلى السَّماحَةِ.

١٥٥١. فيها: رد على الملاحدة الذين يقولون: أن هذا الصنيع، يُفعل نتيجة جينات في جسم الإنسان. وعليه: ففيها إعجاز علمي. وتأمل قوله: ﴿شَهْوَةً﴾، وكان كافيا أن يقول: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. ومن تتبع معتقد الملاحدة في هذا الأمر، لتبين له وزن هذه الآية، ولازداد إيمانا بأنه كلام الله المنزل المعجز.

١٥٥٢. تفيد: أن الفطر السليمة، تصرف هذه الشهوة إلى النساء دون الرجال (بما أحل الله وأذن فيه من النكاح). وفي هذا، إشارة إلى انتكاس فطرهم.

١٥٥٣. تفيد: أن الله ما حرم شيئا من الخبائث، إلا أباح غيره من الطيبات؛ لقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾، وفي أخرى قال: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾. ولذا، فمن وقع فيما حرم عليه، وترك ما أباح له، كان عاديا؛ ولذا ختمها بقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

١٥٥٤. فيها أن المعاصي فيها مخالفة للفطرة.

١٥٥٥. فيها إشـــارة إلى تقبيح البدع والتشـــنيع على فاعلها لأن العقول لا تســـتقل بمعرفة المحاسن.

١٥٥٦. فيها: رد على قول القائل "أميتوا الباطل بالســـكوت عنه"؛ ففي ذكر الله لنا فعلة القوم، دليل على أن هذا الكلام ليس على إطلاقه؛ فلو شاء الله لسكت عن صنيعهم.

١٥٥٧. تفيد: أهمية استعمال المؤكدات في الإنكار؛ سيما إذا كان المنكر شنيعا.قال الألوسي: وفي الإِتْيانِ بِأنَّ واللّامِ مَزِيدَةُ تَقْبِيحٍ وتَقْرِيعٍ كَأنَّ ذَلِكَ أمْرٌ لا يَتَحَقَّقُ صُـــدُورُهُ عَنْ أحَدٍ فَيُؤَكَّدُ تَأْكِيدًا قَوِيًّا.

١٥٥٨. تفيد أن الفطر قد تنحرف عن مسارها السليم بهوى النفوس.

١٥٥٩. تفيد: أن الإفراط في الشـــهوات والفواحش، يؤدي إلى ما هو أبعد منها وأشـــنع؛ كما يقع في بلاد الكفر؛ فبسبب توغلهم وإسـرافهم في الشـهوات، يقعون في إتيانهم المحارم – أعاذنا الله؛ لقوله: ﴿مُّسۡرِفُونَ﴾. قال ابن عاشـــور في التحرير: ووَصَـــفَهم بِالإسْـــرافِ بِطَرِيقِ الجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ الدّالَّةِ عَلى الثَّباتِ، أيْ أنْتُمْ قَوْمٌ تَمَكَّنَ مِنهُمُ الإسْـــرافُ في الشَّـــهَواتِ فَلِذَلِكَ اشْـــتَهَوْا شَهْوَةً غَرِيبَةً لَمّا سَئِمُوا الشَّهَواتِ المُعْتادَةَ.

١٥٦٠. فيها أن الله ذم المسـرفين في الحلال في كتابه، فالمسـرفين في الحرام أشـد ذما من باب أولى.

١٥٦١. فيها: مزيد إنكار وتقبيح لصنيعهم، على ما مضى من القدر الأول، من أنهم أول من سن هذا الخبث؛ ولذا وصفهم بالسرف، ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

١٥٦٢. فيها أنه ما أرسل رسول إلا أخرج من دياره وعودي.

١٥٦٣. فيها أن أهل الباطل يضيقون ذرعا بأهل الحق ولا يطيقون العيش معهم، بعكس ملل ونحل أهل الباطل فيمكن أن يتسامحوا ويتعايشوا معهم مهما كان الخلاف معهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾

١٥٦٤. تفيد بيان ما يمكن أن يصل إليه أهل الشر والفساد تجاه أهل الخير والصلاح؛ حيث توحدت كلمة قوم لوط على شيء واحد؛ واتفقت اجاباتهم على جواب واحد فقط؛ بالرغم من أنهم قد يختلفون في كثير من الأمور إلا أنهم في هذه الحالة قد اتفقوا وتوحدوا لما وقر في قلوبهم من بغض الصلاح وأهل الإصلاح وما حصل في فطرتهم من الخلل والانتكاسة؛ فتشابهت قلوبهم وفطرتهم؛ وهكذا نرى عبر التاريخ البشري هذا التوحد والاتفاق بين أهل الشر والفساد تجاه أهل الخير والصلاح. والله المستعان.

١٥٦٥. تفيد بيان استكبار وطغيان قوم لوط؛ حيث أضافوا إلى أنفسهم القرية؛ مشيرين إلى أنها ملك خاص لهم؛ لا يشاطرهم فيها أهل الخير والصلاح؛ ولا حق لهم في المواطنة والسكنى - وإن كانوا من أهلها- ما داموا مخالفين لهم في الرأي والاعتقاد؛ وأن من الواجب طردهم وإبعادهم وإخراجهم من الوطن.

١٥٦٦. يفيد التعبير بقولهم: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾دون قوله (لنخرجهم) مثلا؛ لبيان أن هناك بعض النفوس المريضة المتكبرة التي تريد أن تأمر وتنهى؛ ولكن لا تباشر ذلك العمل بنفسها وإن كانت ترى فيه مصلحتها؛ لأنها ترى منقصة في التعامل المباشر مع من تراهم في نظرها؛ حثالة وسفلة. وفي عبارتهم تلك ما ينطوي على شدة الخبث والتكبر والطغيان في نفوسهم، وإن كان لا يمنع من أنهم يباشرونه بأنفسهم؛ وتصديقه: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾، وقال: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾.

١٥٦٧. يفيد وصفوهم بالتطهر فيه أن كفار الامس أصدق وعدل من كفار اليوم الذين ينعتون الدعاة بالتشدد والإرهاب:

إذا عــيّر الطــائي بالبخــل مــادرُ وعــير قســاً بالفهاهــة باقــلُ
وقـال السـهى للشـمس أنـت كسيفةٌ وقـال الـدجى للبـدر وجهـك حائـلُ
فيــا مــوت زر إن الحيــاة ذميمــة ويا نفـس جــدي إن دهـركِ هــازلُ

١٥٦٨. فيها الإشــارة إلى مســلك أهل الباطل إذا أعيتهم الحجة وعجزوا عن الرد لجؤوا إلى البطش والقوة واستعداء السلطان على أهل الحق.

١٥٦٩. تفيد أن أصــحاب الانحراف الأخلاقي أضـعف شـكيمة من غيرهم في التعامل مع مخالفهم، فأصــحاب الانحراف العقدي هددوا مخالفيهم بالقتل والرجم، ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾، وهذا تكرر كثيرا في القرآن، وهؤلاء أقســى عقوبة هددوا الإخراج من القرية، وهذه قراءة نفسية مهمة في التعامل مع المخالفين يجدها من يتأمل ردة كل قوم مع دعوة رسولهم من أصحاب الانحرافات المتنوعة.

١٥٧٠. تفيد أن القرية التي تكون خالصــة في الفســاد عرضــة للهلاك والدمار، فهم أرادوا بإخراجهم ذلك.

١٥٧١. التهديد بالإخراج ليس خاصا بأصحاب الانحراف الخلقي فقط بل ظاهرة عامة عند الكفار: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾، وكذلك قيل لشـعيب وقيل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولذا قال (أو مخرجي هم؟).

١٥٧٢. تفيد، وبضــــميمة ما قبلها: أن من علامات أهل الطهر، أنهم ينهون عن الفواحش، ومفهومه: أن أهل الخبث، يدافعون عنها. وهذا ظاهر.

١٥٧٣. تفيد أن المرء قد يستدعي الهلاك والدمار لنفسه فيما يتمناه من الأفعال؛ (ورب امرئ حتفه فيما تمناه) فخروج آل لوط كان علامة على هلاك القوم؛ ومع ذلك أرادوه وتمنوه واستعجلوه:

وربّ مُســتَعْجَــــل فيه العَطَب ورب مُدَرَك فيه الهلاك.

و:

وما كل ما يتمنى المرء يدركه   رب امرئ حتفه فيما تمناه.

١٥٧٤. تفيد: أن أتباع الرسل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ لقوله: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾، يريدون لوطا – عليه السلام – وأصحابه؛ وتصديقه: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾.استطراد؛ بمناسبة قوله: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾:

١٥٧٥. فيها: إطلاق "الآل" على الأصحاب؛ لقوله: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ ولم يعن آل بيته (فحسب)، لأن ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. ومن هنا: فالمراد بصلاة المصلي على رسول الله بقوله: "صلى الله عليه وعلى آله"؛ يدخل فيه الصحابة كلهم وجوبا؛ وإلا لصلى المصلي على الطاغي أبي لهب. وعليه: ففيها: رد على الروافض الذين يخصون عبارة "وآله" على آل البيت فقط. وبدليل أنهم يخرجون الحسن – رضي الله عنه – لبغضهم له، وهو من آل البيت. ولا شك أن هذا من نفاق الشيعة. لكن آل النبي ﷺ مستقر عند أهل السنة في العقيدة والفقه والصدقة والمغنم وهم: أزواجه وذريته وبنو هاشم وبنو المطلب ومواليهم، على الراجح من أقوال العلماء والله تعالى أعلم. وأما من يُدخل الصحابة وسائر الأمة في آل النبي فهو بالمعنى العام، كما في المعنى العام للإسلام والذي يدخل فيه كل الانبياء وأتباعهم الموحدين. والذي لا يُبنى عليه أحكام. ولا يُشكل عليه أن من ال النبي من هو مشرك، كما لا يشكل أن من آل إبراهيم من هو كافر مشرك ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾..

١٥٧٦. تفيد أن من أسوأ أنواع الانحراف أن يرى المجتمع المنكر معروفا والمعروف منكر، فأصبح الطهر جريمة يخرج بسببها الإنسان من بلده.

١٥٧٧. فيها: إشارة إلى انتكاسة ثانية في فطرهم؛ حيث أمروا بإخراج أهل الطهر؛ إخراج من يجب ابقاؤهم والحفاظ عليهم وتكريمهم.

١٥٧٨. تفيد أنه ينبغي على العبد أن يتعاهد نفسه دائما وخصوصا في مواطن الفتن والفساد والانحلال والتفسخ؛ ولا يغتر بطهارة داخله؛ بل عليه أن يجاهد نفسه في تطهيرها أكثر خوفا من أن يدخل في نفسه شيء من تلك الأمور؛ ولعل هذا ما يفيده قوله: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ولم يقولوا مثلا: (أناس مطهرين) أو (طاهرين) والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣ – ٨٤]

١٥٧٩. فيها خطل قول بعض شيوخ الصوفية أن من رآه يوم الاثنين لم يدخل النار فهذه زوجة نبي خالط عرقها عرقه دخلت النار.

١٥٨٠. فيها: التحذير من الإبقاء بين المجرمين؛ لقوله: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ مع المجرمين. وكما قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

١٥٨١. تفيد: أن الذي ينجي من عذاب الله، هو الله جل ذكره؛ وفي الحديث: "أعوذ بك منك".

١٥٨٢. عدم استثناء امرأة لوط من العذاب يفيد أن دين الله ليس فيه محاباة لأحد كائنا من كان.

١٥٨٣. تفيد أن المعيار الحقيقي هو اتباع دين الله والتزامه قولا وعملا واعتقادا، أما الأنساب فإنها لا تنفع ولا تجدي، ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، وقوله: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا)، وكذا كان قوله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس، وعمته صفية، وابنته فاطمة رضي الله عنهم أجمعين.

١٥٨٤. فيها أن الأهلية المعتبرة هي أهلية الدين لا أهلية النسب وأن امرأة الرجل من أهله بدليل الاستثناء على القول بأن الاستثناء متصل.

١٥٨٥. تفيد أن النجاة مرتبطة بالغرق ولها شــواهد كثيرة ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ..لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ..﴾ وقــال عن فرعون ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ مع استحضــار أنها ترد في غير ذلك كالنجاة من عذاب فرعون الذي أغرقهم بظلمه، ونجاة المؤمنين اتباع الرسل. وغيرها

١٥٨٦. تفيد: أن التخلف عن الرسل، مهلكة وعرضة للعذاب؛ لقوله: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾. ونحــوه: ﴿وَهِىَ تَجۡرِى بِهِمۡ فِى مَوۡجٍ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعۡزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

١٥٨٧. تفيـد: أن الأهـل، أعم من الزوجة؛ لقولـه: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾، ولو كـان المقصـود بالأهل الزوجة فحسـب، لما اسـتثنى ﴿ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾. وعليه حمل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾، ومن هنا، يتبين تقصير من يسعى في نجاة امرأته ويهجر نجاة أخته.

١٥٨٨. فيها أن الغالب في ورود لفظ (المطر) في القرآن إذا كان عذابا، وإذا كان خيرا ورحمه ورد بلفظ: الغيث. مع جواز إطلاق المطر على الغيث لقوله صلى الله عليه وسلم (مطرنا بفضل الله ورحمته) ولاشــك أن المطر في القران أكثر ما ورد في العذاب لكن أيضــاً ورد لفظة المطر في الأحوال العادية التي ليس فيها عذاب كما في آية ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ...وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡ﴾ والمطر والمرض هي من العوارض العادية التي تعيق المرء في جهاده وبعض عباداته، وحاشا نبيه وصحابته أن يراد بالمطر هنا العذاب وهم في جهاد ونصـرة للدين. وكذا ورد في السـنة ذكر المطر في الرحمة لا في العذاب وقال أبو عبيدة في التفريق بينهما: أمطر؛ في العذاب. ومطر؛ في الرحمة. والصــحيح أن الغالب إطلاقه على العذاب وليس على الإطلاق بل يرد إطلاق المطر على مطر الرحمة أيضــا كما جاء صـريحا في السنة كما أسلفت.

١٥٨٩. فيها الأمر بالاعتبار في مصير الهالكين والمعذبين الغابرين للعظة والحذر مما أصابهم ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾. فانظر الأصل أنها نظر التأمل والتفكر والاعتبار. ويحتمل إضافة معنى ثان هنا؛ وهو النظر على الحقيقة بالعين الباصرة بدليل ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِ﴾، ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ واضح للمسافرين. وفيها أهمية السير والوقوف على مصارع القوم للاعتبار ولا راء كمن سمع، لذا تكرر في القران:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١]

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩]

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ [الروم:٤٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]

١٥٩٠. فيها: الإيمان بنبي الله "شعيب" عليه السلام. وهذا مطرد في كل من سمى الله وقصه علينا من الأنبياء والمرسلين.

١٥٩١. تفيد: أن التوحيد، يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويكره إليه الفسوق والعصيان. وهذا من أسرار افتتاح الرسل دعوتهم بالتوحيد.

١٥٩٢. قولُه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هو حظُّ الإثباتِ مِنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ. وقولُه: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ حظُّ النفيِ منها.

١٥٩٣. ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فيها تقديم النداء للتنبيه واليقظة، ومن ثم يأتي الأمر بعبادة الله وقد استعدت الآذان وتنبهت القلوب لما سيلقى عليها من أمر عظيم.

١٥٩٤. تأييد الله تبارك وتعالى لرسله الكرام عليهم الصلاة والسلام بالحجج البينات، والبراهين الواضحات، والآيات المعجزات، الدالة على صدق ما جاءوا به.

١٥٩٥. فيها: انتفاء الشـــبهة على قوم شـــعيب – عليه الســـلام –، وأنهم لا حجة لهم في تكذيبه؛ لقوله: ﴿قَدْ﴾ تحقيق ﴿جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ لا تخفى على ذي عقل أبي صـــادق ومرسـل من ﴿رَّبِّكُمْ﴾.

١٥٩٦. تفيد: أن لنبي الله شـــعيب، معجزة جاء بها؛ وإن لم يرد ذكرها؛ لقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.قال الزجاج في معاني القرآن: وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادَّعَى مُدَّعٍ النبوة بغير آية لم تُقْبَلْ منه، ولكن القِول في شعيب أن آيته كما قال بينَة" ا ه

١٥٩٧. تفيد أنه : "ما من الأنبياء من نبي، إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر".

١٥٩٨. تفيد: قاعدة: "عدم العلم، ليس علما بالعدم".

١٥٩٩. تفيد عدم قبول الدعوى إلا مع الدليل، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ فقد فرّعها على الدعوة إلى الدين، فكانت كالعلة في وجوب القبول. ويؤخذ منها عدم جواز التقليد الأعمى بل وجوب العمل عن دليل.

١٦٠٠. ويؤخذ منها تربوياً: أننا عندما نعلم أولادنا أو ندرّس طلابنا يجب علينا أن نقرن الدليل بما نقول، ليكون أدعى للاستجابة.

١٦٠١. ويؤخذ منها نفســياً: أن على الداعي معرفة نفســية المدعو ليخاطبه بالدليل الأدعى للقبول عنده.

١٦٠٢. تفيد أن الداعية ينبغي أن يركز على الأشياء التي يكثر وقوعها وانتشارها في مجتمعه؛ وذلك لأنّ شعيبا عليه السلام خصهم بالأمر بإيفاء الكيل والميزان بسبب تهاونهم في هذا الأمر.

١٦٠٣. فيها نعم الله على خلقه أن ألهمهم التعامل بمكاييل وموازين تقوم بها مصـــالحهم سـد لهم بها طرق الشح والطمع والشقاق فيما بينهم، لكنهم أبو إلا أن يفسدوا فيها.

١٦٠٤. فيها فضيلة إيفاء الكيل والميزان.

١٦٠٥. فيها أن الله حث على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سببا لمصالح العباد في معاشهم ومعادهم.

١٦٠٦. تفيد حرمة التطفيف في الكيل والميزان والغش في الصناعات والمهن ونحوها، إذ يشملها مصطلح الفساد المنهي عنه.

١٦٠٧. تفيد شمول هذا الدين لجميع نواحي الحياة فبعد أن أكد التوحيد الذي هو أصل الأصول ثنى بالتنبيه على قضية من قضايا التعامل بين الناس وهي النهي عن التطفيف وبخس الناس أشياءهم.

١٦٠٨. فيها: الجمع بين العدل الحسي والمعنوي؛ فالعدل الحسي كما في إيفاء الكيل. والمعنوي: عموم قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾، كأن يذم شخصا في عمله أو علمه أو فهمه.. وحقه أن يمدح. وعليه: فتفيد: النهي عن الظلم الحسي والمعنوي كذلك.

١٦٠٩. فيها: دقة التعبير القرآني؛ لقوله: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾، دليل أن الأصل ما في أيدي الناس، ملك لهم وإشارة إلى: أن المسروق والمغصوب، لا يعتد به. ولو شاء لاكتفى بقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ﴾. لأن من الناس مم يبيع المسروق بأبخس الأثمان. وفائدته: إسقاط معاملة السارق.: ولهذا قضى داوود – عليه السلام – بالولد للكبرى.

١٦١٠. تفيد مع الدعوة إلى الاهتمام بالآخرة؛ الاهتمام في بناء الحياة الدنيا وتسهيل اتخاذ الأسباب، والاهتمام بأدق التفاصيل ضرب لذلك مثلاً ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾

١٦١١. فيها أن أعظم الإفساد في الأرض إضاعة الحقوق. وأعظمها إضاعة حق الله تعالى بالشرك به وعدم التوحيد. ومن الإفساد في الأرض أكل أموال الناس بالباطل فخص هنا ثم عمّ فخصّ التطفيف في المكاييل والموازين ثم عمّ بخس الناس مالهم من حق حسي أو معنوي

١٦١٢. تفيد: أن للعباد كسب وإرادة.

١٦١٣. تفيد: أن من الناس من يميل إلى الشر والإفساد ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

١٦١٤. فيها: بيان فضل نزول الوحي، وأن في نزوله سعادة وصلاح للبلاد والعباد؛ لقوله: ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾، قال الطبري في تفسيره: يقول: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي – عليه السلام – فيكم، ينهاكم عما لا يحل لكم، وما يكرهه الله لكم.

١٦١٥. ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾﴿خَيۡرٞ﴾ جاءت نكرة لتعم كل خير دنيوي وأخروي بقيد ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

١٦١٦. فيها التنبيه الى الحقوق الثلاثة الشاملة لجميع الحقوق.

الأول: حق الله تعالى بتوحيده وعدم الإشراك به.

الثاني: حق الأمة والمجتمع ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾

والثالث: حق النفس ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

١٦١٧. فيها: أهمية الإيمان، وأن المؤمن الحق، من يأتي المأمور ويترك المحظور

١٦١٨. فيها أن الرسل جاءت بالإصلاح الشامل الديني والدنيوي والنهي عن الإفساد العام الديني والدنيوي. وهذا تأكيد على حاجة البشرية إلى الرسالة الإلهية.

١٦١٩. فيها أن أي مشروع إصلاحي لا يقوم على التوحيد ورد المظالم ولا يشمل الديني والدنيوي فهو فساد وإفساد وإن سمي إصلاحا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾

١٦٢٠. تفيد: أن الإيمان، يقتضي فعل الأمر وترك النهي (العمل)؛ ولذا ذيلها بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾. وعليه:

١٦٢١. فيها: رد على المرجئة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]

١٦٢٢. فيها أن الأمم السابقة مع شركها بالله كانت تعاني من مشاكل أخلاقية واقتصادية سياسية.

١٦٢٣. فيها: النهي والتحذير من الصد عن دين الله، وتخويف وتفزيع أهل الإيمان.

١٦٢٤. فيها تذكير الدعاة بنعم الله تعالى على الناس حتى تكون سببا لسلوك سبيل المنعم جل وعلا. وفيها بيان سبل الكفار والمنافقين وأتباعهم في الصد عن سبيل الله ومنها: تخويفهم كل الناس من الاستقامة على طريق الله تعالى ابتداء أو استدامة بأي شكل من الأشكال ووعيدهم وتهديدهم إن هم استقاموا عليها، ومنها صدهم كل من آمن عن سبيل الله، ومنها إرادتهم تحول سبيل الله تعالى من الاستقامة إلى الاعوجاج حتى لا يسلكها الناس وإن سلكوها لا تنفعهم لأنها اعوجت ما لم تقم وترجع إلى أصلها في الاستقامة وفي الصحيح (ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء). وفيها تحذير الدعاة الكفار ومن في حكمهم من عاقبة فعل هذه الأمور.

١٦٢٥. تفيد: أن أهل الكفر والباطل، يسعون سعيا حثيثا ليصرفوا أهل الإيمان والحق على ما هم عليه من الإيمان والهدى.

١٦٢٦. ففيها: إشارة إلى: تنوع الأساليب، و ﴿مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾.

١٦٢٧. تفيد أهمية تنوع الأساليب في الخطاب في قوله تعالى: ﴿تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾، ولو ذكر الصد، لكفى؛ لأنه جامع.

١٦٢٨. تفيد: أن الكفار، إذا لم يتمكنوا من الصد عن دين الله، شرعوا في تشويهه والتشنيع عليه. وهذا ظاهر؛ لقوله: ﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾، وكان من الممكن الاكتفاء بالصد أيضا.

١٦٢٩. تفيد بالمفهوم: أنه يجب على أهل الإيمان، أن يسلكوا كل طريق يؤدي بهم للدعوة إلى دين الله. وإن عجزوا عن مباشرتها، سعوا بكل قوة في نشر محاسن الإسلام؛ سيما عبر وسائل التواصل الحديثة. ولعلها نكتة في هذا المقام.

١٦٣٠. تفيد أن دين الله وسبيله واحد مستقيم لا عوج فيه؛ ولذلك نفى الله العوج عن كتابه العزيز قال تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ وقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا...﴾ أما أهل الباطل كافة من أهل الكتاب وغيرهم ف﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾. وجاء إثبات إرادة هذا الاعوجاج منهم مقرونا بالصد عن سبيل الله إشارة إلى أن من أهم وسائل الصد عن سبيل الله التشويه والتحريف للحق والميل به عن الاستقامة

١٦٣١. تفيد: أن أعداء الدين، ديدنهم التهديد لأهل الحق؛ دل عليه المضارع في قوله: ﴿تُوعِدُونَ﴾، ولم يقل: "أوعدتم". وكما قال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾.

١٦٣٢. تفيد خطورة ممارسة الإرهاب الحسي والمعنوي وهو ما يسمى بالفكري على الناس ومنعهم رؤية الحقيقة بأعينهم وعقولهم ﴿تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾.

١٦٣٣. تفيد أن السبيل الذي يوصل إلى الله تعالى واحد وهو صراط مستقيم.

١٦٣٤. فيها إشارة إلى: تشبه الكفار بالشياطين؛ التي قعدت لابن آدم بالرصد على طريق كل خير؛ وفي الحديث: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة، فقعد له بطريق الإسلام..." .

١٦٣٥. تفيد أنه ينبغي الاعتبار بحال الآخرين والعقوبات النازلة بهم، وكما قيل: السعيد من وعظ بغيره.

١٦٣٦. تفيد أن الحق منتصر مع كل ما يبذله أهل الباطل من جهود ومجهودات بدلالة السياق ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

١٦٣٧. فيها: بيان فضل الذرية، ومنته سبحانه على العبد بزيادة نسله.

١٦٣٨. فيها: رد على المنادين بتحديد النسل – قاتلهم الله. والعجيب، أن أحد أئمة الكفر يقول: "الإنسان هدية الله إلى الأرض، ملعون من رفضها".

١٦٣٩. تفيد: أن الدعوة إلى دين الله من أعظم صور إعمار الأرض والعكس؛ دل على مفهوم فاتحة الآية، وخاتمتها.

١٦٤٠. فيها استكمال بيان التوجيهات والأصول الإصلاحية لنبي الله شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة السلا:

- الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.
- الإصلاح الاقتصادي وتعاملات الناس المالية.
- إحقاق الحقوق العامة والخاصة ورد المظالم.

١٦٤١. فيها تخفيف منابع الفساد والإفساد ثم ذكر في هذه منع وسائل قطع الطريق إلى الله ومنها:

- الإيعاد بالشر وتوعد المصلحين والدعاة الى الله والمستجيبين لهم.
- كل وسائل الصد عن سبيل الله.
- تشويه سبيل الله وابتغاء اعوجاجها وإمالتها حسب الأهواء والتشغيب على سالكيها.
- التذكير بنعم الله وشكرها وعدم كفرانها.
- النظر والاعتبار بمآلات المفسدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٧]

١٦٤٢. تفيد إنقسام الناس إلى طائفتين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

١٦٤٣. فيها تقديم الطائفة المؤمنة لفضلها، على التي لم تؤمن.

١٦٤٤. يفيد هذا الكلام التلطف في المحاورة إذ برز المتحقق في صورة المشكوك فيه... وهو أيضاً من بارع التقسيم إذ لا يخلو قومه من القسمين... فَاصْبِرُواْ... وعداً للمؤمنين بالنصر الذي هو نتيجة الصّبر ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ ووعيداً للكافرين بالعقوبة والخسار.

١٦٤٥. فيها تسلية للمؤمنين بأن الله خير الحاكمين، سيقتص لهم ممن ظلمهم.

١٦٤٦. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الله، هو أحق أن يخاف؛ فقد قابل تهديد قومه، بأن هددهم بسطوة الله الملك؛ وكما قال: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾.

١٦٤٧. ففيها: رد على الكافرين من قوم شعيب الذين قعدوا على كل طريق، وكل من صنع مثلهم، من الذين يوعدون ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١٦٤٨. فيها تهديد وجه ذلك، أنه قال: ﴿فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾قال القرطبي لما قال في قوله: ﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾ ليس هذا أمرا بالمقام على الكفر، ولكنه وعيد وتهديد.

١٦٤٩. فيها أن ابتلاء المؤمنين بالكفار سنة ماضية.

١٦٥٠. فيها ايحاء للمسلمين بالصبر واليقين، وبيان الصفة التي تستحق بها الإمامة في الأرض والتمكين.

١٦٥١. فيها: أن الله، أعدل من يقضي؛ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨]

١٦٥٢. في الآية أن الكافرين لا يريدون بقاء المؤمنين بينهم وهم يمارسون تعاليم الدين.

١٦٥٣. تفيد: أن أهل الإيمان، يبتلون بإخراجهم من بلادهم؛ كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾

١٦٥٤. تفيد: أن سعي الكفار في إخراج أهل الإيمان والتضييق عليهم، سنة قديمة؛ وكما قال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

١٦٥٥. تفيد: عدم جواز إخراج المؤمن من بلده من غير مسوغ شرعي؛ وكما قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

١٦٥٦. كما أنها تفيد: أن من الناس، من لا يعمل جاهه ونفوذه في الطغيان ومحاربة الدين؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾}؛ لأن هناك أصحاب جاه، ليسوا بمتكبرين؛ بدليل ما بعدها: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾، فتأمل "الذين كفروا"، إشارة أن من هؤلاء الملأ من آمن. وعليه: فتفيد: دقة التعبير.

١٦٥٧. فيها: إشارة إلى: تعلق المرء وحبه لبلده. ولا أدل على ذلك من قول الله الذي لا أصدق منه قيلا: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾.ولذا أعظم الله أجر المهاجرين؛ لأنهم جمعوا بين الجهرة والنصرة.

١٦٥٨. فيها إشارة إلى: أن من الظلم والعدوان، نسبة البلد لبعض ساكنيها، دون البعض الآخر؛ مع أنهم سواء فيها؛ لقوله: ﴿مِن قَرْيَتِنَآ﴾، فانظر كيف أضافوها لأنفسهم، مع أنها قرية شعيب والذين معه؟!، ونظيره ما قاله قوم لوط – عليه السلام: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾، والعجيب أن دعاة الحرية في زماننا هذا، يحجرون على بعض المسلمين، وكأنهم ليسوا من البلد. وهذا تناقض منهم.

١٦٥٩. تفيد: أن الحق والباطل، ضدان لا يجتمعان. (إما الموافقة وإما المفارقة).

١٦٦٠. تفيد: أن الكفار، يتفاوتون في الكفر والإجرام؛ ولذا تفاوتوا في العذاب؛ لاستكبارهم، ولأنهم هموا بإخراج نبي الله وهذا جرم غليظ؛ ألا تراه يقول: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ وتصديقه: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

١٦٦١. فيها إشـــارة إلى: همة أهل الباطل وجلدهم وعزمهم على إنفاذ باطلهم؛ لقوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾. ونحـــوه: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.قال في التحرير والتنوير: وأَكَّدُوا التَّوَعُّدَ بِلامِ القَسَـمِ ونُونِ التَّوْكِيدِ: لِيُوقِنَ شُـعَيْبٌ بِأنَّهم مُنْجِزُو ذَلِكَ الوَعِيدِ.

١٦٦٢. وفي الآية أن الكافرين لا يرضون عن المؤمنين حتى يعودوا إلى ملتهم.

١٦٦٣. تفيد: أنه ليس لأهل الحق أن يحابوا أهل الباطل أبدا؛ فها هم يصـرحون ويقولون: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ..أَوْلَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾. فتأمل صـــلابتهم وعدم محاباتهم غيرهم وهم على الباطل!؛ فأهل الإيمان أحق وأحرى وهم على الحق.

١٦٦٤. فيها: أن المؤمنين، يكرهون ملة الكفر؛ ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾.

١٦٦٥. تفيد: تواضـع الأنبياء؛ حيث أضـاف شـعيب نفسـه - عليه السـلام - إلى مجموع المؤمنين؛ ﴿كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾.

١٦٦٦. تفيد: أن أهل الإيمان، يخافون على دينهم، ويكرهون أن يرجعوا كفارا؛ وتصـديقه: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾. وكما قال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يخافون أن يفتنوا في دينهم.

١٦٦٧. فيها إشــارة إلى: أن الدين الحق، لا يحتاج إلى أن يكره أتباعه عليه - لأمور كثيرة لا يتسع المقام لذكرها -؛ ألا تراه يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾.وعليه: أجابهم شعيب الخطيب البليغ - عليه الســـلام -: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾، ولم يقل - مثلا -: "نحن نكره ذلك، أو نكره أن نعود في ملتكم". وهذا من أسرار هذا الاستفهام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]

١٦٦٨. في مناسبة الآية لما قبلها: لما سبق التلميح بعدم العودة في ملتهم بقوله عليه السلام: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾، جاء في هذه الآية التصريح بألا يفعل، فإن في هذا الفعل افتراء على الله، والأصل في النبوة الصدق والبراءة من الكذب.

١٦٦٩. تفيد أن الكفر مَهلَكةٌ، وأن الإيمان مَنجاةٌ ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾.

١٦٧٠. تفيد أن الأصل في بابِ النُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ صِدْقُ اللَّهْجَةِ، والبَراءَةُ عَنِ الكَذِبِ، فالعَوْدُ في مِلَّة أهل الكفر يُبْطِلُ النُّبُوَّةَ، ويُزِيلُ الرِّسالَةَ. (مفاتيح الغيب)

١٦٧١. نعمة الهداية والتوفيق إلى الطاعة نعمة عظيمة وهي النجاة الحقيقية التي ينجو بها العبد بعد رحمة الله تعالى من عذابه.

١٦٧٢. تفيد إثبات صفة المشيئة لله تعالى مطلقا(كونية كانت أو شرعية)، وأنه لا تلازم بين مشيئته الكونية ومحبته ورضاه خلافا للقدرية والمعتزلة.

١٦٧٣. تفيد: أن المرتد، من أعظم الناس فرية على الله؛ لأنه رأى نور الحق، وذاق حلاوة الإيمان. ولذا وجب قتله؛ بخلاف من لم يدخل الدين أصلا. وهذا أشبه بالزاني المحصن؛ فإنه يجب قتله لأنه ذاق وعرف؛ بخلاف الأعزب.

١٦٧٤. تفيد: أن الله وحده، هو من ينجي العبد من الكفر؛ لقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ﴾ ، وهو وحده سبحانه الذي بيده هداية التوفيق إلى الحق والإلهام إليه؛ ولذا رد شعيب الأمر إلى فقال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. وهذا محض تأدب مع الله. ولذا كان النبي يقول: "... ثبت قلبي على دينك".

١٦٧٥. تفيد أن الهداية للتوحيد والحق نجاة ونعمة عظيمة، وهي منة وفضل من الله تعالى على سائر الخلق.

١٦٧٦. تفيد أن كل قضاء يقضيه الله تعالى بين خلقه فهو حق وعدل يجب الرضى والتسليم به.

١٦٧٧. تفيد أن الأنبياء والصالحين لا يزالون يخافون العاقبة وانقلاب الأمر، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، وكان نبينا عليه السلام يكثر من قوله:(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).

١٦٧٨. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾مهما بلغ علمك وإيمانك وصلاحك فإن الثبات مرتبط بمشيئة الله تعالى فألحَّ على الله بالدعاء بالثبات.

١٦٧٩. تفيد عدم الأمن من مكر الله تعالى، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، وقد أشار إلى هذا المعنى العلامة الألوسي في روح المعاني.

١٦٨٠. تفيد أن لا غنى لعبد مهما بلغ من الولاية والمنزلة عن ربه جل وعلا، خلافا لما يعتقده بعض الضلال من المتصوفة.

١٦٨١. تفيد أهمية فهم دلالة الكلمة القرآنية في سياقها، وعدم الاعتماد على اللغة فقط في فهم واستنباط هداية القرآن؛ لأن كلمة ﴿نَّعُودَ﴾هنا بمعنى نصير، لأن شعيب لم يكن معهم في ملتهم.

١٦٨٢. تفيد أهمية الأدب مع الله تعالى مهما كان حال العبد حيث أسند كمال أمره إليه وهو نبيه المرسل وعبده المصطفى ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾.

١٦٨٣. تفيد كمال علمه الذي أحاط بكل المعلومات الظاهرة والخفية والمعلنة والسرية ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وهذا يستلزم مراقبته وإخلاص العبودية له.

١٦٨٤. تفيد: أهمية التوكل على الله، في الثبات على الإيمان؛ ولذا قال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، بعد أن رد المشيئة إليه

١٦٨٥. يفيد قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، رد على القدرية. وقوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾رد الجبرية. فسبحان الله، ما أبلغ كلام الله.

١٦٨٦. تفيد أهمية استعانة الداعية بربه وهو يواجه قومه بباطلهم.

١٦٨٧. تفيد أهمية التضرع بصفات الحق في الدعاء ﴿رَبَّنَا﴾، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

١٦٨٨. يفيد قوله ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ إلى مَيْلِهِ إلى الدُّعاءِ بِهِدايَتِهِمْ، وأدَبٍ بِعَدَمِ التَّصْرِيحِ بِما لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِيهِ، لأنه لم يصرح بالدعاء عليهم بالاستئصال والعذاب. وقوله: "وأدَبٍ بِعَدَمِ التَّصْرِيحِ بِما لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِيهِ"، لأن الله عاتب نبيه ﷺ، لما دعا على قومه بالهلاك؛ فقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، وعاتب نوحا عليه السلام؛ في قوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.شيء آخر، أن هذا أشبه بقول الداعي: "اكفنيه بما شئت"، فلم يسم شيئا بعينه؛ فإن شاء هداه وأصلحه، وإن شاء أهلكه، وإن شاء...

١٦٨٩. تفيد أهمية حسن الظن بالله في الدعاء لأنه قوله ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾فلن تغلب الظالمين وإن كثروا على المظلمين إذا استفتحوك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]

١٦٩٠. الملأ هم الذين تمتلئ عيون العامة بمهابتهم وهم أهل الجاه والسلطان المال. المتصدرون للتكذيب عادة هم الملأ.

١٦٩١. تفيد أن الفئة ذات النفوذ ﴿ٱلْمَلَأُ﴾هم الذين يوجهون الرأي العام بما يتبنونه من اتجاهات وما يسعون لتحقيقه من أهداف باستغلالهم الأغلبية التابعة من الناس.

١٦٩٢. فيها أن المنتفعين الذين يخشون على دنياهم ممن يملؤون المناصب، هم أعداء المصلحين..

١٦٩٣. فيها إشارة إلى: أن الشارع، لا يعيب على أحد علا جاهه وعظم أو كثر ماله، ولكن يعيب عليه أن يحارب دين الله بما أوتي وأعطي؛ لقوله: ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

١٦٩٤. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن هؤلاء الملأ، كثر كلامهم وتنوعت أساليبهم في التكذيب والصد عن دين الله؛ دل عليه "واو العطف" في قوله: ﴿وَقَالَ﴾، ولم يقل: "قال الملأ".

١٦٩٥. حددوا الخسارة وحصروها في اتباع شعيب عليه السلام ولو عقلوا لعلموا أن تكذيبه هو الخسارة.

١٦٩٦. تفيد: أن الكفار، أهل كذب وبهتان وادعاء.

١٦٩٧. تفيد: أن أهل الكفر والباطل، ينفرون الناس من أن يتبعوا أهل الحق؛ فما يبثه الإعلام من مدح لأهل الباطل وذمه لأهل الحق، سنة قديمة.

١٦٩٨. تفيد: أن من قوم شعيب – عليه السلام –، من اتبعه وآمن به؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾. والسابق يدل عليه أيضا.

١٦٩٩. فيها أن أهل الباطل نظرتهم للحياة نظرة مادية، وهمهم في حياتهم ما يحصلونه من المصالح وما يحوزونه من المكاسب المادية..

١٧٠٠. فيها أن الكفر لمصادمته الفطرة السوية يؤدي إلى اختلال المعايير والموازين فينقلب في نظر الكافر الحق باطلا والباطل حقا والفلاح خسرانا والخسران فلاحا والإصلاح إفسادا والإفساد إصلاحا والمعروف منكرا والمنكر معروفا

١٧٠١. تفيد: أن الذين كفروا يحلفون بالكذب ويفترون ويتألون على الله؛ لقوله: ﴿لَئِنِ﴾، ولم يقولوا – مثلا –: "إن اتبعتم شعيبا"؛ ولكنهم أتوا بلام القسم.

١٧٠٢. تفيد: أن الذين كفروا، يغرقون في الكذب على الله، والصد عن دين الله؛ دل عليه المضارع في قوله: ﴿ٱتَّبَعۡتُمۡ﴾، ولم يقولوا: "تبعتم"؛ يريدون: لئن اتبعتم شعيبا في أي شيء فأنتم في خسارة – زعموا –؛ ونحوه: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾، يريد: ظلوا يتبعون أهواءهم، ولم يقلعوا. وهذا واقع ملموس؛ ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ

﴿كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩١ – ٩٢]

١٧٠٣. تفيد أن هناك مناسبة بين عذاب مدين بالرجفة وموقفهم من شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه، وذلك لكونهم أرجفوا شعيباً وأصحابه، وتوعدوهم بالجلاء، فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾[هود: ٩٤] والمناسَبَةُ هُناكَ – واللَّهُ أعْلَمُ– أنَّهم لَمّا تَهَكَّمُوا بِهِ في قَوْلِهِمْ ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[هود: ٨٧] الآيَةَ، فَجاءَتِ الصَّيْحَةُ فَأسْكَتَتْهم

١٧٠٤. تفيد أن نصر الله قريب من المؤمنين الصابرين المتوكلين، وأن للظلم والطغيان نهاية عاجلة أو آجلة.

١٧٠٥. في التعبير بالأخذ وإسناده إلى الرجفة دليل على تمكن العذاب منهم وإعماله كل صنوف الألم والإهانة فيهم

١٧٠٦. فيها: تأكيد على سنة الله في المكذبين والمستهزئين بالله ورسله؛ فقد فعل هذا من قبل فيمن سبق ذكرهم؛ وتصديقه: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ﴾، "كدأب آل فرعون" أي: كعادتنا في إهلاكهم. وكما قال: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

١٧٠٧. فيها: بيان عظيم قدرة الله على الناس، وأن عذابهم يسير على من يستحقه؛ وكما قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

١٧٠٨. فيها: بيان عاقبة من صد عن دين الله، وخوف وهدد المسلمين.

١٧٠٩. تفيد أن العذاب ينسي المعذَب ما عاشه من نعيم وحياة طويلة؛ لقوله سبحانه:﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾، وقوله صلى الله عليه وسلم:" يؤتى بأنعم أهل الدنيا..)الحديث.

١٧١٠. تفيد مشروعية توبيخ الظالمين بعد هلاكهم كما فعل رسول الله ﷺ بأهل القليب وكما فعل صالح وشعيب عليهما السلام. (أيسر التفاسير)

١٧١١. فيها: الإخبار عن قوة وشـدة العذاب الذي نزل بهم؛ قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾.قال ابن عطية في المحرر: وقَوْلُهُ تَعالى ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾ لَفظٌ فِيهِ الإِخْبارُ عن قُوَّةِ هَلاكِهِمْ؛ ونُزُولِ النِقْمَةِ بِهِمْ؛ والتَنْبِيهُ عَلى العِبْرَةِ بِهِمْ؛ ونَحْوُ هَذا قَوْلُ الشـاعِرِ: "كَأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَفا".

١٧١٢. فيها: دفاع الله عن أنبيائه وأوليائه؛ لأنهم زعموا خسـارة من اتبع شـعيبا؛ فرد عليهم أنهم ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

١٧١٣. وفيها التأكيد على الحقيقة ب (هم) و (أل) الاستغراق فكأن الخسارة هم أصلها وهي محيطة بهم، بينما الكفار قالوا ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾وهي أضـعف؛ لأنها في المسـتقبل ومنكرة ومتشككة.

١٧١٤. تفيد أن الجزاء من جنس العمل: كونهم قالوا:﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ﴾ فصـاروا هُمُ المخْرَجِينَ من القرية إخراجا لا دخول بعده، كما عُوقِبُوا بقولهم: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ بأن صارُوا هم الخاسرين.

١٧١٥. تفيد: الخوف من عذاب الله، وبطشه، وانتقامه.

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٣]

١٧١٦. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سبب في النجاة من العذاب الله؛ بدليل أنه خص العذاب بهؤلاء وحدهم.

١٧١٧. تفيد بدلالة السـياق جواز مخاطبة المعرضـين الهالكين من بعد موتهم من باب التقريع والتوبيخ لهم، والعظة لغيرهم كما فعل النبي عليه السـلام بمن هلك من المشـركين يوم بدر عند القليب.

١٧١٨. فيها أنه ليس على الرسل وورثتهم من الدعاة الا البلاغ ومحض النصيحة.

١٧١٩. فيها التحذير من مغبة مخالفة النصيحة من الناصح الأمين وأن عاقبها الندم والخسران.

١٧٢٠. فيها أن على الداعية ألا يحزن على الهالكين إذا بذل لهم النصح في تبليغ الحق فلم يقبلوا. وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ جعلنا الله وإياكم منهم.

١٧٢١. تفيد أن نصح الناس والعمل على تبليغهم الدين من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين تفيد أهمية دعوة الكفار ونصحهم مهما كان حجم إعراضهم.

١٧٢٢. تدل على أنه لا يجوز الحزن على هلاك الكفرة الظلمة؛ بل يجب أن يحمد الله ويشكر ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. والواقع اليوم فيه مما يخالف ذلك والله المستعان.

١٧٢٣. تفيد أن الحزن فيما ينبغي عدم الحزن عليه ينافي العقل والحكمة.

١٧٢٤. تفيد أن الحزن على ما يصيب المؤمنين من صفات الأنبياء والمرسلين.

١٧٢٥. فيها: عدم حزن نبي الله شعيب على قومه لكفرهم؛ مع أنه اجتمع معهم في القرابة والنسب. وعليه: ففيها: منهج الولاء والبراء. ولعل فيها إشارة إلى: عدم الدعاء للكفار؛ فلو جاز لشعيب ذلك، ما امتنع منه قط؛ وتأمل قوله: ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ﴾ ونظيره: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

١٧٢٦. تفيد: أنه ليس لمؤمن، يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يحزن للكفار إذا أصابتهم قارعة. وقد نهى الله نبيه محمدا الذي أرساه رحمة للعالمين، فقال - في غير آية -: {ولا تحزن عليهم إنما نعد لهم عدا}، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾. وكيف يحزن وقد قال الله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾

[الأعراف: ٩٤]

١٧٢٧. فيها: الإيمان بالرسالات وعناية الله بخلقه.

١٧٢٨. تفيد بدلالة السياق تسلية الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

١٧٢٩. تفيد بدلالة الالتزام أن الغاية من بعثة الرسل وخلق العباد وامتحانهم هي: عبادة الله تعالى؛ لقوله سبحانه﴿يَضَّرَّعُونَ﴾، ومن معاني التضرع: الدعاء، وهو العبادة.

١٧٣٠. تفيد: أن كل رسول، نبي؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾، ولم يقل: "من رسول". ولما فيه من: جمال التعبير؛ لتجنبه التكرار؛ كما قال: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾: والكفار هنا: الزراع. وهذا أجود من أن يقول: "يعجب الزراع ليغيظ بهم الزراع".

١٧٣١. فيها: رحمة الله عزوجل بالناس فلا يوقع بهم العذاب الا بعد ارسال الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾.

١٧٣٢. فيها: أن الفقر ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾، والمرض ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾من أعظم أنواع البلاء. في الآية بيان سنة من سنن الله تعالى في أهل القرى (بدلالته القرآنية) والله أعلم

١٧٣٣. أن الله تعالى يبطن نعمه في غلاف من الابتلاء أن الضراء ليست محضة بل في كل بلاء عطاء ومع كل شدة رجاء ومع كل سلب إيتاء والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

١٧٣٤. تفيد أن المصائب التي تحل بالمجتمعات، ما هي إلا تحذير من الله سبحانه لعباده لعلهم ينتبهون من غفلتهم ويرجعون عن غيهم وضلالهم. وأنها لا ترفع إلا بالتوبة والتضرع إلى الله تعالى.

١٧٣٥. تفيد: أنه يجب على العبد إذا نزلت به نازلة، أن يتضرع إلى الله، ويظهر فقره وحاجته إليه؛ فهذا أدعى أن يرحمه ربه ويكشف عنه. وليحذر من أن يظهر جلده على الله، وإلا قصمه؛ لأنه لا قبل له ببطشه. وهذا فقه عظيم ودقيق لفهم البلاء والتعامل معه؛ وعليه: فإن الله لا يخلق

شرا محضا؛ وتصديقه: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾. وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

١٧٣٦. فيها مع الآية التي بعدها حلم الله ظاهر بعباده إذ استأن عليهم وأمهلهم وأفسح لهم في الأجل ونوع عليهم الابتلاءات، لعلهم يتفكرون ويرجعون.

١٧٣٧. فيها: عظيم حلم الله عزوجل في أخذه القوم بالبأساء والضراء وصبره عليهم ولو شاء لأخذهم مرة واحدة دون أمهال.

١٧٣٨. تفيد: وبضميمة ما بعدها: أن الله يبتلي بالسراء والضراء؛ وتصديقه: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾. ومن فوائده، بيان خطأ من يظن أن الاختبار يكون بالشر فحسب، وبيان جهل المشركين لما قالوا: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

١٧٣٩. تفيد: أن مخالفة الرسل، سنة مطردة؛ فلم يبعث نبي إلا خولف - "لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي" -؛ لقوله: ﴿فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ ونحوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا﴾.

١٧٤٠. تفيد رحمة الله عز وجل بعباده فهو يبتليهم ليردهم إليه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾.

١٧٤١. كما أن فيها: تحذير لقريش من مخالفة نبيه؛ كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾.

١٧٤٢. فيها: مناسبة، وتصديق لما سبق كله؛ من ذكر الأنبياء الذين قص الله.

١٧٤٣. تفيد: أن الأخذ ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾، أعم من الإهلاك والإماتة.

١٧٤٤. تفيد: أن تغير الحال، ميزان يزن العبد به استقامته. وعن الفضيل: "إني لأعصي الله، فأجد ذلك في..." إن كان ولا بد، فاحذف صورة المرأة - وجوبا -، واكتف بالخبر فحسب. وإن كان الخبر صادقا، فرحمه الله وعفا عنه. قال مكي في الهداية: هذه الآية تحذير لقريش، ومن كفر بالنبي ﷺ، وإعلام من الله لنبيه ﷺ، سُنَّتَهُ فيمن خَلاَ من الأمم الكافرة.

١٧٤٥. فيها: علاج لواقع الناس، وما يجدونه من الضنك وضيق العيش؛ فإن استكانوا وأنابوا، رفع عنهم ووسع عليهم و.

١٧٤٦. تفيد: أن التضرع إلى الله، يحفظ نعمه من الزوال؛ لأنه يذهبها عنهم أو ينقصها، ليتضرعوا ويرجعوا؛ فما الظن إن هم أداموا عليه. وعليه: فالبطر، من أسباب زوال النعم.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥]

١٧٤٧. فيها: رد على الملاحدة؛ ففيها: أن للناس رب يتحكم فيهم وفي معايشهم، وأنه يمسك السماء عن المطر والأرض عن الإنبات؛ ألا تراه يقول - في اللاحق -: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾. فهو يمسك ويفتح، لا رب غيره ولا معبود سواه.

١٧٤٨. في هذه الآية الكريمة تسمية ما يلائم المرء من أمور دنياه ب﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾. وما لا يلائمه ب ﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾. مراعاة لأصل الحُسن والسُوء في اللغة.

١٧٤٩. تفيد: أن تبديل الحال، بيد الله وحده؛ فمن كان في ضيق من العيش، فليسأل ربه يكشف عنه؛ فكم من فقير أغناه، وكم شقي أسعده، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ وحده ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

١٧٥٠. تفيد: أن من الناس من يرجع إلى الله بالرخاء؛ كما أن منهم من يرجع إليه بالضراء. وعليه: فأفعال الله مبنية على العلم والحكمة.

١٧٥١. تفيد: أن للناس، رب يدبرهم؛ فوجب مرد الأمور إليه - سبحانه.

١٧٥٢. : تفيد قوله تعالى: ﴿...إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

١٧٥٣. تفيد أن الله تعالى كل يوم هو في شأن، يعافي من يشاء، ويبتلي من يشاء، يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء... ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ...وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

١٧٥٤. تفيد: أن أمر الكافر كله له شر؛ إن أصابته ضراء لم يصبر فكان شرا له، وإن أصابته سراء بطر فكان شرا له؛ بخلاف المؤمن.

١٧٥٥. فيها: حكمة الله عزوجل في تغيير الأحوال من شدة إلى رخاء ومن مرض إلى صحة وعافية ومن فقر إلى غنى حتى يستيقظ الناس ويشكروا الله عزوجل على جميل فعله وكريم فضله.

١٧٥٦. فيها: أنه يختلف حال المؤمن عن غيره فالمؤمن يشكر الله على السراء ويصبر على الضراء أما الغافل والمعرض فلا يتفطن لأمر الله ولا يستشعر ابتلاء الله في الحالين.

١٧٥٧. تفيد: أنه "لا أحد أحب إليه العذر من الله"؛ فإن نوع عليهم الأحوال ليرجعوا إليه؛ فلما لم يكن منهم ذلك، أخذهم فجأة وهم لا يشعرون.

١٧٥٨. الحمد لله. قال القاسمي في المحاسن: والمعْنى: أنَّ اللَّهَ تَعالى ابْتَلاهم بِالسَّيِّئَةِ لِيُنِيبُوا إلَيْهِ، فما فَعَلُوا. ثُمَّ بِالحَسَنَةِ لِيَشْكُرُوا، فَما فَعَلُوا، وإذا لَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ هَذا ولا ذاكَ، فَلَمْ يَبْقَ إلّا أنْ يَأْخُذَهم بِالعَذابِ، وقَدْ فَعَلَ، كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

١٧٥٩. تفيد أن البلاء موكل بالمنطق؛ أوالقول؛ وأن من أسباب السلامة من البلاء والفتن حفظ المنطق واللسان؛ وأن لا يتكلم الإنسان إلا بالكلام الطيب والقول الطيب؛ قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.وصدق الشاعر حين قال:

احفظ لسانَك لا تقول فتُبتلى   إن البلاء موكَّل بالمنطقِ.

١٧٦٠. تفيد: ذم الجحود، وأنه من صفات الكفار؛ لقوله: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾. وهذا أشبه بكلام منكري الربوبية، الذين يردون الأفعال إلى الطبيعة.

١٧٦١. قال البغوي في تفسيره: ﴿وَقَالُواْ﴾: من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء.

١٧٦٢. قال البغوي في تفسيره: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾أي: هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا، ولم يكن ما مسنا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء.

١٧٦٣. قال البقاعي في النظم: ﴿قَالُواْ﴾ مُسْنِدِينَ الأمْرَ إلى غَيْرِ أهْلِهِ: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ﴾.

١٧٦٤. فيها: وجوب الصبر على الضراء واللجوء إلى الله في رفعه، والشكر على السراء والاعتراف بأنها فضل من الله؛ وإلا حصلت العقوبة من الله؛ لقوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾.

١٧٦٥. فيها: الخوف من الله، ومن عذابه أن يحل بالعيد فجأة.

١٧٦٦. تفيد: أن عذاب الفجأة، أشد وأشنع من غيره. سيما وقد قيل: "إن عذاب البغتة: ما كان ليلا"؛ وكما مر معنا في بداية الأعراف، في قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾، فقدم البيات لشدته.

١٧٦٧. من أسوأ أحوال الغافلين أن يكونوا في نعمة حسنة ويتذكروا مامر به آباؤهم من الضر والفقر ولا يعتبرون، وينسوا سنة الله في التغيير عن زهير بن أبي نعيم أنه قال له رجل يا أبا عبد الرحمن أتوصي بشيء قال: (نعم احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة). فكن انت على حذر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

١٧٦٨. تفيد جواز استعمال ﴿وَلَوْ﴾في البيان والإخبار، لا في التندم والتحسر.

١٧٦٩. فيها دلالة ولو من طرف خفي أن الله سبحانه وتعالى يفرح بطاعة عباده فكان الجزاء ﴿فَتَحْنَا﴾بينما في التكذيب كان الجزاء بمقدار كسبهم منه أي: من الكذب. والله أعلم.

١٧٧٠. تفيد أن الإيمان والتقوى من أسباب الرزق في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾.

١٧٧١. قوله تعالى﴿أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ جواز إسناد الأهلية إلى المكان أو الزمان باعتبار وجودهم فيه

١٧٧٢. فيها عطف التقوى على الإيمان للتأكيد مع دخول التقوى في الإيمان والإيمان في التقوى عند الإفراد والإطلاق على القاعدة المعروف في دلالة معاني بعض الألفاظ عند الاقتران والإفراد.

١٧٧٣. يفيد قوله تعالى﴿لَفَتَحْنَا﴾تعظيم الله تعالى نفسه.

١٧٧٤. لعل قوله ﴿فَتَحْنَا﴾يكون أقوى او أشمل او قل أوسع من العطاء والمنح لدلالته على الاستمرارية أكثر من أعطى ومنح. والله أعلم.

١٧٧٥. لما تقابلت أعمال العباد؛ جاءت مجازاتُهم متقابلة. ففي ﴿لَفَتَحْنَا﴾البسطٌ. وفي ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾القبضُ.

١٧٧٦. في إيثار لفظ ﴿لَفَتَحْنَا﴾و ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ما فيه من اجتماع المعاني وغزارة الدلالة. ففي الفتح: الرحمة والمحبة والمودة والأُنس واللطف والكرم والسعة. وفي الأخذ: القوة والعزة والجبروت والمقت والإذلال والإحاطة.

١٧٧٧. ﴿لَفَتَحْنَا﴾قرئت بالتشديد والتخفيف، والحجة لمن شدد التكثير والمبالغة وإرادة المرة بعد المرة.

١٧٧٨. يفيد التنكير والتنوين في قوله تعالى ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾التكثير والتعظيم

١٧٧٩. يفيد قوله تعالى ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾أن هذه البركات كما أنها موجودة في السماوات عند تبادر الإطلاق فهي كذلك موجودة في الأرض

١٧٨٠. وفيها أنه سبحانه أبهم جزاء المحسنين في قوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ليذهبَ الذهنُ كلَّ مذهب في تلمُّس حقيقته، فهو مشابه لقوله تعالى: "من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون".

١٧٨١. تفيد: أن البركة، بيد الله. وعليه: فينبغي سؤال الله إياها، وفعل ما يوجبها.

١٧٨٢. تفيد أن البركات تفتح بأسبابها وهي موجودة مدخرة.

١٧٨٣. تفيد أن الكفاية والسعة في الأرزاق للموحدين الشاكرين نوع من سعادة الدنيا التي أكرمهم بها ربهم..

١٧٨٤. تفيد أهمية اصلاح حال الناس من خلال الدعوة للتوحيد ومحاربة الشرك، لأن الإيمان هنا هو في أساسه تحقيق التوحيد والمراد من قوله ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾أي الشرك، فهو أعظم ما يتقى.

١٧٨٥. تفيد سعة الخير الذي يتحقق بالطاعات لأن اللفظ هنا عام يشمل حتى الأمن والسلامة من الآفات فلا ينبغي أن تحصر في جوانب محددة، فهو فتح عام وبركات شاملة

١٧٨٦. يفيد قوله تعالى﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم﴾أن الكذب والتكذيب أعظم آفة ولذلك استحق أصحابها وأهلها المتصفون بها المؤاخذة جزاء ذلك

١٧٨٧. تفيد: أن للناس، كسب وإرادة؛ إذ لو كان الأمر غير ذلك، لحاشاه أن يمسك عنهم هذه البركات. فوا عجبا للجبرية.

١٧٨٨. إن الله إذا رضي أعطى وبارك، وإن المعصية تمحق البركة.

١٧٨٩. تفيد عظمة ملك الله تعالى وعظم عطائه جل وعلا الذي لا حد له ولا عد.

١٧٩٠. تفيد أن السعي للإصلاح الاقتصادي دون الاهتمام بالإصلاح الديني الذي يرتبط بإصلاح المعتقد والعبادة والأخلاق أو على حسابه نوع من الضلال الذي يؤيد إلى الخسران، لأنه سعي غير مبارك كوارثه مذهبة لما يتحقق من تقدم؛ لأن أي سع مقطوع البركة أبتر

١٧٩١. تفيد خطورة التكذيب ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾الذي يتبعه الإعراض؛ ولذا اكتفت الآية به.

١٧٩٢. تفيد أهمية الاتعاظ بما قصه الله تعالى من أخبار القرون الماضية في هذه السورة وغيرها حيث لحقهم العذاب والدمار بسبب الذنوب والمعاصي المتنوعة التي حذرهم منها رسل ربهم إليهم.

١٧٩٣. تفيد عدل الله تعالى فهو لا يعاقب إلا بسـبب ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ تفيد ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ شدة بشطه تعالى بالظالمين، وكما تفيد عظمة الخالق وهوان الخلق، وكما تفيد سنن الإهلاك وأن العذاب متحقق بأسبابه..

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]

١٧٩٤. تفيد أنّ أشدّ العذاب وأفظعه ما كان على غرة وفجأة أو في وقت السكون والراحة.

١٧٩٥. فيها تهديد ووعيد بأن بأس الله وعذابه قد يأتي في أي وقت، وقد يأتي جماعيا على قرى وبلدان بأكملها

١٧٩٦. فيها إشارة إلى وجوب انذار الناس عامة لكي لا يحل بهم بأس الله وعذابه.

١٧٩٧. في إضافة البأس إلى (نا) ما فيه من تعظيمه وتفخيمه؛ ما يستوجب على العبد رفع درجة الحذر من موجبات ذلك البأس.

١٧٩٨. فيها: حث على الإنابة إلى الله، وتحذير لأولي الغفلة؛ من أهل الضيق والسعة؛ فكم من غني غافل، وفقير مثله أو أشد. قال البقاعي في النظم: ولَمّا كانُوا قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيدًا في غَلَطِهِمْ في جَعْلِهِمُ السَّرّاءَ والضَّرّاءَ سَبَبًا لِلْأمْنِ مِن مَكْرِ اللَّهِ، قالَ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ أمْنَهم عاطِفًا لَهُ عَلى "كَذَّبُوا" لِأنَّهُ سَبَبُ الغَلَطِ وهو سَبَبُ الأمْنِ فَقالَ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾.

١٧٩٩. تفيد أن غرور الإنسان يمنعه من إدراك ضعفه لذلك قرعهم بالاستفهام الإنكاري.

١٨٠٠. تفيد: أن النوم، أضعف حالات ابن آدم؛ ولذا تشتد حرمة ترويعه وتفزيعه إذا كان نائما؛ وكما يحصل فيما يسمى (مواقف وطرائف – الكاميرا الخفية). وقد قرأت – ما حاصله –، أن الإيقاظ المفاجئ والمروع، قد يسبب الوفاة، وقد يدمر الدماغ، إلى درجة قد تصل إلى الجنون – أعاذنا الله. ولذا كان النبي يسلم سلاما، يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم. وثم آداب أخرى، تتعلق بالنائم، وهذا من محاسن الاسلام ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

١٨٠١. تفيد أن الإنسان مهما عظمت قوته وبأسه فإن له حالات ضعف وفتور ومنها النوم، وأن الله جلت قدرته منزه عن كل نقص يعتري المخلوقات

١٨٠٢. تفيد: أن النوم، غاية في الغفلة؛ قال البقاعي في النظم: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾أيْ: عَلى غايَةِ الغَفْلَةِ عَنْهُ. ولذا قال النبي ﷺ: "تنام عيناي، ولا ينام قلبي"؛ لأنه لا يغفل - ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٨]

١٨٠٣. ففيها، وبضميمة ما قبلها: تهديد بأن العذاب، إما أن يحل وقت الراحة والغفلة الشديدة، وإنما أن يحل وقت الحركة الدؤوبة. فلا أشنع منه إن وقع في هذين الوقتين - أعاذنا الله.

١٨٠٤. تفيد: أن الضحى، وقت كسب وحركة دؤوبة. وهذا واقع مشاهد، وهذا من تعبيرات القرآن البليغة. والعجيب أن الله وصف كل هذه الأعمال، باللعب؛ عدا ما يتعلق بالدين. ولو فتح لمجال للحديث عن الضحى وفضله وما فيه من إنجاز في عمل الدين والدنيا، لتحدثنا عنه الكثير - إن شاء الله. وحسبك بقسم الله، حيث قال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

١٨٠٥. في الآيتين الكريمتين إيماء إلى أهمية الاشتغال بعبادة الله في هذين الوقت. وقت الغفلة بالنوم ووقت الغفلة بكسب الدنيا. ومعلوم فضل العبادة وقت الغفلة، ففي الحديث (عبادة في الهرج كهجرة إلي).

١٨٠٦. فيها -والله أعلم بمراده- سريان سنن الله تعالى في الأمم فهي ماضية مضي الليل والنهار، إضافة البأس إلى ناء العظمة فيه من الترهيب والتخويف ما فيه، وأن عادة عامة الخلق عدم الاستعداد أو التهيؤ والحذر من عقاب الله تعالى.

١٨٠٧. فيها حب الله تعالى لعباده حيث يحذرهم ويخوفهم حتى يرعووا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]

١٨٠٨. تفيد إضافة المكر الى الله توجب الحذر الشديد والخوف الأكيد.

١٨٠٩. فيها مع ما قبلها وصف الكفار بأنهم القوم الخاسرون.

١٨١٠. فيها استعمال أسلوب الاستفهام في التهديد والتخويف.

١٨١١. تفيد أن الأمن من مكر الله كبيرة من الكبائر مثل القنوط من رحمة الله بل عد بعض العلماء الأمن من مكر الله كفرا.

١٨١٢. فيها: وجه ثان للمناسبة لما قبلها؛ وهو: أنه سبحانه قال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨]؛ فحذرهم بعدها من عموم مكر الله؛ الذي قد يأتي في أي وقت وحال، خلا هذه الأحوال والأوقات؛ لأن مكره أشمل من كل هذا.

١٨١٣. تفيد بضميمة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [سورة فاطر ٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[سورة الأنفال ٣٠] أن المكر مكران سيئ وحسن، بخلاف ما يفهم من كثير من المعاجم من اختصاصه بالاحتيال والخداع السيئ.

١٨١٤. كلما زاد أمنُ العبد من مكر الله؛ كلما كانت خسارتُه أكملَ.

١٨١٥. فيها أن الإنسان لا يأمن مكر الله مهما بلغ في الدين والتقوى إلى أن يموت

١٨١٦. فيها وعيد أكيد وتهديد شديد للكفار على أعمالهم تلك التي عملوها بناء على أمنهم مكر الله، وتحذير وتخويف للمسلمين من أن يعملوا ما يشبه تلك الأعمال.

١٨١٧. تفيد بمفهومها أن الفلاح منوطٌ بالخوف من مكر الله، فالخوف من مكر الله باب عظيم من أبواب الفلاح والنجاة.

١٨١٨. في وضع الظاهر موضع المضمر بتكرار لفظ الجلالة لتربية المهابة منه تعالى في النفوس فهو عظيم القدر أليم الأخذ شديد العقاب ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾فيها ما قاله الحسن البصري

رحمه الله تعالى: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن

١٨١٩. فيها: مناسبة لما سبق؛ لأن مكره لا يأمن على كل حال؛ في السراء والضراء والسعة والرخاء.

١٨٢٠. تفيد: أن الله، يتعبد بالخوف منه؛ كما يتعبد بالرجاء فيه؛ وعليه: فنرد بها على المضيعين المتشبثين بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. وعليه: فالقرآن يصدق بعضه بعضا، وأنه ليس قِبَله مدخل بغية الإخلال بشيء في الدين.

١٨٢١. فيها: نكتة مهمة – في غاية الأهمية –؛ وهي: أنه يجب على العبد إذا اقترف الذنب، أن يكون وجلا خائفا أن يعاقب؛ وإلا كان أمنا. ومن هنا، كان الاستخفاف والاستهتار بالذنب أشد من الذنب؛ وأشنع منه السخرية. قالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَعَلى العاقِلِ أنْ يَكُونَ في خَوْفٍ مِن مَكْرِ اللَّهِ، كالمحارِبِ الَّذِي يَخافُ مِن عَدُوِّهِ الكَمِينِ، والبَياتَ، والغِيلَةَ. قال البغوي في تفسيره: وَمَكْرُ اللَّهِ اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ.

١٨٢٢. هذه الآية تحوي سنة ربانية.. أن من أمن مكر الله فله نصيب من الخسارة بحسب أمنه من مكر الله فمع الأمن التام زمانا وحالا يكون الخسار التام وما دون ذلك فبحسبه.. والله لعلم، وجه حصر الخسران فيهم أنهم أساءوا الظن بالله تعالى بأمنهم مكره؛ ثم الغالب على من هذه صفته انتهاك الحرمات واقتحام الموبقات وترك الواجبات. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]

١٨٢٣. الآية أصل في الإدكار بحال الأمم السابقة التي أخذها الله جرّاء صنيعها.

١٨٢٤. في قوله: "من بعد أهلها" ما يشعر أنها كالعاريّة في يد الوارثين.

١٨٢٥. في الآية إثبات المشيئة لله رب العالمين.

١٨٢٦. فيها: خطورة المعاصي على دين المسلم.

١٨٢٧. تفيد أن الوارث ينبغي أن ينتفع ويتعظ بحال مورثه، وأكثر الناس اليوم غافل عن هذا المعنى الدقيق إلا من رحم ربي.

١٨٢٨. تفيد أن الذنوب تكون سببا للإصابات المتنوعة التي تنتهي بالهلاك عند عدم الاستجابة؛ ولعل ذلك سبب اختيار هذه اللفظة هنا ﴿أَصَبۡنَٰهُم﴾ والله أعلم..

١٨٢٩. تفيد أن من أنواع الهداية الاتعاظ بمصير وأحوال الأمم وما حل بها.

١٨٣٠. تفيد أن الطبع على القلوب من أعظم العقوبات الربانية؛ لأن من طبع على قلبه لا يكون للكفر من قلبه مخرج ولا للإيمان إليه سبيل.

١٨٣١. تفيد مكانة وأهمية القلب الذي به صلاح سائر الجسد.

١٨٣٢. تفيد أثر سلامة القلب على حسن السماع والتلقي للحق ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ بما يوضح أثر الإيمان وتزكية القلب في طلب العلم ومعرفة الحق.

١٨٣٣. تفيد دقة الفاصلة القرآنية؛ لأنه لما كان أخبار القرون مما يسمع لتكون العظمة بعد ذلك قال ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ ومن حرم السماع في مثل هذه الحالة حرم غيره من باب أولى من التدبر والتفكر والاعتبار وغيرها.

١٨٣٤. تفيد خطورة الذنوب التي تجر لذنب أكبر إلى أن تنتهي بالطبع على القلب الذي هو قمة ظلمته وضلاله، فللطاعة أثرها في سلامة القلب وللذنوب أثرها في موته وفساده.

١٨٣٥. تفيد كمال عدله جل وعلا، وأن العقوبات تحل بسبب ذنوب العباد.

١٨٣٦. تفيد: أن الهداية والتوفيق بيد الله، وأن ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ لقوله: ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ وعليه حمل: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾.

١٨٣٧. فيها إشارة إلى: التحذير من السير على سنن الظالمين.

١٨٣٨. فيها: منقبة لهذه الأمة؛ وهي: أن الله، لا يعمها بعذاب - وهذا على القول بأن الخطاب لأهل مكة -. فإن قلت لم لم يفعل؟؛ قلت: لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]

١٨٣٩. تفيد منزلة وأهمية القصص القرآني بما يتطلب دراسة عميقة لما جاء فيه من دروس وعبر.

١٨٤٠. فيها: استحباب أن يتلى قصص الأمم السابقة؛ لما فيها من الاعتبار. وعليه: فكل قصة لا عبرة فيها، فليست من الله في شيء؛ قال الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فنبه قائلا ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ لأن غالب ما يفترى، لا عبرة فيه.

١٨٤١. فيها: أن الرسل، جاءت أقوامهم بالبينات التي لا لبس فيها أنها من الله؛ وعليه: فتفيد قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ومثلها. قال ابن كثير في تفسيره: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أَيْ: بِالْحُجَجِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ.

١٨٤٢. فيه فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت له على دعوته، وأنّ عناد قومه سبقهم إليه أمثالهم من الأمم السابقة.

١٨٤٣. تفيد: أن من عاش على شيء مات عليه؛ فمن عاش على التكذيب مات على الكفر - غالبا -؛ لقوله: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: قال النسفي في المدارك: بِما كَذَّبُوا مِن آياتِ اللهِ مِن قَبْلِ مَجِيءِ الرُسُلِ، أوْ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إلى آخِرِ أعْمارِهِمْ بِما كَذَّبُوا بِهِ أوَّلًا حِينَ جاءَتْهُمُ الرُسُلُ، أيِ: اسْتَمَرُّوا عَلى التَكْذِيبِ مِن لَدُنْ مَجِيءِ الرُسُلِ إلَيْهِمْ إلى أنْ ماتُوا مُصِرِّينَ مَعَ تَتابُعِ الآياتِ.

١٨٤٤. تفيد قمة البلاغة القرآنية وروعة الفصاحة البيانية؛ حيث نسب ذكر القصة إلى القرية؛ ونسب مجيء الرسل والتكذيب إلى العقلاء من أهلها؛ وذلك في إشارة واضحة إلى أن الجمادات والبيئات متأثرة بأنواع من التأثرات السلبية بأفعال البشرية وما يقترفونه من الآثام والمعاصي؛ ولهذا قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ...﴾.

١٨٤٥. تفيد أن الإعراض عن الهدى سبب للطبع على القلوب.

١٨٤٦. فيها: أن الكفر، سبب في سخط الله ونقمته؛ لأنهم لما كفروا، ختم الله على قلوبهم؛ ونحوه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾. وعليه: فالله يضل من يشاء عدلا، كما أنه يهدي من يشاء فضلا.

١٨٤٧. تفيد وبضميمة ما سبق: أن الكفار الذين كذبوا كل هؤلاء الرسل السابقين، ما كفروا وكذبوا قهرا ورغما عن الله – حاشاه –؛ بل هو الذي طبع على قلوبهم فلا يهتدون، ولو شاء لفتح أقفالها؛ ولذا فالتذييل مناسب جدا للآية وما سبقها.

١٨٤٨. فيها: علم الله بما يستقبل من أعمال العباد؛ لقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]

١٨٤٩. فيها بيان ما كانوا عليه من عدم اكتراث لعهد الله ورسله. بيّنه الفعلُ المختوم بضمير العظمة ﴿وَجَدْنَا﴾، وإدخال ﴿مِّنْ﴾ في سياق النفي.

١٨٥٠. تفيد: وجوب الوفاء بالعهد؛ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾.

١٨٥١. تفيد: أن نقض العهد فسق.

١٨٥٢. تفيد: أن الله، يحب أن يثبت عبده ويقيم على ما عاهد عليه ربه؛ وتأمل قوله: ﴿وَجَدْنَا﴾، وهو الغني – سبحانه. قال الله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

١٨٥٣. فيها أن الدين عهد بين العبد وربه، وهو أيضـــا أمانة كما في آخر الأحزاب، وهو ميثاق كما في غير ما آية.

١٨٥٤. وفيها بيان ما كانوا عليه من فسـق عظيم. أكّده ب ﴿إِنَّ﴾وهي المخففة من الثقيلة، وبالفعل المختوم بضمير العظمة، وبإدخال اللام ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾.

١٨٥٥. فيها دقة القرآن وإنصـافه بعدم التعميم في الأحكام حتى ولو كان الخارج على الحكم العام واحدا (..... النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان.......).

١٨٥٦. تفيد ان العبرة بالدليل لا بكثرة الفاعلين، وأن كثرة من يفعل الفعل لا يدل على مشروعيته.

١٨٥٧. تفيد: أن أتباع الرسل قلة؛ لأنه حديث عن الأمم التي أرسل إليها الرسل.

١٨٥٨. فيها: دقة التعبير، وتنزيه الله؛ حيث جمع بين النفي والإثبات؛ فقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا﴾ثم قال: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾ لأن عدم العلم ليس علما بالعدم؛ والله منزه عن ذلك.

قَالَ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣]

١٨٥٩. في قوله تعالى ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾أنه لابد للداعية من علم رباني يدعو الخلق إليه.

١٨٦٠. فيها: أن الله، لا يرسل رسولا إلا مؤيدا بالحجج؛ ولذا عد جحدها ظلما وفسادا.

١٨٦١. تفيد أن تكذيب الرسـل، إفسـاد في الأرض؛ ولذا قال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾، من ذلك أن أصلحها بإرسال الرسل.

١٨٦٢. تفيد: تنزيها لله أن يترك الخلق سدى.

١٨٦٣. فيها: عناية الله بخلقه؛ حيث بعث، أي: أرسـل إليهم الرسـل؛ ولذا قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾.

١٨٦٤. الإتيان بالفاء العاطفة ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾فيها إشارة إلى سرعة تكذيبهم لدعوة موسى عليه السلام.

١٨٦٥. ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ عُدي بالباء لتضمنه معنى الكفر والجحد.

١٨٦٦. ﴿فَظَلَمُواْ﴾فيه إطلاق الظلم على الكفر.

١٨٦٧. فيها إشارة إلى: فضل موسى عليه السلام وكرامته على ربه.

١٨٦٨. فيها إشارة إلى: عتو فرعون وتمرده على ربه. وجه ذلك: أنه تعالى ذكره، أرسل بعد أولئك الرسل موسى – عليه السلام – وخصه بالرسالة. وبعد ما أهلك كل هذه الأمم المكذبة للرسل بسبب الكفر، جاء فرعون فحذا حذوهم وصنع صنيعهم فكر بموسى ظلما وعلوا؛ كما قال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، ثم ذيلها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

١٨٦٩. تفيد: أن اتباع الرسل إصلاح؛ كما أنه صلاح في ذاته؛ لأنه سمى المعرضين عنهم ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. فإن قلت: ما وجه كونه إصلاحا؟ قلت: لأن اتباعهم تكثير لهم والعكس؛ ألا تراه يقول: ﴿تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾، أي: كثروا إن لم تقاتلوا. وعليه: نقول وننصح المسلمين عامة وشبابهم خاصة، أن مجرد اتباعكم للسنة والتزامكم بها، نصرة للدين. فلا يستهين الملتزم أنه على الجادة؛ لأنه نصر الإسلام من حيث لا يتوقع. ولكن ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾. فإذا استقر هذا.

١٨٧٠. ففيها: رد على المخذلين الذين يقولون لشباب المسلمين، ماذا قدمتم لأمتكم بهذا الالتزام؟، نقول: قدموا الكثير بمجرد تمسكهم، وأما عن التمكين لهم، فهذا بيد الله.

١٨٧١. ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيه إطلاق الفساد على الكفر.

١٨٧٢. تفيد أهمية الدعوة إلى الاعتبار بأخذ الله لأعدائه.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٠٤ – ١٠٥]

١٨٧٣. تفيد فقها دقيقاً في الدعوة إلى الله تعالى، فلما كان ادّعاء البائس الحقير أنه ربهم الأعلى، ناسب أن يناديه نبي الله موسى باسمه؛ مجردا من الألقاب.. ﴿يَـٰفِرۡعَوۡنُ﴾.. كما ناسب أن يقول له، أنه مرسل من رب العالمين.

١٨٧٤. تفيد أن الرسالة اصطفاء من الله تعالى ومهمة ومسؤولية عظيمة وكذلك الدعوة إلى الله..

١٨٧٥. تفيد أهمية أن يعرف الدعاية بنفسه ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾فإن ذلك ادعى للاستجابة.

١٨٧٦. تفيد أهمية مواجهة كبراء القوم والصدع أمامهم بالحق والحجة البينة.

١٨٧٧. فيها عصمة الرسل؛ فهم لا يقولون على الله إلا الحق.

١٨٧٨. فيها بيان مقصود الرسالة وهما:

- الإيمان. بالمرسل والرسول والحق الذي جاء به من مرسله سبحانه.
- الاتباع والانقياد لهذا الرسول ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ﴾تفيد أن القول على الله تعالى يجب أن يكون بالحق، مما يتطلب ذلك التحري والتثبت..

١٨٧٩. فيها: بيان الحجة القاطعة التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام الدالة على صدقه فيما جاء به.

١٨٨٠. تفيد أن البينات من الله تعالى، يؤيد به رسله، وينصر به عباده.

١٨٨١. تفيد أن الباطل لا يستند أبدا على بينة، بل هو خداع وتزين وتزيف وتلبيس وتخويف.

١٨٨٢. فيها دروس للدعاة. ومنها:

١٨٨٣. أن يبين الداعية أنه إنما يدعو إلى الله لا إلى غيره من طائفة أو جماعة أو حزب أو يدعو لنفسـه. وأن يبين أن ما يدعو إليه الناس إنما هو الحق من ربهم؛ ولذا عليه التركيز على المحكمات القطعيات دون المشتبهات المحتملات.

١٨٨٤. تفيد أن على الداعية إقامة البينات والبراهين الدالة على أن ما يدعو إليه هو الحق من ربهم.

١٨٨٥. فيها التنبيه على الحكمة وبراعة الأسلوب في الدعوة الى الله. ومنها:

- حسن التعامل ﴿يَـٰفِرۡعَوۡنُ...﴾.
- عظم وأهمية الرسالة ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾لمن يدعي الربوبية.
- أن ما يدعو إليه هو الحق ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾.
- الأمانة ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾.
- حسن الاستدلال وقوة الحجة والبرهان ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.
- تحمل تبعات الرسالة ولوازمها ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ﴾.

١٨٨٦. تفيد أن من مقاصـد دعوة الأنبياء تحرير البشـرية من الاسـتعباد للخلق ليكونوا عبيدا للخالق ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ﴾.

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٦]

١٨٨٧. فيها: بيان شدة طغيان فرعون حيث لم يصدق موسى عليه السلام فيما بين من الحق لصدق دعوته بل طالبه بإظهار الحجة الظاهرة ليراها بعينه.

١٨٨٨. فيها: أن على الداعية أن يسـتحضـر الدليل الذي يؤيد دعوته حتى لا يضـعف أمام الخصم.

١٨٨٩. فيها عُتُوُّ فرعونَ حيث طلبَ الآيةَ بأسلوب يَنُم عن تهكمٍ وتعالٍ.

١٨٩٠. تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا؛ فبعد أن قال موسى عليه السلام: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ قال فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ ولم يقل؛ (ببينة). وفي اختيار فرعون للآية دون البينة دلالة على عتوه وجبروته وطغيانه؛ واشارة إلى أنه لا يقبل أي بينة من موسى إلا إذا كانت آية ومعجزة باهرة؛ وفي هذا إشارة إلى دقة العبارة القرآنية؛ وأنه ما وضعت كلمة في السياق القرآني إلا لسر من الأسرار؛ نسأل الله أن يبصرنا بأسرار كتابه؛ ويعلمنا تأويله؛ ويرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

١٨٩١. فيها: إشارة إلى: قوة موسى – عليه السلام – في الحق؛ لقوة العرض والطلب. وهذا ينبغي أن يكون أهل الإيمان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧ – ١٠٨]

١٨٩٢. تفيد أن أنفع الآيات والبينات ما كان على شاكلة ما عند المدعوين، وذلك أن القبط انتشرت فيهم أمور من ضروب السحر. وفيها علامة على صدق موسى عليه السلام، فإنه لما طولب بإبراز الآية على صدقه، أيده الله عز وجل بما يؤيده.

١٨٩٣. هول المفاجأة تحدث قوة في الحجة ﴿فَإِذَا هِىَ﴾.

١٨٩٤. فيها كرامة لموسى عليه السلام، فإن هذا من جنس إكرام الله عز وجل لأوليائه من الرسل والأنبياء.

١٨٩٥. استعمال إذا الفجائية مناسب جدا لأن نفس العصا انقلبت الى ثعبان، ونفس اليد صارت بيضاء.

١٨٩٦. فيها سرعة إجابة الله عز وجل وتأييده ونصرته لأوليائه المرسلين، فالسياق يدل على أن سؤال فرعون وتحقق الإجابة كانا في ذات المجلس، وهذا ظاهر من (الفاء) التي تفيد وقوع الفعل على الفور، بلا فاصل أو تراخ.

١٨٩٧. تفيد قدرة الله تعالى في قلب الحقائق بلا أسباب تجعل أتباع الأنبياء عامة والدعاة خاصة لا يتعلقون إلا بالله تعالى.

١٨٩٨. تفيد أن ما أظهره الله تعالى على يد موسى عليه السلام كان أمرا حقيقيا، ليس من ضروب السحر الذي يجيده ويعرفه أهل مصر حينها. وهذا هو مكمن التحدي والآية الدالة على صدق نبيه موسى عليه السلام.

١٨٩٩. فيها أن الله أيده بآية بينة ظاهرة؛ حقيقة غير متخيلة. ولذلك كان أول من آمن بها الذين أتقنوا التخييل.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٩ – ١١٠]

١٩٠٠. تفيد أن الحاشية والأتباع إذا كانوا سيئين يزيدون الطغاة عتوا فوق عتوهم وطغيانا فوق طغيانهم.

١٩٠١. تفيد أن من وسائل الطغاة في محاربة المصلحين: أن يتهموا نياتهم، ويرموهم بالبهتان.

١٩٠٢. تفيد أن استخدام الكذب والبهتان دليل على ضعف الحجة وعجزها. فإن هؤلاء لجأوا للكذب لما عجزوا عن مقارعة هذه الآيات ومجاراة هذا التحدي.

١٩٠٣. تفيد أن بطانة السوء تمثل أحد أعمدة الطغيان، لكونها تقلب الحقائق وتزين الباطل للطاغية.

١٩٠٤. تفيد أن البلاء موكل بالمنطق، حيث اتفق منطق فرعون وملئه على أن موسى سيخرجهم من أرضهم، -وإن كان في مقولة فرعون زيادة ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾، لغرض في نفسه-، وبالفعل حصل ما نطقوا به منذ زمن طويل، فقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

١٩٠٥. تفيد أن أسلوب البروباغندية وهو الترويج والتأثير على الأشخاص عاطفيا عوضا عن الرد العقلاني كان موجودا ومنتشرا منذ زمن بعيد، وذلك لمنح الشرعية لأية أفعال عدوانية ضد المخالف، ولهذا قال فرعون وملؤه: ﴿يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾، والحقيقة أن ما يخرجهم من أرضهم هو كفرهم وعدوانهم وظلمهم، ولكن هذه هي البروباغندية بأبشع صورها، واتفاق فرعون وملئه على هذا الأمر لهو خير دليل على أنه كان أمرا مخططا ومدروسا في أسلوبهم لإدارة البلاد في تلك الحقبة من الزمن.

١٩٠٦. تفيد أن فرعون ووجهاء قومه كانوا يعلمون أن قوتهم تكمن في القاعدة العريضة من الجماهير والسواد الأعظم من شعوبهم؛ ولهذا كانوا يرون أنه لا بد لهم من الرجوع إلى قومهم في بعض القرارات ليعطوهم انطباعات بأنهم يحترمون رأيهم وقراراتهم؛ وأنهم ليسوا دكتاتوريين ولا متسلطين عليهم. ولعل هذا السبب عندي هو السر الخفي الذي يفسر لنا توقف فرعون من تنفيذ ما توعد به موسى من قتله ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾.

١٩٠٧. تفيد أن من أساليب محاربة المصلحين: التخويف منهم ورميهم بالخطورة على المجتمع، وهذا ظاهر في اتهامهم لموسى عليه السلام ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾.

١٩٠٨. تفيد أن الظلمة يعرفون أن نفي الإنسان وإخراجه من أرضه ووطنه من أعظم المصائب والفواجع على نفسه؛ وهذا الأمر قد يكون أشد وقعا على النفس حتى من الموت نفسه؛ ولهذا السبب استخدمها فرعون وملؤه عصا غليظة في وجه أقوامهم لتخويفهم من هذا الأمر. واستخدمها الظلمة من قبلهم ومن بعدهم تجاه الأنبياء والمصلحين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [الأعراف: ١١١ – ١١٢]

١٩٠٩. فيها: بيان أن السحر كان في زمان فرعون كثيرا ظاهرا.

١٩١٠. فيها: بيان أن معتقد أولئك الملأ من قوم فرعون أن ما جاء به موسى عليه السلام هو من قبيل ما تعمله السحرة؛ ولهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بما عنده من البينة الواضحة على صدق رسالته قال الله عز وجل ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

١٩١١. تفيد الآيتان أن الضلال يحجب عن تمييز الآيات والبراهين الصادقة الظاهرة، فإن فرعون وحاشيته جحدوا ما جاءهم من آيات، وذهبوا يلتمسون مقارعتها بالسحر.

١٩١٢. لعلهم قالوا أولا ساحر عليم ثم قالوا مستدركين سحّار عليم، فحكى الله القولين في هاتين القراءتين، لأن القراءتين كالآيتين. ويحتمل أن بعضهم قال ساحر واستدرك آخرون فقالوا سحار.

١٩١٣. تفيد عجز فرعون وفضحه لما ادعاه من الربوبية والألوهية، فما استطاع أن ينتصر على اثنين.

١٩١٤. تفيد قوة تأثير معجزة موسى في نفوسهم حيث حشر لمواجهة السحرة من كل مدن مملكته، وتم اختيار المهرة منهم. لمواجهته.

١٩١٥. تفيد أنه لا يقوم ملك دون تنظيم.

١٩١٦. تفيد أن الملوك الضلال يعتمدون كثيرا على السحرة.

١٩١٧. تفيد أن الملأ وعلية القوم من أهل السياسة من أعداء الرسل يعرفون الحق ولكن الكبر يصدهم عن قبول الحق، فهم دوما يخططون لطمس الحق وإطفاء نوره لذلك قالوا لفرعون ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ...﴾

١٩١٨. تفيد أن من أهم صفات دعاة الضلال الحرص على الدنيا.

١٩١٩. في الآيتين اجتماع قوى الضلال في صراع الحق وأهله.

١٩٢٠. تفيد أن الله تعالى إذا أراد نشر الباطل سلط عليه عدوا غاشما.. فهذا الحشر في الظاهر ضد موسى عليه السلام وهو في تقدير الله ضد الباطل ولنصرة الحق.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣ – ١١٤]

١٩٢١. تفيد: أن المناصرين لأهل الباطل، يبتغون المنافع الدنيوية بصنيعهم هذا.

١٩٢٢. تفيد: أن الحاكم الفاسد والمحارب لأولياء الله، يقرب من يعينه على فساده؛ والعكس.

١٩٢٣. تفيد: أنه ينبغي عند مناظرة الخصوم، أن يجمع من المسلمين أحذقهم وأعلمهم؛ ومما يحزن، أن تجد ضعاف العلم، يناظرون أئمة الكفر وخصوم الإسلام؛ فتقع شرور كثيرة، ويفتن بعضهم.

١٩٢٤. فيها: إشارة إلى: خطر الاجتماع، ودوره في التأثير في الناس؛ ولذا حث الإسلام على الجمع والجماعات والأعياد؛ لما في ذلك من قوة وعز للإسلام وأتباعه؛ تصديقه﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ٥٨ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٨-٥٩]، ويوم الزينة: هو يوم العيد.

١٩٢٥. تفيد: أن الله قد أعان وآزر وأيد ونصر موسى بأخيه هارون – عليهما السلام –؛ حتى علا شأنهما وذاع صيتهما؛ لقوله: ﴿أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ وذلك تصديقا لقوله: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾، وقد كان.

١٩٢٦. تفيد: أن الأجر، والجعالة والمكافأة، تحث على إتقان العمل، وهذا مع كونه واضحا، إلا أن كثيرا من الناس يهمله في كثير من الأمور الدينية والدنيوية.

١٩٢٧. تفيد: أن أهل الباطل مهما بلغوا في الملك والسلطان، فهم يخافون أهل الحق؛ وإلا لزجر فرعون هؤلاء السحرة الذين وكأنهم يشترطون عليه الأجر أولا؛ بل زاد في ضعفه قائلا ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾. وإلا فكان عليه – حسب قوانينه – أن يستأصلهم؛ لكن أنى له أن يفعل وهو قوي بهم، ضعيف بنفسه، وهذا يشير إلى أن الرجل يقوى بأتباعه؛ كما قوّى الله نبيه بأصحابه – رضي الله عنه أجمعين –.

١٩٢٨. فيها: أثر المال في تهييج الباطل وأهله؛ فما نراه من إنفاق الكفار على الملحدين والمنافقين هذه الأموال، ما هي إلا لمحاربة للإسلام وأهله؛ وكما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

١٩٢٩. تفيد أن مجيء السحرة خلا من الدوافع المعنوية، ولهذا ما كان لهم أن يتقدموا لولا الدوافع المادية، وهذه أول هزيمة فيمن يحارب الله ورسله ودينه، وهو مما يعاني منه قادة الباطل مع اتباعهم وإن كانوا لا يظهرونه.. ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ مجرد مجيء ليس فيه أي دوافع معنوية والهزيمة النفسية هي أول هزيمة تكون في المعارك.

١٩٣٠. تفيد أن الأمم التي تقاتل من أجل شخص طاغية أمم منهزمة، فهم جاءوا من أجل فرعون وملكه، وهذه الهزيمة الثانية غياب المبادئ والقيم التي يمكن أن يضحي من أجلها الإنسان، لأن بهلاكه يذهب كل شيء.

١٩٣١. تفيد التردد الكبير الذي كان في قلوبهم وعدم الثقة بالنصر ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾، وهذه هزيمة ثالثة داخلية.

١٩٣٢. قول فرعون: "وإنكم لمن المقربين" تُنبئ عن قلق عظيم وخوف شديد؛ ملأ أرجاء نفسه وأحاط بلُبِّه، على ملكه ومكانته؛ من موسى عليه السلام ودعوته، فقد زاد على ما شرطوه، وأغدق عليهم بوعد لم تصل إليه أحلامهم.. لقد وعدهم بتقريبهم وإدنائهم –وهو الذي أصمَّ آذانهم دهرًا طويلًا أنه ربهم الأعلى، وفتش زمنًا مديدًا فلم يجد لهم إلهًا سواه–.

١٩٣٣. تفيد: أن أهل الباطل، يقصدون السلطان ويجتمعون به، طمعا في المال والمنازل (المناصب) العالية؛ ولقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

١٩٣٤. تفيد أن من يواجه الحق من أجل الأجر الزهيد لا يمكن أن يضحي في سبيل نصرته بالأرواح والمهج، والأمور العظيمة الغالية، وهذه هزيمة.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٥ - ١١٦]

١٩٣٥. في الآية وسابقها أن مجتمع فرعون كان مجتمعا جاهلا إذ أن السحر والشعوذة ينتشران بين الأميين والجهلة، وينفران من العلم والمتعلمين.

١٩٣٦. في تخيير السحرة لموسى عليه السلام إما أن يلقي وإما أن يكونوا هم الملقين، اعتداد من السحرة بأنفسهم، وثقة بسحرهم، إذ جرت العادة في المناظرات أن المتأخر له أريحية في تغيير خطته والمناورة، باطلاعه على قوة خصمه وتقديرها وعمل ما يلزم حيالها.

١٩٣٧. فيها: رد على السفهاء الأبذياء، الذين يسبون أهل العلم والهدى عند المناظرات التي تكون على مسمع ومرأى من العالم. وجه ذلك: أن السحرة مع كونهم كفرة بالله، وخصوم ألداء لنبيه، نادوه بقولهم ﴿يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ فتأمل نداءهم ﴿يَا مُوسَىٰ﴾ فلم يقولوا "يا كذا وكذا" من أنواع السباب، كما نراه اليوم من هؤلاء عند المناظرات. قال القرطبي في تفسيره: تأدبوا مع موسى عليه السلام فكان ذلك سبب إيمانهم.

١٩٣٨. من علامات صدق التوكل العزم على مواجهة الباطل وإبطال حجته ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾.

١٩٣٩. فيها: إشارة إلى: قوة يقين موسى - عليه السلام - بربه الذي سيجعل له العصا ثعبانا عظيما؛ لقوله: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ أنتم أولا. وقد كان؛ فإذا بها ﴿تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا﴾.

١٩٤٠. تفيد: أن أهل الباطل مهما جمعوا ومهما ملكوا من العتاد، فهو أمام كيد الله لا شيء؛ فيجب على المؤمن أن يثق بربه بأنه ناصره، وهذا يحتاج له عند مناظرات أعداء الملة.

١٩٤١. تفيد: أن أهل الحق، لا يضرهم أن يبدأ خصومهم بإدلاء الحجة، وهذا يشاهد كثيرا في المناظرات الآن؛ ترى أهل الباطل يتصدرون المناظرة؛ فليس ذلك بشيء ولا تحسب لهم نقطة، وسرعان ما يدحض الله حجتهم على ألسنة أهل الحق.

١٩٤٢. فيها دليل على أن السحر موجود، ورد على من أنكره.

١٩٤٣. ما يزال أهل الباطل يســـترهبون أهل الحق بزخارف القول، فلابد لأهل الحق من مواجهة زخرف الباطل بالوحي المبطل.

١٩٤٤. في الآية أن الحشــد كان كبيرا والســحر كان عظيما الموقف كان رهيبا ومع كل ذلك انتصر موسى عليه السلام وفي هذا تسلية للدعاة والمصلحين بأن النصر حليفهم لا محالة.

١٩٤٥. تفيد: أن الســاحر، لا يقدر على تغيير كنه الأشـياء؛ وإنما فقط يســحر أعين الناس وبفعل الشـياطين التي لا ترى. وعليه: فتفيد قوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾. وهذا من دقة التعبير؛ لأن الكيد معناه: الحيلة؛ فهو يحتال على الناس بمســاعدة الشــياطين؛ فإنه لا يفلح حيث احتال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]

١٩٤٦. فضيلة موسى الكليم عليه السلام، فما زال السياق مستمراً في ذكره، حيث أنه من أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن، وقد قال بعضـــهم: (كاد القرآن أن يكون كله لموســـى) الغاية والهدف من ذكر قصـة موسى عليه السـلام في القرآن أخذ العبرة والدروس منها، فالأمة بحاجة إلى الاعتبار على مر الأزمان والأحوال.

١٩٤٧. فيها عناية الله بالمبلغين عنه، وتأييده لهم.

١٩٤٨. تفيد أن تحركات الأنبياء مهما دقت إنما هي أوامر ربانية ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾... ﴿أَنْ أَلْقِ﴾ففعل الإلقاء هو المتوقع من البداية ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ومع ذلك يتلقاه موسى عليه السلام أمراً من مرسِله.

١٩٤٩. تفيد الثبات على الحق ولو كنت وحدك.

١٩٥٠. إشارة إلى ضرورة تسلح الدعاة بالإيمان والعلم.. بدلالة ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ فيها دعوة لمواجهة الباطل وأهله بالحجة والبرهان.

١٩٥١. في هذه الآية الإشارة الى إحدى آيات موسى الكبرى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهي العصا التي كانت ملازمة له قبل بعثته بالرسالة عليه السلام وبعدها فهذه العصا التي قال عنها ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾، هذه العصا التي أمره الله بإلقائها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾، هذه العصا التي أبطل الله بها كيد فرعون وسحرته فكانت ﴿تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾، هذه العصا التي أمره الله بأن يضرب بها البحر فكانت سببا لنجاته ومن معه من المؤمنين ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ثم كان غرق فرعون ومن معه، هذه العصا التي كانت سببا في سقيا موسى ومن معه ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ﴾ فانفجرت منه اثنتا عشر عينا، هذه العصا التي ضرب بها الحجر الذي فرّ بثوبه عليه السلام فأخذ عصاه وطلب الحجر وأخذ يقول: ثوبي حجر.

١٩٥٢. فيها التنبيه إلى الحذر من استعمال بعض الناس إطلاق: عصا موسى السحرية. فهي المبطلة للسحر وليست سحريه.

١٩٥٣. تفيد إضافة العصا إلى موسى عليه السلام دلالة على عظمة المعجزة التي أكرم الله بها نبيه موسى عليه السلام، حيث إن هذه العصا ليس لها اختصاص؛ بل هي عصا عادية، إذ ليست مصنوعة من جوهر معين، أو قادمة من مكان معين، أو ما شابه ذلك، وكان عليه الصلاة والسلام يهش بها على غنمه كما ذكر في سورة طه.

١٩٥٤. تفيد جواز حذف ما يعلم، فقوله: ﴿أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾أي: فألقى عصاه ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ ...﴾. فحذف ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ﴾للعلم به.

١٩٥٥. فيها إشارة إلى فضل العصا. قال الحسن البصري: في العصا ست خصال، سنة للأنبياء وزينة الصلحاء وسلاح على الأعداء وعون للضعفاء وغم المنافقين وزيادة في الطاعات

١٩٥٦. تفيد قوة الحق وقدرته في سحق الباطل ﴿تَلۡقَفُ﴾ فهي مع البلع تفيد الشدة والقوة والسرعة والرهبة.

١٩٥٧. تفيد أن الباطل يواجه بوسيلة أقوى منه، فهم استرهبوا الناس بسحرهم، فأرهبهم الله تعالى بهذه الحية التي تلقف ما صنعوا.

١٩٥٨. تفيد أن الباطل يصنع في وقت طويل وبجهد كبير (حشر، وجمع، وساحر وسحار عليك...).. فيهدمه الله بقدرته في طرفة عين ﴿تَلْقَفُ﴾..

١٩٥٩. تفيد أن النصر بيد الله تعالى وإن ضعفت الأسباب المادية ﴿عَصَاكَ﴾تهز ملك فرعون وتهزمه وتحول الموقف كله في صف أهل الحق..

١٩٦٠. تفيد بلاغة الكلمة القرآنية ودقتها، حيث جمع وصور مشهد الهزيمة الكبيرة التي لحقت بهم في لفظة واحدة ﴿تَلْقَفُ﴾..

١٩٦١. تفيد سرعة تبدل الأحوال ﴿فَإِذَا هِيَ﴾.. كل ما صنعوه واسترهبوا به الناس في لحظة صار أثر بعد عين.

١٩٦٢. تفيد أن سنن النصر والهزيمة لا تخضع فقط للأسباب المادية.. موسى - عليه السلام -انتصر رغم أن أرض المواجهة ليست أرضه ورغم قوة ومكر عدوه ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ورغم أن هذا كله برعاية ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ ومع كل هذا ينتصر الدين على ما سواه. وإن كان للقاعدة - في الظاهر - استثناءات، إذ لو كانت القوة بيد أهل الحق دائماً لظهر النفاق، ولكن كل يجري بحكمة الله... ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾. وأحياناً أخرى يكون ما ظهر من ضعف في الدين هو في الحقيقة ضعف في متبعيه لا فيه. فالدين قوته من قوة موجده والآمر به- جل سبحانه وعلا-. فوجب أن ترافقنا دائماً قناعة لا يساورها أي شك قوة الدين الذي نحن عليه رغم ما يظهر لنا -وهماً في أيامنا هذه- من ضعف ووهن فيه، والله المستعان والقادر على نصره ولو بعد حين.

١٩٦٣. تفيد أن لله الحكمة البالغة في اختيار الزمان والمكان والحال الذي يهزم فيه الباطل وينتصر فيه الحق؛ ولذا فتأخير النصر لحكمة ربانية في أي زمان ومكان لا ينبغي أن تدخل في قلوب المؤمنين الوهن بأن الحق منتصر.

١٩٦٤. تفيد أن السحر إفك وكذب وهو تزوير للحقائق ولا ثبات له ولا ديمومة.

١٩٦٥. تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ففي قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾، جاء في آيات أخرى أن العصا تحولت إلى ثعبان عظيم وحية تسعى، فتقوم بابتلاع ما صنعوه من الأعمال السحرية.

١٩٦٦. فيها مع ما قبلها أن هذا السحر الذي أتى به سحرة فرعون هو من سحر التخييل وهو أحد نوعي السحر، وهو أن هذا السحر يقع في عين الناظر وخياله فقط؛ ولذا قال تعالى ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾وقال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾وليست كذلك؛ ولذا قال تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ أي ما يكذبون من التخاييل الكاذبة.

١٩٦٧. يفيد التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَأۡفِكُونَ﴾إشارة لطيفة إلى أن الأعمال السحرية ليست لها صفة الديمومة، ولهذا تجد السحرة دائما ما يتفقدون أعمالهم السحرية، وربما لو غابوا أو انقطعوا عنها بطل عملهم وإفكهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨]

١٩٦٨. هذه الآية تفيد قوة الحق في مواجهة الباطل وطغيانه كما قال تعالى ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ﴾وقال تعالى ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾فيها: أن الباطل في أول الأمر ينتفش ويظهر إلى البعض أنه غالب؛ ولكن بمواجهته للحق ينكمش ويخبو ويضمحل.

١٩٦٩. فيها: أن على الداعية الا ينخدع بظهور أهل الباطل فمصير أمرهم إلى وبال والغلبة للحق وأهله.

١٩٧٠. تفيد: أن في امتثال أمر الله، التمكين والنصر على الأعداء، وأن المخالفة سبب في حرمان ذلك؛ لأنه لو لم يلق موسى عصاه امتثالا لأمر الله، لما وقع ما وقع من نصره وغلبته. فكان من بركة هذا الامتثال ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

١٩٧١. فيها فائدة عظيمة، أن يعلم المؤمن، بأن الله قادر أن يجعل بينك وبين من عاديت مودة، وعلى هذا فقس؛ فمن ابتلي في زوجه أو جاره أو مديره في العمل، فعليه بالدعاء فهو على كل شيء قدير - سبحانه -؛ فالذي قلب العصا إلى هيئة أخرى، قادر أن يجعل بين الأعداء محبة وأن يردهم إلى الحق ردا جميلا. وهذا من أهم ما يستفاد من القصص القرآني؛ اليقين في الله.

١٩٧٢. فيها، وبضميمة ما قبلها: قدرة الله على إبطال السحر؛ وكما قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. وعليه: فيجب على من ابتلي بالسحر، ألا ييأس ويجتهد في الدعاء، وفعل ما شرعه الله ورسوله تجاه المسحور.

١٩٧٣. تفيد: بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائماً.

١٩٧٤. تفيد: بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله تعالى من سورة طه ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾

١٩٧٥. فيها: أن الله إذا أذن في الشيء، وقع على جهة السرعة؛ دل عليه الفاء ومعنى الوقوع، في قوله ﴿فَوَقَعَ﴾ والوقوع بذاته يدل على السرعة؛ وقد قال الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. وعليه: تأخر شفاء المسحور، إنما هو بتقدير الله؛ ولا يرد القدر إلا الدعاء.

١٩٧٦. تفيد دقة العبارة القرآنية وروعة الفصاحة البيانية؛ حيث جاء التعبير بوقوع الحق في سياق بيان ظهوره ومجيئه؛ وذلك في دلالة واضحة على أن الحق مؤيد بتأييد إلهي سماوي؛ وأنه منزل من الأعلى؛ وأنه يعلو ولا يعلى عليه؛ وأن مقابله في سفل ودنو؛ وأنه من الصعب في حال

الوقوع على أي قوة السيطرة عليه؛ وأنه من الأفضل لمن يرى وقوع الحق أن يخلي له مكانا ليقع عليه والا وقع عليه؛ وأن التعبير بالوقوع أيضا يتضمن انتشار الواقع في المكان الذي يقع فيه. وغير ذلك من الدلالات والاشارات اللطيفة.

١٩٧٧. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن عصا موسى - عليه السلام -، كانت ثعبانا على الحقيقة؛ ولأنه وصف ما يصنعه السحر بالإفك؛ ولقوله: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. وعليه: فالساحر يعجز عن تغيير حقيقة الأشياء، وأين المخلوق من الخالق؟

١٩٧٨. فيها مع ما قبلها إشارة إلى أن الإعداد الإيماني لمواجهة أعداء الله؛ يلزمه إعداد ما تيسر من الوسائل المادية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩]

١٩٧٩. تفيد أن نصر الله قريب، يفيده حرف العطف الفاء.

١٩٨٠. تفيد أن وسائل النصر قد تكون محسوسة مشاهدة، وقد لا تكون كذلك، يفيده التعبير بصيغة البناء لما لم يسم فاعله.

١٩٨١. لام البعد في ﴿هُنَالِكَ﴾أضافت تفخيماً للحدث وإجلالاً للواقعة، فوجب أن يكون مسلكاً ومنهجاً لإظهار كل حادثة ظهر الحق فيها وزهق الباطل وإشهارها، بما يليق بها سواء انقضت منذ دهور أو كنا حديثي عهد بها.

١٩٨٢. ﴿هُنَالِكَ﴾إشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه المكان والزمان اللذان اختارهما موسى عمداً لحصد نتائج أعظم، فكان ما أراد...ومنه: على قدر تخطيط الداعية وترتيبه وبذله ودقته في مسيرته الدعوية على قدر ما يحصد من نتائج.

١٩٨٣. تفيد أن عاقبة الاستعلاء والاستكبار الهوان والذلة والصغار، فكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل.

١٩٨٤. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن من سعى لنصرة أحد من أجل المال والمناصب لا من أجل الحق، خاب وغُلب وباء بالصغار؛ أي: بالذل. لقوله سابقا: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ فلم ينالوا شيئا إلا الهزيمة والذل؛ وكما قال: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرًا...﴾.

١٩٨٥. بالإضافة إلى ما يحمله اللفظ من معنى استغراق حالهم / صاغرين / في الزمن، وفيه تذكير بأنهم جاؤوا بحال – ظن الفوز والغلبة – وعادوا بحال على طرف النقيض تماماً.

١٩٨٦. و(واو الجماعة في الفعل) إن حملنا الفعل على الحقيقة خرج السحرة لأنهم آمنوا فلا يلحقهم ذل أو صغار... والهداية ههنا: سرعة التكريم تتناسب مع سرعة الإذعان والإجابة. أما إن حُمل الفعل على الصيرورة فيشارك السحرةُ فرعونَ وقومه فيما آلوا إليه وهذه نتيجة لا تعدو العدالة. وهم على كل ينتظرهم (انقلاب) مختلف تماماً ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ يقول قتادة: "كانوا في أول النهار كفاراً سحرة وفي آخره شهداء بررة ".

١٩٨٧. تفيد أن الله تعالى جمع لهم مع الهزيمة الذل والصغار، خلافا للمؤمن فإنه وإن غلب فهو يظل عزيز بما خصه الله تعالى من الهدى والحق..

١٩٨٨. تفيد: أن الذلة والصغار على من خالف الأنبياء؛ ومن يتحداهم من باب أولى؛ وفي الحديث: "وجعل الذلة والصغار على من خالف امري" رواه البخاري. وعليه: فالعز كل العز في طاعة الأنبياء؛ فما شقي أحد قط، إلا بمخالفتهم؛ وكما قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾. وكما قال: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٠ – ١٢٢]

١٩٨٩. تفيد: أن الآية الكبرى التي أعطاها الله عز وجل موسى عليه السلام قد بهرت السحرة فخروا ساجدين.

١٩٩٠. تفيد أن كشف الباطل ودحضه يكون سببا لإيمان الكثيرين، فلا يخشى الداعية المتمكن من حجته من مواجهة شبهات أهل الباطل.

١٩٩١. تفيد: كفر السحرة بربوبية فرعون المزعومة الباطلة.

١٩٩٢. تفيد: أن النصر والعاقبة الحسنة إنما هي للحق وأهله.

١٩٩٣. تفيد: أن الإنسان إذا تجرد من الهوى وأعمل عقله وفكره وظهرت له الأدلة الواضحة البينة بادر إلى قبول الحق والإذعان له.

١٩٩٤. لما خاب ظنهم ومسعاهم باستعانتهم بالبائس فرعون ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ وغلبوا بما ألقوا. أيقنوا باسم الله الحق، فألقوا أنفسهم بين يدي خالقهم وموجدهم.

١٩٩٥. فيها إشارة إلى فضل السجود، وأنه أقرب طريق إلى الله.

١٩٩٦. فيها أن الإيمان بالله؛ يلزم منه التواضع له سبحانه والتذلل بين يديه.

١٩٩٧. ﴿وَأُلْقِيَ﴾مبني للمجهول فيها قوة الحق وشدته وأنه إذا وقع على العبد فإنه لا طاقة له به إلا أن يُذعن سريعاً ويُسلِّم؛ بل ربما خر ساجداً باكياً بلا شعور بسبب ما يغشاه من قوة الحق وتهدم باطله وتهلهله، وهذا مشاهد في بعض المواقف عند إسلام الكفرة وإيمان السحرة.

١٩٩٨. تفيد أن الحجة قامت على الجميع بسجود السحرة وخضوهم؛ لأنهم كانوا أعلم الناس بحقيقة السحر وأن ما جاء به موسى عليه السلام هو آية ربانية من عند الله تعالى.

١٩٩٩. تفيد فضل العلم الذي يجعل الإنسان أكثر تميزا من غيره، لأن هؤلاء كانوا أكثر تميزا لحقيقة السحر عن غيرهم بما كانوا عليه من علم فيه.

٢٠٠٠. تفيد فضل المسارعة في الاستجابة للحق بعد ظهوره دون تردد.

٢٠٠١. تفيد أن السجود أعظم علامات الخضوع لله رب العالمين، مما يدل على منزلة ومكانة الصلاة.

٢٠٠٢. تفيد قوة حجة موسى عليه السلام وتأثيرها في نفوس السحرة حيث ﴿أَلْقَوْا﴾أنفسهم سجداً من دون تردد، وهكذا صاحب العلم والحجة القوية يبلغ تأثيره أقصى مكامن النفس البشرية.

٢٠٠٣. تفيد أهمية تبيين وتمييز الحق بما يميزه عن ادعاءات المبطلين فهنا مؤمنو السحرة لم يكتفوا بذكر أنهم ءامنوا برب العالمين بل ميزوه بأبرز دعاته﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾لئلا يتوهم متوهم أنهم يقصدون فرعون الذي ادعى أنه رب العالمين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى ...﴾

٢٠٠٤. تفيد أن الإيمان يظهر مكانة ومنزلة الأنبياء؛ لأن في تخصيصهما بالذكر دليل على فضلهما في قلوبهم، كما فيه ازالت اللبس الذي كان يدعيه فرعون بأنه رب العالمين.

٢٠٠٥. فيها مظهر من مظاهر القدر وحسن الخاتمة. كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن سحرة فرعون: (أصبحوا كافرين وأمسوا مسلمين). وفي رواية: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء) فنسأل الله حسن الختام والثبات على الحق حتى الممات.

٢٠٠٦. تفيد أن من يذكر الناس بالله ويربطهم به يرفع الله ذكره، فقرن هنا ذكرهما على لسانهم بذكره تشريفا ورفعة لهما.

٢٠٠٧. تفيد مع ما قبلها أن من غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين هم فرعون وحاشيته، أما السحرة فانقلبوا بنعمة من الله وفضل، وانقلبوا بإيمان ويقين صادقين.

٢٠٠٨. تفيد أن السحرة قاموا بأفضل جهاد على الإطلاق، ولهذا ذكر الله جهادهم هذا على مر الزمان، وأثبته في كتاب كريم يتلى إلى قيام الساعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر).وتصديقه: ما كان من المشركين، لما سجد النبي بالنجم، سجدوا معه. كما عند البخاري.

٢٠٠٩. تفيد: أن الله وحده من يقلب ويغير الأشياء تغييرا حقيقيا؛ لا تخييل كما فعل السحرة؛ ولذا – والله أعلم – ناسب ذكر الربوبية في قوله: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٠١٠. فيها: رد على فرعون، والسحرة الذين أصروا على الكفر؛ فقوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ رد على فرعون لما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ بل أرادوا التأكيد على هذا المعنى فأتبعوه بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ وليس فرعون مدعي الربوبية والألوهية. كما أن في قوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، رد على كفرة السحرة الذين جحدوا نبوة موسى واتهموه بالسحر – حاشاه –.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣]

٢٠١١. يصل استعباد الطغاة للناس إلى أنهم يظنون أنه لا يحق للناس الإيمان إلا بإذنهم ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾.

٢٠١٢. تفيد مدى السيطرة والطغيان الذي كان يمارسه فرعون مع قومه حتى جعل كل شيء بإذنه وموافقته، وهكذا يصنع الطغاة في كل عصر وهي محاولة التحكم الكامل في الناس، فالفرعنة هي ممارسات سيئة من الحاكم تجاه مجتمعه في كل عصر ومصر.

٢٠١٣. ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾إيحاء أن المشكلة ليست بالإيمان في حد ذاته بل بعدم موافقته هو، ليوصل لهم رسالته الأولى ذاتها أنه في أي ميزان هو الكفة الراجحة.

٢٠١٤. عندما تصل التبعية ذروتها تكون النتيجة أن يوبخ الذين اتُبعوا الذين اتَبعوا حتى على قراراتهم واختياراتهم.

٢٠١٥. فيها أن العظماء يعمدون إلى الخديعة والغدر والتحايل والفجور، ويصدوا الناس عن الحق، في سبيل إبقائهم على مناصبهم ومصالحهم.

٢٠١٦. تفيد أن الطغاة الكفرة لا يعرفون حقيقة الإيمان عند ما يستقر في النفوس فهو يسقط كل كبير في القلب إلا الله، وكل خوف إلا منه، وكل طاعة إلا إليه فما عاد ما يتكلم به فرعون موجود في قلوبهم ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾..

٢٠١٧. تفيد: أن المهزوم لا يتورع عن أتهام البريء ليبرر ما هو فيه من الغلبة.

٢٠١٨. عادة أهل الباطل قلب الحقائق وإطلاق الاشاعات والمصطلحات عبر الإعلام ليصفوا أعدائهم بماهم أحق به وأصدق، كالإرهاب والعنصرية والتمييز وإفساد الناس والنظام...ففرعون وملأه هم أصحاب المكر والخديعة الكبرى بأنه ربهم ثم التدبير ودعوة السحرة واغرائهم وجمع الناس. ثم بعد كل ذلك يصف موسى ومن آمن معه بالمكر.

٢٠١٩. في قول فرعون ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾ إشارة لقومه صريحة إلى يقينه بوجود إله حق غيره ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ فالمشكلة عنده ليس وجود إله غيره، أو الإيمان به، بل المشكلة هو توقيت الإيمان المرتبط بإذنه. وهذه من غباء وحماقات أهل الباطل التي يقعون فيها دون شعور رغم كيدهم وتدبيرهم، ويتفطن لها أولوا الألباب

٢٠٢٠. تفيد أن فرعون كان يعرف كيف يخاطب قومه ويؤثر عليهم في قوله: ﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا﴾ أراد بذلك تثبيت الغبط من الميل لموسى عليه السلام بإظهار القضية مؤامرة، وأنها تستهدف وجودهم، أراد أن يهيج عداوتهم لبني إسرائيل.

٢٠٢١. تفيد أن الطغاة عندما ينهزمون في ميدان الحجة يلجؤون إلى أسلوب الوعيد والتهديد ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾..

٢٠٢٢. بما أن الحرب حرب عقيدة فلتكن المواجهة بالتشكيك بالعقيدة لذا نرى فرعون – باعتماد التفسير القائل ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ...﴾ المراد به أن إيمانكم ليس عن قناعة وإنما حيلة مع موسى لإخراج...– نراه يسارع إلى ربط ايمانهم بمكر مبيَّت لمنال مادي، وليس عن قناعة وإيمان حقيقي؛ لينسف ما وصل لأذهان الناس مما تركه إيمان السحرة أنفسهم، ولعب على وتر الإخراج من الأوطان والملك، لشدة وقع ذلك في النفوس بالخوف من الانقلاب من النعمة المألوفة إلى البؤس والمصير المجهول..

٢٠٢٣. فيها إظهار لشدة حرص الرؤساء والعظماء على مناصبهم ومصالحهم التي يتنعمون بها ويتجبرون بها على حساب الضعفاء.

٢٠٢٤. يلجأ الطاغية إلى التذكير والتعزيز بالوطنية ﴿أَهْلَهَا﴾ حينما يشعر أن ملكه يتزعزع، وقد كان فيما مضى يجرد بني إسرائيل من أدنى حقوق المواطنة.

٢٠٢٥. تفيد أن من أساليب الاستعطاف تضخيم المخاطر والأحداث عند مخاطبة العامة المتوقعة من تغير الحال.

٢٠٢٦. تفيد: الأثر الواضح لهزيمة فرعون وانكساره أمام ما كان من السحرة من الأيمان والتصديق بما جاء به موسى عليه السلام.

٢٠٢٧. من أساليب أهل الظلم والطغاة المجرمين الإيعاد بالشر ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ومحاصرة الفكر الحر ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٤]

٢٠٢٨. كشف أسلوب التوكيد المشدد عن حجم الغل والغيظ الذي أصابه، والغضب الذي تملكه، لما بطل مكره الكبّار، وانقلب صاغرا صغيرا أمام من استكبر وتعاظم عليهم.

٢٠٢٩. فيها دليل على أن الآمر بالمنكر كالعامل به؛ بل هو أشد حيث نسب التقطيع والصلب إليه والعكس صحيح فالدال على الخير كفاعله.

٢٠٣٠. فيها الإشارة إلى مسلك سلاطين الضلال فإذا أعيتهم الحجة وظهرت براهين الحق وهزموا في المناظرة والحوار لجأوا إلى البطش والتهديد فهذا هو الذي يجيدونه فما عجزوا عن إقراره بالدليل والبرهان لجأوا إلى إقراره بالقوة والبطش كما فعل المأمون وأمثاله

٢٠٣١. فيها تغيُّظ فرعون من موسى وهارون؛ يبينه التفاصيل الدقيقة التي ذكرها في معرض التهديد؛ وجمعه لهم ألوانا من العذاب، أقصد تغيظ فرعون من السحرة لما آمنوا...

٢٠٣٢. تفيد أن من علامات الأنظمة الفرعونية في كل زمان ممارسة التعذيب والقهر من أجل منع انتشار الدين والإيمان.

٢٠٣٣. تفيد أن فرعون كان يحكم دون نظام أو قانون، وهذه سمات الأنظمة الظالمة، فهو الذي يقرر ما يراه والتبع له ينفذون، ولو شمل قراره الآلاف.

٢٠٣٤. فيها: رد على المنافقين المنكرين على حد الحرابة في الإسلام، ووجهه: أننا نقول لهم: على ما زعمتم، ليس لكم الإنكار؛ لأن الإسلام ليس بدعا في هذا الحد؛ وهذا أشبه بكلامكم في "السبي في الإسلام". ثانيا: الإسلام يأمر بهذا في حق من حارب الله ورسوله وأفسد في الأرض وغصب الأموال وقطع الطرق؛ بخلاف فرعون فإنه فعله في المؤمنين المصلحين؛ فلم لا تنكرون على فرعون صنيعه وأنكرتم على الحاكم المسلم إذا فعل ما أوجب الله عليه؟!؛ إلا إذا كنتم لا تؤمنون بهذا القرآن وبما حكاه عن فرعون.

٢٠٣٥. تفيد أن للشهرة والوجاهة ضريبتها القاسية والمؤلمة ويجب على صاحبها ومن يسعى لها أن يوطن نفسه لتحمل هذه الضريبة إما لصالح دينه، أو لصالح دنياه.

٢٠٣٦. لجأ فرعون للتهديد بالصلب خوفا من تأثر الناس واتباعهم للسحرة، وهذه طريقة الطغاة في ترهيب الناس بعقاب المؤثرين.

٢٠٣٧. وفي قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾دليل على شدة طغيان فرعون وجبروته حيث توعد كل من آمن بالعذاب والتنكيل.

٢٠٣٨. تفيد أن كلمة ﴿أَجْمَعِينَ﴾ليس داخلا فيها النبيان الكريمان موسى وهارون عليهما السلام؛ فهو لم يدخلهما في عقوبة السحرة بالرغم من تصريحه بأن موسى عليه السلام هو معلم السحرة الأكبر؛ ولعل السبب في ذلك ما تحقق لهما من الوعد بحفظ الله تعالى لهما في قوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ – ١٢٦]

٢٠٣٩. تفيد اللجوء إلى الله في الشــــدة والرخاء، يفيده قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾حيث قدم الخبر للاختصاص والحصر.

٢٠٤٠. فيها أن الإيمان باليوم الآخر من أعظم ما يثبت المؤمن حال البلاء والفتنة.قال هرقل "–وقد يكون من أحفاد فرعون؟!–": قال: وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشـــاشـــة القلوب لا تفارقه أبداً

٢٠٤١. اليقين باليوم الآخر ولقاء المولى يهوّن كل شديد ويخفف كل مصاب وهذه من ثمرات الإيمان باليوم الآخر وتخيروا منه أعظم ما فيه وهو لقاؤه جل وعلا ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾

٢٠٤٢. أثر الجماعة وصـــحبة الإيمان فلابد أن منهم من خاف أو تردد؛ ولكن كونهم مع بعضهم شد من أزر الجميع فكانوا على قلب واحد ونطقوا بقول واحد.

٢٠٤٣. عِظم رحمة الله وكرمه فالسـحرة رغم كفرهم سـنين عمرهم ويزيد عليه اقترافهم السـحر وهم رؤوسه... يمن عليهم المولى بإيمان وحسن ختام.

٢٠٤٤. تفيد أن كل شـيء يهون ويسـهل على العبد المؤمن في سـبيل لقاء الله تعالى والدار الآخرة.

٢٠٤٥. تفيد: بأنه – سـبحانه – يخلد كلمات أوليائه، ويجعل لهم ذكرا في الناس إلى قيام الساعة، فنحن نترضى عن مؤمني السحرة وندرس سيرتهم، ونتأسى بهم.

٢٠٤٦. تفيد بيان إيمان السـحرة بالبعث والنشـور وما في اليوم الآخر من الحسـاب والجزاء؛ لقولهم: ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾. في هذا ما يدل على أن بعض السـحرة وصلتهم دعوة موسى عليه السـلام من قبل هذا الموقف؛ وأنهم أعلنوا إيمانهم في هذا الموقف؛ ولعلهم أسـروا النجوى فيها بينهم من قبل؛ من أجل ايمان عدد أكبر من الجماهير التي جاءت لمشـاهدة هذه الفعالية؛ وقصتهم تذكرني بقصة الغلام وأصحاب الأخدود.

٢٠٤٧. تفيد إيمان السحرة العميق وقوة توحيدهم؛ لقولهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾لأن التقديم يدل على الحصر أي منقلبون إلى ربنا وحده.

٢٠٤٨. تفيد قوله: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾. فإذا استقر هذا، فلا ولاء ولا مودة بين المؤمنين والكافرين أبدا؛ لأنهم لن يرضوا منك أقل من الكفر؛ ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾.

٢٠٤٩. الإيمان الحقيقي يورث أدبا مع الله يثمر مباشرة، وحباً ظاهراً نلمسه في كلمات السحرة وردهم على فرعون. رغم ما كانوا فيه لم يألوا جهداً في إغاظة عدوهم عدو الله﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ ...﴾في ظلال الآيات نعيش الطمأنينة التي عاشها السحرة رغم شدة الموقف ونجد حقاً حلاوة إيمانهم... ثم تأتي خاتمة الآية تذكر بأنهم على هذا الحال رغم هول المصاب حين قالوا ﴿أَفْرِغْ ...﴾ فماهم عليه يستلزم صبراً يُصب صباً فما هم مقبلين عليه لا يرده بعض الصبر وإنما كله وللغرض ذاته نُكر ﴿صَبْرًا﴾.

٢٠٥٠. تفيد: أن من بلغه خبر قتله أو تعذيبه، أو يسليها بما قال مؤمنو السحرة – رضي الله عنهم –؛ بما جاء في الأعراف وفي طه. وكما قال خبيب – رضي الله عنه –:

فلست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

٢٠٥١. تفيد: أن الله شكور يشكر لعبده أقواله وأفعاله؛ وكما قال: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾.

٢٠٥٢. فيها: أهمية الصبر، وسؤال الله إياه عند حلول المحن؛ حتى لا يفتن المرء عن دينه؛ وكما قال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

٢٠٥٣. تفيد: أن الصبر بيد الله؛ فهو حده الموفق إليه.

٢٠٥٤. فيها إشارة إلى: عظم البلاء الذي نزل بهم؛ لقوله: ﴿أَفْرِغْ﴾، أي: اصبب. وهذا يدل على أن الصبر يتفاوت؛ فتأتي المعونة من الله على قدر المؤنة.

٢٠٥٥. تفيد: أن الرسل جميعا، دينهم الإسلام، وكذا أتباع الرسل؛ فكلهم على الإسلام؛ قال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾.

٢٠٥٦. تفيد: وجوب الإسراع بالإيمان والعمل بآيات الله إذا جاءت العبد؛ لقوله: ﴿ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا﴾. ويشهد له: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ على الفور. وعن الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا.

٢٠٥٧. تفيد: أن استحضار عذاب الآخرة مقارنة بعذاب الدنيا، يهون على المرء فعل الواجب وترك المنهي عنه؛ حتى لو عرضه ذلك للعذاب الشديد في الدنيا؛ وهذا ما هون على مؤمني السحرة؛ وتصديقه - ما جاء على لسانهم في طه -: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]. وفي الحديث - وهو يذّكر المتلاعنين -: فلما كانت الخامسة قيل: يا هلال، اتق الله؛ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب.

٢٠٥٨. وهذه فائدة عظيمة، فمن خاف عقاب الآخرة أشد من الأولى، هانت عليه نفسه في الله؛ فكم ممن كذب يخاف أن ينكل به؛ ولو استحضر أن عذاب الدنيا أهون، لما فعل. وعلى هذا فقس. قال ابن كثير في تفسيره: وقول السحرة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله ما تدعونا إليه، وما أكرهتنا عليه من السحر، أعظم من نكالك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله.

٢٠٥٩. تفيد أن الأعمال بالخواتيم، فلا يغتر المسلم بعمله، وإنما يسأل الله حسن الختام، يفيده دعاؤهم ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾.

٢٠٦٠. يعلموننا فن الدعاء ﴿أَفۡرِغۡ﴾فعظم المصاب المقبلين عليه يستوجب صبرا يُصب صباً.

٢٠٦١. تفيد أهمية الدعاء بالوفاة على الإســـلام؛ ومما يؤكد هذا ورود مثل هذا الدعاء على ألسنة الأنبياء كقول يوسف عليه السلام ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، والوفاة على الإسلام هي وصية الله لخلقه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

٢٠٦٢. فيها ضرر بطانة السوء على الحاكم؛ فقد سعى الملأ في تحريض فرعون على موسى عليه السلام وقومه ليفتك بهم.

٢٠٦٣. تفيد أن الكفر والشرك يفسد المفاهيم والتصورات والعقول فيرى الإنسان الحق باطلا والفساد إصلاحا؛ لقولهم: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾.

٢٠٦٤. المرء على دين خليله، فبطانة فرعون من شـــاكلته زينوا له ســـوء عمله فأعانوه على التقتيل فهم شـــركاؤه في الوزر، فقد عمي الله بصـــيرتهم، فلم يهتدوا بالآيات مفهومها: أنه يجب على البطانة، أن يوصوا السلطان بالمصلحين والدعاة إلى الله خيرا؛ وإلا تشبهوا بحاشية فرعون. ووجهه: أن الآية خرجت مخرج الذم لبطانة فرعون.

٢٠٦٥. تفيد: أن الله يظهر كذب الســلطان على لســان حاشــيته؛ لقوله: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ مع أن فرعون زعم قائلا ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

٢٠٦٦. فيها: خطر التحريض، وأنه سبب في الشر والإفساد وإزهاق الأنفس البريئة.

٢٠٦٧. تفيد أن موضـــوع العبودية والتأله فطري في الإنســـان حتى من يدعي الألوهية يبحث عن آلهة.

٢٠٦٨. تفيد أن اتهام أهل الصلاح بالفساد والتخريب أمر قديم، وهو نوع من التلبيس وتغير الحقائق.

٢٠٦٩. تفيد أثر الملأ الذين يكونون حول الحاكم في قرارته وتصوراته.

٢٠٧٠. تفيد أن الدعاوي لا تغير في الحقائق شيئا.

٢٠٧١. تفيد أن فرعون ومن معه من قومه عجزوا عن رد الحق الذي جاء به موسى عليه السلام؛ ولم يقابلوا حجته بحجة مثلها؛ بل لجئوا إلى القتل والتهديد؛ وهذه هي سنة المستكبرين المستبدين الظلمة في الأرض.

٢٠٧٢. تفيد أن البطانات الفاسدة ترى أن إيمان الناس وتدينهم لله هو فساد في الأرض تجب مواجهته؛ وتزين للحاكم ضرورة الحيلولة دون وقوع هذا الفساد.

٢٠٧٣. فيها: صورة من صور إسراف الكافر؛ وهو الإسراف في القتل (الإبادة الجماعية)؛ لقوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾. وما دخل الأبناء بهذا أصلا، وقد وصف القرآن ذلك وصفا دقيقا؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

٢٠٧٤. تفيد أن فرعون كان مجرما حقا، ويصنف اليوم بمجرم حرب ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فما ذنب الأبناء ﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ وما ذنب النساء.

٢٠٧٥. تفيد أن قتل الأطفال سنة فرعون في الأرض.

٢٠٧٦. تفيد قسوة قلب فرعون ومدى الفساد الذي وصل إليه؛ لأنه يعمل بعقلية الابادة الجماعية.. لأن الذين آمنوا سيقتلون ويصلبون، وهؤلاء سوف يلحقون بهم.

٢٠٧٧. تفيد مدى الغرور والتكبر الذي كان عليه فرعون وقومه ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ تحقرا لأمرهم وإظهارا لفضلهم وعلوهم..

٢٠٧٨. تفيد أن فكرة الطبقية في المجتمع نظام فرعون كذلك سنه الله في الأرض ﴿فَوْقَهُمْ﴾.

٢٠٧٩. تفيد مع ما قبلها أن فرعون قد فقد شيئا عظيما من جبروته ورهبوته التي كان عليها قبل هزيمته من موسى عليه السلام وإيمان السحرة برب العالمين رب موسى وهارون؛ ويظهر للمتأمل والمتدبر أن الملأ من قوم فرعون أصبحوا قلقين من الوضع الجديد الذي أصبحت عليها

البلاد؛ وقد تنبأ بهذا الوضع من قبل فرعون نفسه حيث قال لهم: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

٢٠٨٠. تفيد أن الله عز وجل قد يسلط اعداءه من الكفرة الظلمة على عباده المؤمنين امتحانا وابتلاء؛ ولهذا فإنه كلما اشتد إيمان العبد اشتد إيذاء أعداء الله له.

٢٠٨١. تفيد خبث أسلوب الملأ من قوم فرعون وتعصبهم؛ بل إنهم كانوا أشد خبثا وتعصبا من فرعون نفسه الذي اكتفى بسن قتل أبناء بني إسرائيل فقط؛ الا أنهم زادوا على ذلك بأن أمروا بقتل أبناء كل من آمن به؛ حيث قالوا: ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.

٢٠٨٢. فيها إشارة إلى: أهمية تربية الأبناء على الإسلام، وكذا تعليم النساء؛ لأنهن يربين ويؤثّرن في الأبناء. ووجهه: أنه توعد بقتل الأبناء، الذين سينشؤون على الدين الحق الذي جاء به موسى؛ وبهذا يزول الكفر وأهله.

٢٠٨٣. تفيد أن فرعون كان مشركا مع ادعائه للربوبية وهذا على قراءة: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾. أي: عبادتك والقراءة منسوبة لابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما

٢٠٨٤. تفيد: أن تحديد النسل، يضعف الأمم؛ لأن الخبيث أراد أن يضعف موسى وقومه، بتقتيل أبناءهم. والزيادة قوة، ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾.

٢٠٨٥. فيها: إشارة إلى: قوة السلطان ونفوذه، وأنه قادر على منع الفساد في الأرض، وهذا مفهوم الآية؛ لقوله: ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، سيما ولم يقل: "أرضنا" – مثلا – قد عدّلت كلمة "محاربة" إلى "منع" لأنه يقدر ولا ريب.

٢٠٨٦. من أولويات وأهداف المسؤول المفسد نزع حياء المرأة وجعلها تختلط بالرجال وتعمل عملهم والتمتع بالنظر إليهن؛ ولذا عبر باستحياء النساء فقال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ ولم يقل بناتهم لإبقاء عنصر الأنوثة للتمتع بهن ونزع حيائهن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

٢٠٨٧. تفيد قرب الداعية من هموم ومشاكل مجتمعه والسعي على إيجاد الحلول لهم في جميع أمورهم.

٢٠٨٨. فيها أهمية ربط الداعية الناس بالتفاؤل وحسن الظن بالله وسنته في نصر المؤمنين ونجاتهم.

٢٠٨٩. دور الداعية عند وقوع المصائب هو التثبيت والربط بالله وحسن الظن به وبث الوعي والتفاؤل لا العويل أو الحزن والشكوى وإثارة الناس مما يبث الفراق والشقاق.

٢٠٩٠. تفيد: أن الأنبياء – عليهم السلام–، أثبت الناس عند المحن.

٢٠٩١. تفيد: وجوب الاستعانة بالله وحده لا شريك له.

٢٠٩٢. في الآية الكريمة إشارة إلى غرس الثقة التامة بالله في نفس الداعية اقتداء بالأنبياء وأولي العزم منهم، فالداعية يربي نفسه على ذلك ويربي غيره عند وقوع الفتن والمحن.

٢٠٩٣. تفيد: أن أتباع الرسل مبتلون.

٢٠٩٤. تفيد أن الاستعانة بالله والصبر من أسباب خلافة الأرض.

٢٠٩٥. تفيد أن الله ناصر المظلومين مهما طال امد الظلم، والنصر مع الصبر، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ ويؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء

٢٠٩٦. فيها: إشارة إلى استخلاف الله بني إسرائيل، وهلاك فرعون؛ وقد كان؛ وكما قال: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾. وتصديقه: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ .

٢٠٩٧. تفيد: أن الصبر في ذاته نصر على الأعداء؛ وبدليل تذييلها بقوله: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾. ولأن الجزع يفضي إلى الاستسلام. ووجهه: أن موسى لم يأمر قومه بشيء لمواجهة ما توعد

به فرعون، بشيء غير الصبر؛ بعد الاستعانة بالله، وعليه: فالصبر سبب من الأسباب التي أمر الله بها. فانتبه لهذا يرعاك الله.

٢٠٩٨. تفيد: أهمية التقوى في دفع البلاء.

٢٠٩٩. حكمة الداعية وحسن تدبيره، فالظرف الآن يستلزم تكريس الجهد للدعوة الداخلية الموجهة من موسى عليه السلام لقومه للوضع الذي فرضه الظرف الراهن. كلمة الفصل وإعلان النصر إنما تحسمه الجولة الأخيرة... ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾

٢١٠٠. ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ تُركت هكذا دونما شرح أو توصيف... ليتخيل المتأمل ما يشاء من عظمها، وهذا طبعاً يتناسب مع عظم مستلزمات التقوى.

٢١٠١. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أنه ليس كل كلام يخرج من الخصم، يلتفت إليه ويرد عليه؛ اللهم إلا أن يفوض الأمر لله ويعتصم به؛ وتصديقه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾. ووجهه: أن فرعون هدد وأوعد وقال مقالته؛ وما كان من موسى - عليه السلام - سوى أن قال: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾؛ ولم يقل - مثلا -: "بل هم الأذلاء"؛ ردا على مقالة فرعون ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾. ولما في الرد من مكابرة؛ لأن الملك والسلطان لفرعون آنذاك.

قال تعالى:﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

٢١٠٢. فيها: سوء أدب بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام، وهذا الخلق متأصل في اليهود عبر التاريخ.

٢١٠٣. تفيد أنه على الإنسان أن يذكر فضل الله عليه، ولا يكون شكراً في الرخاء فقط، فلا يعقل أنهم لم يمروا بخير قط!!

٢١٠٤. قد تأتي الأذية من أقرب الناس إلى الداعية، فعليه بنهج الأنبياء وعدم التضجر من أذية المدعوين ومعرفة مدى جهلهم والحرص على هدايتهم وتعليق نفوسهم بوعد الله تعالى.

٢١٠٥. تفيد أن اتباع الرسل يبتلون ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، قيل للشافعي: أيهما أفضل للمؤمن أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.

٢١٠٦. تفيد بيان قلة وعي بني إسرائيل لفلسفة الحياة وحكمة الوجود؛ والسنة الكونية في التدافع بين الحق والباطل؛ وأسباب النصر والتمكين في الأرض.

٢١٠٧. من علامات الأمة المهزومة كثرت دعاويها وشكاويها في الماضي والحاضر وعلى الداعية التفاؤل بالمستقبل.

٢١٠٨. تفيد أن الاستعانة بالله تعالى هو أول أبواب الفرج في الأمور العامة والخاصة.

٢١٠٩. فيها: أن على الداعية أن يربط الناس بخالقهم حتى تحيا نفوسهم وترتفع معنوياتهم ويعظم أملهم وتقوى عزائمهم.

٢١١٠. فيها: أن على الداعية أن يبشر الناس بوعد الله الصادق وخاصة لمن هم على طريق الهدى والإيمان والتقوى.

٢١١١. فيها: تحضيض على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم.

٢١١٢. فيها: أن من سنة الله عز وجل في هذه الحياة هي اهلاك الظالمين واستخلاف المؤمنين الصابرين الصادقين.

٢١١٣. تفيد: أنه يجب على الداعية، أن يكون رحيما بقومه، ناصحا ومعينا لهم. فمن عجب، أنك تجدا رحيما بالغرباء، غليظا بالأقارب!؛ والصواب أن الرحمة للمسلمين عانة، والأقارب خاصة. والشواهد كثيرة.

٢١١٤. فيها: التفاؤل، وحسن الظن بالله، ومرد الملك وجميع الأمور إليه - سبحانه -؛ لأنه لا يمانع. وألا تراه يقول: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

٢١١٥. فيها تسلية المكروب والخائف، ومن نزلت به نازلة. وهذا دأب الأنبياء والصالحين.

٢١١٦. تفيد: أن الملك والتمكين، ورث من الله؛ وكل ما حقه أن يورث، فهو دول غير باق؛ فعلى من أولاه الله أن يتقي الله ربه فيما أولاه وورّثه؛ وكما قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

٢١١٧. فيها تقديم للبشارة على النذارة.

٢١١٨. تفيد أن من أعظم مقاصد الوجود والحياة هو الابتلاء؛ لقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾.

٢١١٩. اشتداد البلاء مؤذن بقرب هلاك الطغاة وتمكين المؤمنين.

٢١٢٠. تفيد أن أظهر وأوضح موطن يظهر فيه إيمان العبد وخوفه من ربه وقربه منه؛ حين استخلافه وتمكينه من الأرض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

٢١٢١. فيها أن الداعية كما يعد ويبشر ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، ينبه ويحذر ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾..المرحلة التي بعد هلاك الظالم تكون محل الاختبار.

٢١٢٢. أن استخلاف الله عز وجل للصابرين الصادقين إنما هو ابتلاء لهم ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]

٢١٢٣. تفيد مع ما قبلها أن الله عز وجل قد استجاب لدعوة نبيه موسى عليه السلام عندما قال لقومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾ ومن هنا تظهر للمتأمل دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها.

٢١٢٤. تفيد أن من آثار المعاصي حصول الابتلاءات ومنها نقص الأرزاق.

٢١٢٥. تفيد أن القحط والجدب والمجاعات من أشد أنواع العذاب؛ ولذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه ألا يهلك أمته بسنة عامة فأعطاه ذلك كما في صحيح مسلم.

٢١٢٦. تفيد رحمة الله تعالى على العاصين والظلمة؛ حيث لم يهلك فرعون وآله بأول عذاب؛ بل كان سبحانه وتعالى ينوع لهم العذاب ويأتي العذاب تلو العذاب ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾فيسلمون ويؤمنون، ما أعظم رحمة الله تعالى واوسعها وأشملها؛ وقد قال بعد آيات قليلة من هذه الآية ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾.

٢١٢٧. يفيد ظاهر الآية أنه سبحانه وتعالى إنما أنزل على آل فرعون هذه المضار من أجل أن يرجعوا عن طريقة التمرد والعناد إلى الانقياد والعبودية، وذلك لأن أحوال الشدة والبلاء ترقق القلوب وترغب فيما عند الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾.

٢١٢٨. تدل على سعة رحمة الله ولطفه بعباده.

٢١٢٩. تفيد: أن الامتحان، هو الغاية من الاستخلاف في الأرض؛ وكما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

٢١٣٠. تفيد: أن نقص الثمرات وزيادتها بيد الله وحده؛ فعلى العباد أن يستحضروا هذا في أمرهم عامة؛ وإذا شحت أو قلت هذه الخيرات خاصة؛ فيعلموا أنه نذير وإعلام بالرجوع إليه سبحانه.

٢١٣١. تفيد الأمر بالتذكر والاعتبار عند البلاء والمحن، وألا يكون الإنسان كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

٢١٣٢. تفيد أنّ البلاء والمحن من أسباب التذكر والإنابة إلى الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]

٢١٣٣. في الآية لؤم القوم؛ يدل على ذلك تعريف الحسنة وتنكير السيئة. فالحسنة مهما كمُلت وعظُمت فيظنون أنفسهم أهلا لها. والسيئة مهما صغُرت ودقّت فإنها بسبب موسى والمؤمنين معه.

٢١٣٤. تفيد أن التطير والتشاؤم من صفات المشركين والكفار، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الطيرة شرك". وقد وردت جملة من الآيات على لسان الكفار والمنافقين، بتطيرهم بالأنبياء؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٥-٤٧]. وقال عن المنافقين: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

٢١٣٥.

٢١٣٦. فيها أن التطير هو خلل في التفكير والحكم الموضوعي على الظواهر ودراسة أسبابها دراسة موضوعية مبنية على الأسباب والأدلة والبراهين الصحيحة ذات العلاقة المباشرة بالظاهرة.

٢١٣٧. فيها كثرة مجيء الحسنات مقارنة بالإصابة بالسيئات.. يفهم ذلك من ﴿فَإِذَا﴾ و﴿وَإِن﴾

٢١٣٨. وتأملت كذلك في اختلاف التعبيرين بين ﴿جَآءَتْهُمُ﴾ في الحسنة و ﴿تُصِبْهُمْ﴾ في السيئة ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لو تدبرت التقابل البديع في هذه الآية لوقفت خاشعًا لله! انظر كيف عبر في جانب الحسنة بالمجيء! في

حين عبر في جانب السيئة بالإصابة! لأنها تحصل فجأة من غير رغبة ولا ترقب. وفي التعبير عن السيئة بـ﴿تُصِبْهُمْ﴾دقة؛ فالإصابة وحدها توحي بالسوء، فكيف إذا عَدَّى الإصابة بالسيئة فهو ألم فوق ألم. [لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، ص:١١٢].

٢١٣٩. فيها أن الحسنة تطلق على النعم والخير والسيئة تطلق على البلايا والشر، ولشيخ الإسلام ابن تيمية مجلد لطيف اسمه الحسنة والسيئة بيّن فيه هذا المفهوم بيانا شافيا وهو من أجمل ما كتب في هذا الباب.

٢١٤٠. تفيد: أن البلاء قد يطول بالعبد – أعاذنا الله من جهد البلاء –؛ لقوله: ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾.

٢١٤١. تفيد: أن النعم تنسي الإنسان ربه؛ وكما قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

٢١٤٢. تفيد: أن الأنبياء لا دخل لهم ولا عمل لهم في حدوث الخير والشر؛ فكيف بمن دونهم من الأولياء والصالحين الذين يعبدون ويسألون من دون الله؟!؛ قال الله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٢١٤٣. تفيد: ذم التشاؤم، ولا سيما التشاؤم بأهل العلم والفضل. وعلى زعمهم (تطيرهم)، فالرسل وأتباعهم أهل بركة وخير؛ يتفاءل بهم، لا أن يتشاءم بهم – معاذ الله –. وهذا يقودك إلى فضائل الصحابة – رضي الله عنهم –، وما كانوا يصنعونه مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

٢١٤٤. فيها: إشارة إلى: علم الله بالغيب وما يستقبل من خير وشر؛ لقوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يريد: إن ما يتحدثون عنه من خير وشر من الله، وهذا ركن من أركان الإيمان بالقضاء والقدر؛ فالآية تدور بين علم الله وقضائه وقدره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢]

٢١٤٥. في الآية كشف لاضطرابهم وتناقض كلامهم، حيث وصفوا ما جاءهم به بـ ﴿ءَايَةٍ﴾، ثم ادعوا أنه من السحر.

٢١٤٦. فيها فضح لأسلوب من أساليب أعداء الرسل ودعاة الحق، حيث اعتاد أهل الباطل على تشويه المعروف وتسميته بغير اسمه. فسموا الإرشاد إلى الحق: بالسحر وتسحير الأبصار.

٢١٤٧. تفيد التحذير من عدم القطع والجزم بأن الإنسان لن يوفق لأمر بعينه، ولن يعمل به مهما كان وضوحه؛ لأنه إغراق في الحرمان؛ وفي الحديث: أخذنا فألك من فيك". فعلى العبد أن يستعين الله ويعمل بما عرف من الحق. وهذه الآية تدلك على أن القوم قد حرموا التوفيق -أعاذنا الله -؛ ونحوه: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال: ٣٢].

٢١٤٨. تفيد أن سبب معاندة الحق وعدم قبوله والتسليم له ليس لجهل المعاند ولا لعدم وضوح الحق وضعف برهانه وإنما هو العناد والاستكبار والهوى. ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

٢١٤٩. تفيد: وجوب الإذعان للحق، وعدم المكابرة؛ فإن هذا من صفات المكذبين للرسل.

٢١٥٠. تفيد: أن حجج وبراهين الرسل كثيرة متتابعة؛ فلا عذر لأحد قط في مخالفتهم؛ ألا تراه يقول: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

٢١٥١. فيها شبهة الكفار القديمة وهي وصف الآيات بالسحر؛ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾. كأنهم يتواصون عبر القرون والأزمان بهذه الفرية الكاذبة الخاطئة.

٢١٥٢. فيها اجتماعهم على الكفر لقولهم: ﴿نَحْنُ﴾بالجمع؛ ولذلك اهلكهم الله جميعا؛ ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾.

٢١٥٣. فيها: صورة من صور ظلم الإنسان نفسه؛ حيث يسمي ما يكون رحمة له وهداية ودلالة على ربه، بغير ما يجب؛ ألا ترى إلى حديث الجن، وهم يصفون القرآن الذي أنزل الله؛ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]، وغير ذلك مما وصف وسمى الله به آياته التي أيد بها رسله.

٢١٥٤. تفيد: أن أهل الباطل، يطلون كلامهم ويضيفون فيه ما يجعلون له مسوغا وترويجا؛ لقوله: ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾ ولم يكتفوا بوصف هذا الحق بأنه ﴿ءَايَةٍ﴾ فلم يقولوا: "مهما تأتينا بآية فما نحن لك بمؤمنين"؛ ولأنهم لو نطقوا بالحق مجردا، لفتن به الناس – زعموا –.

٢١٥٥. تفيد: أن المخذول من وكله الله لنفسه وهواه ولم يستنقذه بتوفيقه لاتباع الحق؛ وتصديقه: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٢-١٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]

٢١٥٦. وفي الإتيان بالفاء العاطفة في أول الآية دليل على سرعة إصابتهم بالعذاب نتيجة إعراضهم عن دعوة نبيهم موسى عليه السلام.

٢١٥٧. تفيد كثرة جنوده جل وعلا كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

٢١٥٨. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن من لم يقبل ما جاء عن الله بطيب نفس، عاقبه الله وأرغم أنفه. ووجهه: أنهم قالوا – في التي قبلها –: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، فأرغم الله أنوفهم وأذلهم بالآيات المفصلات التي لا تدل على الله فحسب، بل والتي في طياتها العذاب.

٢١٥٩. تفيد مع ما قبلها عدم صحة مقولة (الشر يعم والخير يخص)؛ وبيان ذلك: أن موسى عليه السلام وقومه والمؤمنين من آل فرعون كانوا يعيشون بين ظهراني الكفرة من فرعون وآله؛ وكانت هذه العقوبات الإلهية المتنوعة تصيب الكفرة من آل فرعون وينجو منها المؤمنون بفضل الله تعالى ورحمته؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ...﴾. وفي هذا بيان لقدرة الله تعالى في توجيه العذاب الشديد والعقوبة الأليمة لأشخاص بعينهم وإنجاء آخرين في ذات المكان.

٢١٦٠. تفيد أن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ وله الحكمة البالغة في إظهار هذه الآيات الكثيرة والمعجزات المتعددة على فرعون وقومه بالرغم من مقابلتهم لها بالكفر والجحود والاستكبار.

٢١٦١. تفيد مع ما قبلها أنه ينبغي على العبد المؤمن أن يصبر وينتظر موعود الله تعالى بأن العاقبة للمتقين؛ ولا يستعجل في استئصال وإهلاك الكفرة بأول عذاب ينزل عليهم أو آفة تحيط بهم؛ فآل فرعون تقلبوا في أنواع من العذاب والآيات المفصلات؛ ولله الحكم البالغة في تأخير الانتقام منهم جميعا؛ وهو سبحانه وتعالى لا يخلف وعده؛ ولا يخذل جنده؛ وكلمته نافذة؛ وعلى أعدائه واقعة؛ ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾.

٢١٦٢. تفيد وبضميمة ما قبلها وما بعدها: أنه لا قبل للإنسان بعقاب الله؛ ولأن عذاب الله متنوع؛ فقد يحل بالإنسان مالم يخطر بباله؛ فهل خطر ببالهم يوما أن يسلط عليهم ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾، مع أنهم أرباب سحر؟ وإن من الناس من عاقبه الله بما لم يسمع ولم يره بشر قط – أعاذنا الله. ووجه ما قبلها، أنهم تعنتوا قائلين: ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾. ووجه ما بعدها، أنهم ما تحملوا عذاب الله فاستغاثوا بموسى وسألوه أن يدعو الله لهم؛ كما قال: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]؛ فأين تجلدهم وتعنتهم؟!

٢١٦٣. فيها إظهار لقوة الله وعزته الذي ينتقم ممن استعلى واستكبر وطغى وتجبر، فيوقع عليه أشد العقاب.

٢١٦٤. فيها أن الكفر بآيات الله تعالى وردها من أعظم أنواع الاستكبار والإجرام، وفي الحديث: "الكبر بطر الحق" أي رده. رواه مسلم.

٢١٦٥. تفيد: أنه يجب على العبد أن يخضع ويذل لربه عند نزول البلاء؛ لا أن يتجلد على ربه؛ وإنما يظهر ضعفه ويستعين به على رفع ما نزل به. ولا يغفل عن ربه؛ وكما قال في السابق: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

٢١٦٦. فيها: التأكيد على الإقلاع عن المخالفة ولزوم الاستقامة؛ سيما عند نزول العقوبة أو الاستشعار بها؛ فإن الإصرار عليها عندئذ خطر عظيم؛ ونحوه: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

٢١٦٧. تفيد توغل آل فرعون وتغلغلهم وانغماسهم في الضلالة والخذلان؛ وبعدهم عن السعادة والتوفيق؛ حيث صيغ الخبر عن اجرامهم بصيغة الجملة الاسمية للدلالة على ثبات وصف الإجرام فيهم؛ وتوغلهم وانغماسهم فيه؛ فقال تعالى: ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾.

٢١٦٨. تفيد مع ما قبلها أن الإنسان إذا كون قناعات ومواقف مسبقة في أي أمر من الأمور قبل النظر والتأمل فيها فإنه من الصعوبة بمكان أن يتزحزح عنها؛ حيث قالوا فيما سبق: ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ فجاءتهم الآيات مفصلات؛ ولكن... ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾. وقد قيل: أينما تضع نفسك تجدها؛ أو قل بعبارة أخرى: أنت حيث تضعك أفكارك؛ فضع نفسك في قمم الفلاح والنجاح.

٢١٦٩. تشير إلى: أن العبد، إذا لم يقلع عن المخالفة بنقمة حلت؛ تتابعت عليه نقم الله إلى أن يرجع؛ لقوله: ﴿مُّفَصَّلَٰتٖ﴾. ولو أنهم أنابوا إلى الله من أول آية (نقمة) حلت بهم – وهي:

الطوفان – لما تتابعت الآيات الأخريات، وهي: ﴿وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ﴾. فانتبه لهذا عصمك الله من الآثام.

٢١٧٠. فيها تنبيه لأخذ العبرة والعظة ممن سبق من الأفراد والأمم.

٢١٧١. في تذييل الآية بالجملة الاسمية دليل على أن صفة الإجرام ملازمة لهم، ومستقرة فيهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]

٢١٧٢. فيها إشارة إلى: كمال قدرة الله عز وجل؛ حيث أوقع الرجز عليهم دون موسى – عليه السلام – ومن معه؛ لقوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ﴾ وحدهم فقط ﴿ٱلرِّجۡزُ﴾العذاب.

٢١٧٣. فيها إشارة إلى: سوء أدب القوم وجحودهم؛ لقولهم: ﴿يَٰمُوسَى﴾، ولم يقولوا: "يا نبي الله"؛ وهم يعلمون أنه نبي. ولقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، ولم يقولوا: "ربنا"، وحتى لم يقولوا: "الله". وهذا عين الجحود، أن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله، ومع ذلك يعرض عنه ويكذب بآياته.

قال البقاعي في النظم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾أي: المحْسِنَ إلَيْك، ولَمْ يَسْمَحُوا كِبْرًا وشَماخَةً أنْ يُعَرِّفُوا بِهِ لِيَقُولُوا: رَبَّنا.

٢١٧٤. تفيد أن الكاذب يفضح نفسه بنفسه؛ وعباراته تفضح نواياه المبيتة؛ لقولهم: ﴿يَٰمُوسَى﴾ولم يقولوا يا نبي الله؛ أو يا رسول الله؛ بل قالوا في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾.

٢١٧٥. تفيد أثر الدعاء في رفع البلاء، وأن الكفار يعرفون ذلك ولكنهم يجحدون ويستكبرون.

٢١٧٦. تفيد: أن الكفار يدركون كرامة الأنبياء على ربهم؛ لقوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾. وكما قال – على لسان الخليل –: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾. وقد كان المشركون يخافون من دعاء النبي عليهم – صلى الله عليه وسلم.

٢١٧٧. تفيد: أن الدعاء من أعظم الأسباب التي يجب أن تبذل؛ لقوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا﴾، والكاشف على الحقيقة هو الله، بقرينة ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، لكن لما تسبب موسى – عليه السلام – في الإجابة نسب الكشف إليه. فأنت بالدعاء والتضرع إلى الله تصنع المعجزات ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢١٧٨. تفيد مع ما بعدها أن من لم يعلم الله فيه خيرا لا يوفقه في عباراته؛ ويخذله عن جناب التوحيد؛ حيث نسب آل فرعون كشف الرجز إلى موسى عليه السلام؛ وهو عبد مرسل لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا؛ ولو علم الله فيهم خيرا لوفقهم للعبارة الصحيحة: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ﴾.

٢١٧٩. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أنه لا ينبغي للعبد أن يشترط على نفسه عند الطلب؛ فليس عليه إلا العزم وصدق النية؛ فإن تم مراده فليفعل ما أوجب الله عليه؛ وشكرا لله على ما أنعم وأولى؛ ونحوه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦]. ولذا كره الإسلام النذر.

٢١٨٠. تفيد: أن الأنبياء لا يريدون بدعوتهم مصلحة لأنفسهم؛ وإنما يريدون وجه الله، ثم ما ينفع أممهم ويصلحهم؛ وهذا ما تقرر في نفوس المعاندين للرسل وإن تلفظوا بغيره؛ لقولهم: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ولم يقولوا: "ولنعطك كذا وكذا، إن أنت كشفت عنا".

٢١٨١. تفيد: أن الإيمان، لا معاوضة فيه، ولا يشترط عليه؛ وإنما يجب الإتيان به دون قيود أو شروط.

٢١٨٢. فيها إشارة إلى: نفوذ وقوة السلطان وحاشيته؛ وتأمل قوله: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وكدوا ذلك بلام القسم، ونون التوكيد الثقيلة. فانظر كيف يتحكمون في الناس!؛ وعليه: فإن صلاح الناس وفسادهم يكون بسببهم؛ وفي البخاري مرفوعا: "فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين".

٢١٨٣. لعل فيها: تهكم بفرعون وآله؛ أما عن فرعون: فلأنه ادعى الألوهية وأنه الرب الأعلى فلم يستطع أن يكشف عنهم العذاب. وبآله: لأنهم أقروه على ادعائه ومع ذلك لم يذهبوا إليه، وإنما ذهبوا إلى موسى ليطلب من ربه الذي هو أقوى من فرعون! ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ وبدليل ما بعدها؛ لأنها وحدها ليست كافية على عدم صدقهم.

٢١٨٤. تفيد مع ما قبلها أن المجرمين يستغلون طيبة المصلحين ورأفتهم وحبهم للخير؛ في الوصول إلى أغراضهم الدنيئة.

٢١٨٥. تفيد أن من أبرز علامات الفاشل أن يؤخر عمل اليوم إلى الغد؛ بالرغم من عدم وجود معوقات لتنفيذ المطلوب.

٢١٨٦. تفيد مع ما بعدها أنه ينبغي للمرء ألا يعطي أو يقطع وعودا في أوقات الضرورات الملحة والأزمات الملمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]

٢١٨٧. تفيد تعظيم الباري جل وعلا وأنه الذي يكشف الضر والعذاب وحده.

٢١٨٨. تفيد أن الله عز وجل يمهل ولا يهمل؛ فقوله: ﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ﴾ إمهال لهم، وقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ يبين أنه لا يهملهم وسيعاقبهم عقوبة بليغة تجعلهم عبرة وآية للآخرين.

٢١٨٩. فيها إشارة الى أن العذاب ليس غاية وإنما هو تهذيب وتأديب ومجازاة ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾.

٢١٩٠. تفيد أن الله يختبر ويبتلي عباده بالسراء والضراء ليظهر الصادق من الكاذب.

٢١٩١. فيها تأكيد على رحمة الله بعباده؛ فرحمته تجلت بإمهاله المذنبين؛ لعلهم يتذكرون.

٢١٩٢. فيها أن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، حتى ينتقم منه اشد انتقام.

٢١٩٣. تفيد مع ما قبلها بإشارة لطيفة إلى أنه ينبغي للداعية تصحيح المفاهيم المغلوطة عند العوام والجهلة بالحكمة ودون المواجهة والتصادم معهم؛ فإن آل فرعون نسبوا الكشف إلى

موسى ﴿لَئِن كَشَفۡتَ﴾ والله عز وجل صحح هذا المفهوم الخاطئ بنسبته إلى ذاته الشريفة العظيمة؛ ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾.

٢١٩٤. فعل (كشف) وما تصرف منه يشعر بكمال الرحمة الربانية وبعظيم قدرة الله وحده.

٢١٩٥. تفيد وبضميمة ما قبلها: وجوب الوفاء بالعهد.

٢١٩٦. تفيد: أن كل شيء عنده بأجل مسمى.

٢١٩٧. فيها: إشارة إلى علم الله، والقضاء والقدر.

٢١٩٨. تفيد أن من صفات الكافرين نكث العهود والمواثيق التي بينهم وبين الله ومن باب أولى التي تكون بينهم وبين الناس.

٢١٩٩. فيها إظهار لعدل الله تعالى الذي يقيم على عباده الحجة تلو الحجة، قبل أن يجازيهم بأعمالهم.

٢٢٠٠. تفيد فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد؛ لهذا ينبغي للداعية أن يتقن فقه الموازنات؛ وفهم الواقع الدعوي؛ ولا تأخذه العواطف والمشاعر في اتخاذ القرارات.

٢٢٠١. تفيد أن التقلبات بين الضراء والسراء تكشف عن معادن الرجال؛ ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾.

٢٢٠٢. تفيد مع ما بعدها أن الله عز وجل ينتقم لأوليائه من أعدائهم؛ إذا نكث الاعداء بعهودهم ومواثيقهم ولم يحافظوا عليها؛ لقوله: ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾. وبرهان ذلك أيضا: أن هذا ما حصل مع كفار قريش عندما لم يحافظوا على العهد الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكانت هذه قاصمة الظهر؛ فانتقم الله عز وجل منهم بأن فتح لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة؛ وأنزل هزيمة ساحقة بكفار قريش في عقر دارهم. وعلى هذا؛ فإن من أسرع ما يعجل الله العقوبة على العبد نقضه للعهود والمواثيق وعدم المحافظة عليها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]

٢٢٠٣. تفيد أنّ البحر وغيره مما في الأرض أو السماء جند من جند الله إذا شاء الله أن يسلطه على أحد أو يعاقب به أحدا فعل ولا راد لأمره سبحانه.

٢٢٠٤. فيها إشارة إلى: التحذير من مكر الله؛ فإذا التمس العبد وأحس النجاة، فلا يمرح فيها عريضة غير مبال بما عاهد عليه الله من قبل ولا يبطر نعمة العافية؛ ولكن يجب عليه أن يثبت على الاستقامة وعلى ما عاهد عليه الله؛ وإلا كم قال بعدها: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾.

٢٢٠٥. تفيد أن الإغراق نوع من الانتقام، والسبب الإجرام الذي تقدم؛ ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾وقال هنا: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾.

٢٢٠٦. تفيد التحذير من التكذيب بالآيات، والغفلة عن البينات.

٢٢٠٧. تفيد: أن الرسل ليس عليها إلا البلاغ وأن العذاب والمؤاخذة بيد الله وحده؛ لقوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾؛ ولم يتعرض لذكر موسى - عليه السلام - لأنه مبلغ فحسب؛ ألا تراه يقول: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٢٧-١٢٨].وكما قال:﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الشعراء: ١١٢-١١٥]، وقال:﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [الشورى: ٤٨].

٢٢٠٨. تفيد، وبضميمة ما قبلها: الحديث الذي فيه: "إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته". رواه البخاري.

٢٢٠٩. تفيد بشارة للمظلومين والمضطهدين وإثلاجا لصدورهم وبعث الأمل في نفوسهم وإحسان الظن بربهم؛ إذ يوجد لهم رب سينتقم لهم وسيعيد لهم حقوقهم من الظلمة والمجرمين إن عاجلا أو آجلا.

٢٢١٠. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الله لا يؤخر العذاب عن أحد إلا بأجل؛ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لقوله – قبلها: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾ وتصديقه: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾[هود: ١٠٤].

٢٢١١. تفيد تهديدا للظلمة والمجرمين؛ وتخويفا لهم؛ وتنغيصا لمعيشتهم إذ يظلون طوال حياتهم مترقبين منتظرين انتقام الله تعالى.

٢٢١٢. تفيد تحقيقا لوعد الله تعالى الأزلي؛ وسنته في الكون بنصرة عباده المؤمنين؛ قال: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢٢١٣. تفيد بيان قدرة الله في تصريف هذا الكون وتدبيره؛ وجعل ما هو من أسس ومقومات الحياة؛ سبيلا وطريقا للموت والدمار والخراب. لقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾.

٢٢١٤. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن عذاب الله له موجبات، وأن الله لا يأخذ أحدا إلا بجريرة.

٢٢١٥. تفيد قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٢٢١٦. تفيد كمال عدل الله سبحانه وتعالى، وهذه الهداية منتزعة من الباء الدالة على السببية في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾. وتصديقه: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١]، وقوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢-١٣].

٢٢١٧. تفيد خطورة داء الغفلة ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ولذلك حذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم منها وحاشاه بأبي وأمي ونفسي من ذلك ﴿...وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾.

٢٢١٨. الاستسلام التام لأوامر الله تبارك وتعالى، وعدم معارضة الرسل عليهم السلام، دليل على صدق الإيمان، ونجاة وعصمة من الغفلة.

٢٢١٩. فيها تحذير ووعيد للذين هم في غفلتهم معرضون.

٢٢٢٠. تفيد: أن من شؤم المعصية، تجر بعضها بعضا؛ لقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ فغفلوا بسبب التكذيب. وعليه: فلا يضل الله أحدا إلا بعدله؛ كما قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٢٢١. تفيد قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

٢٢٢٢. تفيد: أن هلاك الأمم، بسبب مخالفتهم للرسل وما جاؤوا به من عند الله.

٢٢٢٣. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن المعاصي، سبب في الهلاك وزوال النعم؛ لقوله: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. ولقوله – بعدها –: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾. والشواهد مستفيضة.

٢٢٢٤. تفيد مع ما بعدها بيان سنة الله تعالى في أن مصائب قوم عند قوم فوائد؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾.

قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

٢٢٢٥. تفيد الآية أن لله سننا في نصر أوليائه المستضعفين بصبرهم وعقاب الكافرين بطغيانهم.

٢٢٢٦. تفيد عدم اليأس مع الضعف، وأن العاقبة لأهل الإيمان مع الصبر؛ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

٢٢٢٧. فيها أن البركة من الله عز وجل وحده؛ وفي الحديث: "والبركة من الله" متفق عليه.

٢٢٢٨. تفيد أن بلاد الشام بلاد مباركة؛ لقوله: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾. وتصديقه: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾، وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾. وفي الحديث: "اللهم بارك لنا في شامنا" رواه البخاري.

٢٢٢٩. فيها التأكيد على أن الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

٢٢٣٠. تفيد أن الله عز وجل كريم إذا أعطى أدهش؛ ولا حدود لعطائه؛ لقوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾. ولم يقل: ﴿مَشۡرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغۡرِبَهَا﴾.

٢٢٣١. فيها: تصديق الله لأوليائه، ومن أحسنوا فيه الظن؛ لما سبق من حكاية الله عن نبيه موسى - عليه السلام -: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

٢٢٣٢. تفيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

٢٢٣٣. فيها: بيان عظيم قدرة الله؛ لقوله: ﴿وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾.

٢٢٣٤. تفيد: أن فرعون وقومه، كانوا مسرفين في الزينة والبناء والتشييد؛ لقوله: ﴿مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾. وكما قال: ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾، قيل: ملاعب كان يلعب له تحتها. وقد وصفه الله بالسرف في غير ما آية؛ كما قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

٢٢٣٥. تفيد مع قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾. أن الله عز وجل إذا أراد أمرا هيأ له أسبابه؛ وأزال عواقبه وعوائقه وأتمه؛ ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾.

٢٢٣٦. يفيد العدول عن تسمية بني إسرائيل بتعريفهم بِطَرِيقِ المَوْصُولِيَّةِ نكْتَتَيْنِ: أُولاهُما الإيماءُ إلى عِلَّةِ الخَبَرِ، أيْ أنَّ اللَّهَ مَلَّكَهُمُ الأرْضَ وجَعَلَهم أُمَّةً حاكِمَةً جَزاءً لَهم عَلى ما صَبَرُوا عَلى الِاسْتِعْبادِ، غَيْرَةً مِنَ اللَّهِ عَلى عَبِيدِهِ. الثّانِيَةُ: التَّعْرِيضُ بِبِشارَةِ المُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بِأنَّهم سَتَكُونُ

لَهم عاقِبَةُ السُّــلْطانِ كَما كانَتْ لِبَنِي إسْــرائِيلَ، جَزاءً عَلى صَــبْرِهِمْ عَلى الأذى في اللَّهِ، ونِذارَةُ المـُشْرِكِينَ بِزَوالِ سُلْطانِ دِينِهِمْ. ذكره ابن عاشور.

٢٢٣٧. تفيد: قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾.

٢٢٣٨. فيها بركة أرض الشــام حيث سماها الله الأرض فخصــها بالذكر والتعريف وهي مهد الرســالات وموطن كثير من الأنبياء؛ ولأن الله كتب أن كثيرا من الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه الســلام وبالأخص بنو إسـرائيل قدّر الله لهم العودة لأرضـهم الشـام بعد ان تركوها لمصـر لأجل يوسف عليه السلام وإذا اراد الله شيئا هيأ أسبابه

٢٢٣٩. فيها: أهمية الصبر في نيل المراد، وانتظار الفرج من الله وحده. قال الله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾.

٢٢٤٠. تفيد: أن بالصـــبر تنال الإمامة ويتحقق الفرج؛ كما قال ابن تيمية – رحمه الله –: "فبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين"؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ وتصـــديقه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

٢٢٤١. تفيد: أن رحمة الله، لها موجبات؛ لقوله: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾.

٢٢٤٢. تفيد: أن الصبر، حسن العاقبة.

٢٢٤٣. تفيد: أن الله، يهلك الظالمين وأعوانهم؛ لقوله: ﴿وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ﴾.

٢٢٤٤. تفيد: أن القرآن مثاني؛ ومن هذا، أنه يثني الحديث عما فعل الله وأثاب به المؤمنين، وعما أحل وعاقب به الكافرين؛ لقوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾، وقوله: ﴿وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]

٢٢٤٥. تفيد: أن كل شيء مؤتمر بأمر الله وحده؛ فلو لم يأذن الله في عبور بني إسرائيل البحر لما عبروا قط؛ ولكنه سبحانه نسب هذا التجاوز إليه، ولم يقل: وجاوز بنو إسرائيل البحر؛ لكنه قال: ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ بقدرتنا نحن وسلطاننا على البحر؛ ألا تراه يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ولهذه النكتة - والله أعلم -، لم يصرح بضرب موسى؛ كما صرح به في آية أخرى؛ أعني قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

٢٢٤٦. تفيد: أن الأنبياء لا يقدرون على خارق عادة إلا بإذن الله؛ فما الظن بمن دونهم من الأولياء والصالحين؟! ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

٢٢٤٧. تفيد: أن الشرك، أعظم طرق الكفران؛لأنه أنجاهم وجاوز بهم البحر، وإذ بهم يقولون: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾! ولك أن تقول: وبضميمة ما قبلها.

٢٢٤٨. فيها أن العكوف والاعتكاف عبادة لا تكون إلا لله رب العالمين؛ قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ وصرفه لغير الله شرك كالعكوف على الأصنام والمشاهد والاضرحة، قال إبراهيم عليه السلام ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ وفي آية اليوم: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾.

٢٢٤٩. في نسبة الأصنام لهم: ﴿أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ تسفيه لعقولهم؛ فالأصنام لهم يملكونها ويصنعونها ثم يعبدونها؛ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

٢٢٥٠. تفيد أن من أبشع أنواع الجهل التقليد الأعمى للغير بدون النظر في دلائل ما يفعل ولا عواقبه.

٢٢٥١. تفيد أن من شب على شيء شاب عليه؛ ومن تعود على الاستعباد والعبودية اشتاق إليها؛ وإن كان حرا طليقا؛ فموسى عليه السلام أخرج قومه من ذل عبودية المخلوق إلى عز

الطاعة للخالق جل جلاله؛ إلا أنهم رفضوا هذه العزة والحرية واشتاقوا إلى ذلة العبودية للمخلوق؛ ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

٢٢٥٢. تفيد: أن الشرك بالله، جهل محض.

٢٢٥٣. فيها: تحقير للأصنام، وأنها مخلوقة؛ لقوله: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ ولذا قال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]. كما أن فيها تحقير لعقول المشركين؛ كما قال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

٢٢٥٤. فيها إشارة إلى فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ لأنهم ما كانوا ينادون رسول الله صلى الله عليه باسمه مجردا؛ فلم يكونوا ينادونه "يا محمد"، ولكن "يا نبي الله – يا رسول الله"؛ بخلاف هؤلاء لما قالوا: ﴿يَٰمُوسَى﴾.

٢٢٥٥. فيها الفتنة العظيمة بالأصنام عبر التاريخ؛ فهؤلاء بعد ما رأوا من الآيات الباهرات فتنوا بالأصنام، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.

٢٢٥٦. فيها تسلية للنبي ﷺ والدعاة من بعده في الصبر على المدعوين ومعرفة أحول بعضهم. وكما قال موسى لنبينا محمد عليهما السلام: إني قد جربت الأمم قبلك فهنا بنو إسرائيل للتو نجو ورأوا آيات التوحيد أمام أعينهم وقدرة الخالق الخارقة ومع ذلك يطلبون ان يعبدوا أصناما من دون الله.

٢٢٥٧. تفيد أن الشرك أكثره في الألوهية لقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، ولم يقولوا: اجعل لنا ربا؛ لأنهم يعلمون أن الرب الخالق الرازق المدبر هو الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إيمانهم بالله: أنهم إذا سئلوا: من خلقكم من رزقكم؟ قالوا: الله. وهم مشركون. وقال تعالى عن مشركي العرب: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم

﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لكنهم أشـــركوا به في الألوهية والعبادة؛ ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾.

٢٢٥٨. تفيد وبضميمة ما بعدها: أن الشرك سبب في الهلاك والخسار؛ بل أعظم الأسباب على الإطلاق؛ لقوله بعدها: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، أي: إن هؤلاء المقيمين على عبادة أصنامهم متبر، أي: مهلَك ما هم فيه من عبادة غيره، وباطل جميع ما كانوا يعملون من طاعة لإشراكهم في العبادة مع الله غيره.

٢٢٥٩. تفيد التحذير من الجهل والحث على العلم خصـــوصـــا علم التوحيد لأن الجهل به يؤدي الوقوع في ما ينافيه وهو الشـــرك، ويكفي دليلا على ذلك: أول شـــرك وقع في الأرض بسبب الغلو في الصالحين؛ قال ابن عباس: فلما مات اولئك وتنسخ العلم (وفي رواية: ونسي العلم) عبدوهم من دون الله يعني عبدوا هؤلاء الصالحين.. فوقع الشرك بسبب الجهل ونسيان العلم.

٢٢٦٠. فيها تشديد القول على من وقع في الشرك؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ولقول النبي ﷺ للذين قالوا وهم حدثاء عهد بكفر: اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ "الله أكبر إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموســـى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. لتتبعن ســـنن من كان قبلكم" رواه الترمذي.

٢٢٦١. فيها إشارة إلى استمرار جهلهم وإصرارهم عليه كما وقع في حوادث أخرى ولذلك عبر عنه بالمضارع: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٩]

٢٢٦٢. فيها: أن الأتباع والمتبوعين، سـواء في أصـل العذاب؛ كما اشـتركوا في أصـل الكفر والإجرام.

٢٢٦٣. تفيد، وبضميمة ما قبلها: التحذير من أن يكون العبد رأسا في الشر؛ كما أنه لا يكون تابعا له.

٢٢٦٤. فيها اعتراف المضلين باستحقاق الضالين للعذاب.

٢٢٦٥. تفيد: أن المتبوعين والمستضعفين من هؤلاء، لا عذر لهم في إتباع الأسياد؛ بل لهم رغبة في الكفر بالله وعصيانه؛ ولو أنهم أرادوا الله ورسوله والدار الآخرة، لاتبعوا الحق واعتزلوا الباطل كما فعل المستضعفون من المؤمنين قديما وحديثا، فالحامل على كفرهم وصدهم عن دين الله، هو حبهم ورغبتهم في هذا، وليس سلطان المتبوعين كما كانوا يزعمون؛ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [الصافات: ٣٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]

٢٢٦٦. فيها غيرة الرسل والأنبياء على التوحيد وشدة إنكارهم على من خالفه.

٢٢٦٧. تفيد: وجوب تعبيد الناس لله وحده، وألا يطلب لهم معبودا سواه؛ لقوله: ﴿أَبْغِيكُمْ﴾ فمن طلب للناس معبودا من دون الله فهو طاغوت؛ كما كان من عمرو بن لحي؛ حيث أنه أدخل الأصنام لتعبد من دون الله بالجزيرة العربية.

٢٢٦٨. تفيد: التوبيخ والإنكار على من دعا إلى المنكر أو تفوه به، والذي أعظمه الشرك والكفر؛ لقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾، والاستفهام للإنكار والتوبيخ؛ ونظيره: إنكار النبي – صلى الله عليه وسلم – على الذي قال: ما شاء الله وشئت، بقوله: أجعلتني لله ندا؟!، قل: ما شاء الله وحده". قال القاسمي في المحاسن: والِاسْتِفْهامُ في الآيَةِ لِلْإنْكارِ والتَّعَجُّبِ والتَّوْبِيخِ

٢٢٦٩. فيها تذكير المدعوين بنعم الله عز وجل عليهم ليعبدوا ربهم ويشكروه؛ لقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني العالمين في زمانهم.

٢٢٧٠. تفيد: أن الله يفضل الأمم بعضهما على بعض، وأن الله يفضل من يشاء على من يشاء، وأن الشأن أن يفضلك الله، لا غيره؛ لقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٢٧١. فيها أن الأمم متفاضلة عند الله عز وجل؛ لقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾وأفضل الأمم على الإطلاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

٢٢٧٢. تفيد قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾!؛ لقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وفي الحديث الإلهي يقول الله للكافر: ألم أكرمك؟ ألم أسودك؟، ألم أزوجك؟، ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأتركك ترأس وتربع؟..

٢٢٧٣. تفيد أنه لا يلزم من تفضيل بني إسرائيل على العالمين تفضيلهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقول موسى عليه السلام لهم في آية أخرى: ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، لا يلزم منه التفضيل المطلق؛ وذلك لأن التفضيل من وجه لا يستلزم التفضيل من جميع الوجوه، فإنه قد يكون للمفضول ما ليس للفاضل.

٢٢٧٤. تفيد أن الإله ليس شيئا يجعل أو يطلب ويبتغى، بل هو الذي يكون قادرا على الإعطاء والإنعام، لقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

٢٢٧٥. تفيد مع ما قبلها أنه ينبغي للداعية والمحتسب تنويع الأساليب الدعوية وتكثير الأدلة الشرعية والعقلية؛ لإقناع المدعوين والمحتسب عليهم.

٢٢٧٦. تفيد: أن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –، أولى الناس بالتوحيد؛ لقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فكيف بمن فضلهم على الأولين والآخرين؛ وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وتصديقه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

٢٢٧٧. تفيد مع ما قبلها أن الأمة الفاضلة ليست معصومة؛ وقد تصاب في بعض مراحلها بنكسات خطيرة وعثرات جسيمة.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٤١]

٢٢٧٨. من العادة أنّ أعوان الظالمين أقلّ رحمة من الظالمين أنفسهم؛ فقد جعلت النجاة من آل فرعون ولم تجعل من فرعون مع أنه الآمر بتعذيب بني إسرائيل تنبيهًا على أن هؤلاء المكلفين ببني إسرائيل كانوا يتجاوزون الحد المأمور به في الإعنات على عادة المنفّذين فإنهم أقل رحمة وأضيق نفوسًا من ولاة الأمور... مستفاد من ابن عاشور رحمه الله وهكذا الأعوان في كل زمان مكان فهم علي استعداد لتنفيذ الأوامر، حتى يومنا هذا وقد حكي القرآن عن ملكة سبأ وقد قالوا لها ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ولولا حكمتها ورجاحة عقلها لكانت لهذه والقوة والباس ما لا يحمد عقباه، ودليل رجاحة عقلها وصفها لأفعال الملوك والذي وافق قول رب العالمين ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

٢٢٧٩. تشير إلى: الاستعانة بالله على جور السلطان والخلاص منه؛ لأنه – سبحانه – وحده بيده ذلك؛ لقوله: ﴿أَنجَيْنَاكُم﴾.

٢٢٨٠. فيها: أهمية الذرية، وأنها نعمة من الله محبوبة إلى النفس.

٢٢٨١. فيها كثرة القتل الذي وقع لبني إسرائيل للقراءة المشهورة؛ قال البغوي: قرأ نافع " يقتلون " خفيفة، من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من التقتيل.

٢٢٨٢. في التعبير بقوله﴿نِسَاءَكُمْ﴾ولم يقل (بناتكم) مقابلة ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ هذا هو إبقاء عنصر الأنوثة يتمتع بهن آل فرعون. لذلك لم يقل بنات ولكنه قال نساء. أي أنهم يريدونهن للمتعة وذلك للتنكيل ببني إسرائيل. ولا يقتل رجولة الرجل إلا أنه يرى الفاحشة تصنع في نسائه*تفسير الشعراوي. وقيل : المراد بالاستحياء الإبقاء حيا وليس فعل الفاحشة وهو المعنى المعروف والمشهور عند المفسرين، وكان آل فرعون يتركونهن حيات لأجل الخدمة والله أعلم.

٢٢٨٣. فيها إشارة إلى: أن أفعال الظالمين مهما بلغت، فهي تحت إذن الله وسلطانه وهيمنته؛ لقوله: ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٢٢٨٤. تفيد: أن البلاء يتفاوت؛ فمنه ما هو عظيم ودون ذلك.

٢٢٨٥. فيها: تسلية للمبتلى، بأن الله هو الذي ابتلاه؛ وهذا يحمله على الصبر وعدم الجزع.

٢٢٨٦. تفيد: أن الظالمين، يتفاوتون في الإجرام والظلم.

٢٢٨٧. فيها ما كان عليه آل فرعون من قسوة القلوب والإجرام والهمجية؛ فهذه الأفعال لا تصدر إلا من غلاظ الأكباد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

٢٢٨٨. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ فلما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها. (افاده السعدي)

٢٢٨٩. تفيد أهمية ضرب المواعيد للناس مسبقا؛ للتهيؤ والاستعداد.

٢٢٩٠. تفيد أهمية الوقت والزمن في حياة البشر، وأهمية جدولتهم لمواعيدهم.

٢٢٩١. يفيد ذكر الليالي بدلا من الأيام إشارة لطيفة إلى شرف الليل للعبادة وخلو العبد مع ربه والانقطاع لمناجاته.

٢٢٩٢. تفيد أهمية وجود القائد في حياة الأمة، ووجود نائب له أثناء غيابه وانقطاعه عنهم.

٢٢٩٣. فيها: الوصية بالاستخلاف في أمور الدعوة؛ كمن انشغل عن درس أو خطبة جمعة لعارض، فيستخلف من يخطب مكانه؛ فلا يدع الأمر هملا فيحصل الإشكال.

٢٢٩٤. فيها: الاهتمام بالأخ والنصح له؛ لقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾، ولم يقل: وقال موسى لهارون؛ للإشارة إلى أهمية الأخ والعناية به.

٢٢٩٥. مفهومها: اتباع طريق المصلحين، وعدم معاداتهم.

٢٢٩٦. الإصلاح والإفساد ضدان لا يجتمعان.

٢٢٩٧. تفيد أهمية الوصـــية والذكرى بين الإخوة، مهما كان مقامهم عظيما عند الله تعالى، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، لقول نبي الله موسى عليه السلام لأخيه هارون، -الذي هو أيضا نبي من أنبياء الله وعبد من عباد الله الصالحين- ﴿وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

٢٢٩٨. تفيد أهمية أن يتفطن القائد المربي لما يمكن أن يحصـل أثناء غيبته عن أمته، وأن يغلق الباب على أهل الفسـاد ممن يتحينون الفرصـة لبث الفسـاد والإفسـاد في الأمة، ﴿وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

٢٢٩٩. تفيد أن المصـلح في الأمة سـوف يواجه طرقا عديدة وسـبلا شـتى من المفسـدين وأصحاب المصالح الفاسدة؛ لثنيه عن القيام بالإصلاحات المهمة والضرورية؛ وبالرغم من ذلك فإن على المصلح أن لا يتقاعس من إتمام إصلاحاته؛ وتقليم أظافر هؤلاء المفسدين؛ ﴿وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

٢٣٠٠. تفيد أن قضـية الإصــلاح يجب أن تكون من أولويات القائد والإمام؛ لكونها أعظم وأبرز التحديات التي سـيواجهها؛ وخصـوصـا في ظل وجود طبقة فاسـدة في المجتمع؛ والتي قد تكون لديها القوة المادية والمعنوية.

٢٣٠١. تفيد أهمية توصـية القائد لمن بعده بالسـير على منهج الصـلاح، وما خوف موسـى عليه السلام من أن يتبع اخوه هاون وهو من هو في النبوة والصلاح سبيل المفسدين؛ الا دليلا وبرهانا واضحا على خطورة هذه الطبقة المفسدة في المجتمع على الحكام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

٢٣٠٢. تفيد، وبضـــميمة ما قبلها: أن الأنبياء أهل دقة وعناية وانضـــباط في المواعيد؛ والتي أعظمها ما بينهم وبين ربهم؛ لقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾، أي: الأجل المضروب والمحدد له.

٢٣٠٣. وتفيد حرص موسى عليه السلام على مناجاة ربه الأعلى، وطمعه في رؤيته.

٢٣٠٤. فيها: تشريف وتكريم لنبي الله موسى عليه السلام؛ لقوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ يشير إلى التمنن عليه. وإن أحدهم ليطير فرحا إذا كلمه سلطان أو وزيره ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٣٠٥. تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

٢٣٠٦. تفيد الرد على الأشاعرة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ يقتضي أن الله هو المكلم، فكما يمتنع أن يقال: هو متكلم بكلام قائم بغيره يمتنع أن يقال كلم بكلام قائم بغيره. (مجموع الفتاوى ٥١٤/١٢)

٢٣٠٧. تفيد عظمة الله سبحانه وتعالى التي لا يفوقها عظمة.

٢٣٠٨. تفيد: أن رؤية الله، مطمع الأنبياء والصالحين، فبعدا لمن أنكرها وجحدها؛ لقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ، قال الحسن البصري: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لتقطعت قلوبهم حسرة.

٢٣٠٩. يفي قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾أي: في الدنيا؛ ففيها: رد على نفاة الرؤية من المعتزلة وغيرهم، الذين زعموا أن الرؤية ممتنعة في الآخرة. والرؤية حق لأهل الجنة، ثابتة ولا مرية فيها، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وإجماع الصحابة - رضي الله عنهم -.

٢٣١٠. تفيد: أن الأصل أنه لا قبل لأحد ولا قدرة لشيء، على تحمل رؤية الله عز وجل؛ إلا ما أذن الله فيه وأخبر عنه؛ كرؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

٢٣١١. تفيد: أن لله حجابا؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وإلا لفني كل شيء يتجلى إليه ربه العالمين؛ وتصديقه، ما رواه مسلم مرفوعا: "حجابه النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه". وتأمل قوله: ﴿لِلْجَبَلِ﴾، فحسب. وإلا لو تجلى لغيره لاندك أيضا.

٢٣١٢. فيها: تنزيه الأنبياء لربهم ومعبودهم؛ لقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾. ونظيره، ما حكاه الله عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾.

٢٣١٣. تفيد: سرعة التوبة إلى الله؛ من الذنب ومما لا ينبغي.

٢٣١٤. فيها: الريادة والمبادرة والمسابقة في الخيرات؛ لقوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. وقد حكى الله عن أنبيائه قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

٢٣١٥. تفيد: أن رحمة المتكلم والمتحدث، تستجلب ما يقوي قلب المستمع على الطلب؛ فإن المستمع لا يجرؤ على الطلب، إذا كان المتحدث فظ القلب غليظا جافيا. وجه ذلك: أن موسى عليه السلام، لو لم يجد رحمة من ربه وأنسا به، ما طلب من الله أن ينظر إليه؛ وتصديق ذلك، ما حكاه الله عما فعل وصنع لنبيه موسى – عليه السلام – في طه والقصص، وغيرها من السور.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]

٢٣١٦. تفيد مع ما قبلها أن الله عز وجل تاب على موسى عليه السلام، فزاده من فضله وإكرامه، وعليه؛ فإن في سؤال العبد التوبة من الله تعالى استدعاء لمزيد فضل الله وإكرامه.

٢٣١٧. فيها: الإيمان بالرسالات.

٢٣١٨. فيها: إثبات صفة الكلام لله.

٢٣١٩. تفيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

٢٣٢٠. فيها: تكريم وتشريف، لعبده وكليمه موسى – عليه السلام.

٢٣٢١. تفيد أن الاصطفاء والاجتباء والاختيار مرده إلى الله تعالى، ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾و﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾.

٢٣٢٢. تفيد أن في نداء الله لعبده موسى ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾فيه تشريف وتكريم له وتسلية له عما أصابه من الصعقة.

٢٣٢٣. تفيد أن الاصطفاء تشريف وتكليف، لقوله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾.

٢٣٢٤. تفيد بإشارة لطيفة أنه ينبغي لمن منع أحدا من أحبته من الإجابة إلى طلبه أن يطيب خاطره ويلفت نظره إلى ما يسليه ويزيل به عنه كربه وهمه.

٢٣٢٥. اصطفاء موسى عليه الصلاة والسلام بالتكليم لا يعني اختصاصه دون غيره به ففي الحديث أن آدم عليه الصلاة والسلام نبي مكلم ومحمد صلى الله عليه وسلم كلمه ربه في ليلة الإسراء والمعراج ولا يبعد أن يكون هناك رسل آخرون اصطفاهم الله سبحانه بالتكليم.

٢٣٢٦. فيها: وجوب قبول ما أنزل الله، وعدم رده؛ لقوله: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾.

٢٣٢٧. تفيد وجوب شكر الله تعالى على آلائه ونعمه، لقوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

٢٣٢٨. تفيد أن أخذ تعاليم الوحي وتطبيقها قولا وفعلا، والاشتغال بشكرها، من أجل وأعظم أعمال المصطفين الأخيار.

٢٣٢٩. فيها الحث على الشكر والدوام عليه؛ لدلالة الجملة الاسمية ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]

٢٣٣٠. لما سبق بيان أن الله تعالى قد اختص موسى عليه السلام بالرسالة، جاء في هذه الآية بيان تفصيل ما جاء في هذه الرسالة.

٢٣٣١. في الآية تنبيه على أهمية الكتابة وتوثيق العلوم، والأمور المهمة.

٢٣٣٢. فيها إظهار لمنة الله على عباده؛ بإرسال الرسل بالرسالات.

٢٣٣٣. فيها: إثبات صفة "الكتابة" لله؛ لقوله: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ﴾. وتصديقه ما في الحديث: "وخط لك بيده"، وفي لفظ: "كتب لك التوراة بيده". رواه مسلم.

٢٣٣٤. تفيد أن كتب الله، مفصلة لا لبس فيها ولا اعوجاج؛ لقوله: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذه في التوراة. ونظيره، ما حكاه عن القرآن: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

٢٣٣٥. تفيد أهمية المواعظ وأثرها في الدعوة؛ لقوله: ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾.

٢٣٣٦. فيها توجيه العلماء إلى تفصيل الأحكام الشرعية وبيانها للناس وحثهم على الأخذ بها بقوة.

٢٣٣٧. تفيد أهمية التفصيل والبيان للشرائع والأحكام؛ لقوله: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. قال السعدي: " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه العباد مَوْعِظَةً ترغب النفوس في أفعال الخير، وترهبهم من أفعال الشر، وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ من الأحكام الشرعية، والعقائد والأخلاق والآداب" .

٢٣٣٨. فيها توجيه للدعاة بأن يتحملوا عبء الدعوة بالعزيمة والحرص على تبليغها، وتحمل المشاق في سبيلها.

٢٣٣٩. فيها وجوب أخذ الدين بجد وعناية، والأمر بذلك؛ لقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

٢٣٤٠. نستفيد منها أن الأنبياء أعظم اجتهادا وأكثر عملا من أقوامهم؛ قال عليه الصلاة والسلام: "مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره" رواه مسلم. وكما كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال: "أنا اخشاكم لله واتقاكم له" متفق عليه.

٢٣٤١. فيها دعوة الغير لما عليه المرء من تمسك بالدين؛ لقوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

٢٣٤٢. فيها: حجة على من يهتم بنفسه والتزامها، ويهجر دعوة الآخرين.

٢٣٤٣. تفيد: أن كل ما أنزله الله، حسن عدل عظيم النفع؛ فلا حجة لأحد قط في تركه والإعراض عنه؛ لقوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾، أي: بحسنها.

٢٣٤٤. فيها توجيه الدعاة إلى العناية بأقوامهم وأهلهم وحثهم على التمسك بالكتاب والسنة؛ لقوله: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾.

٢٣٤٥. فيها الحث على العناية بالواجبات والمستحبات؛ قال السعدي:" وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا وهي الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أحسنها". من هدايات السلف الصالح: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يحلوا حلالها، ويحرموا حرامها، ويتدبروا أمثالها، ويعملوا محكمها، ويقفوا عند متشابها وكان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه، فأمر بما لم يؤمروا به. (معالم التنزيل للبغوي)

٢٣٤٦. فيها دليل على أن أوامر الله – في كل شريعة – كاملة عادلة حسنة.

٢٣٤٧. فيها الحث على النظر والتفكر في مصارع الظالمين ومنازل الفاسقين؛ قال السعدي: "سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ بعد ما أهلكهم الله، وأبقى ديارهم عبرة بعدهم، يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون".

قَالَ تَعَالَى:﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

٢٣٤٨. تفيد أن الكبر يمنع من فهم القرآن الكريم والعياذ بالله؛ قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: أمنع قلوبهم عن فهم القرآن.

٢٣٤٩. الإيمان والطاعة فضل عطاء رباني ومنحة إلهية ؛ولذلك أسباب والأخذ بالأسباب واجب شرعي

٢٣٥٠. فيها أن الكبر والتكذيب والغفلة من أعظم أسباب الحرمان من العلم النافع.

٢٣٥١. تفيد فضل الآيات وعظمها وكثرتها؛ لإضافتها إلى الله عز وجل: ﴿ءَايَٰتِيَ﴾.

٢٣٥٢. تفيد تحريم الكبر والتكبر وأنه من أعظم أسباب الضلال والكفر.

٢٣٥٣. التكذيب بآيات الله المنزلة وآياته الكونية والغفلة عن الله من أسباب الصرف عن الانتفاع بعطاء الله وعظيم نعمه الإيمانية كاتباع سبيل الرشد والانتفاع بآيات الله المنزلة وآياته الكونية

٢٣٥٤. فيها كثرة الحجج والبراهين الدالة على بيان الحق وظهوره؛ فلا عذر لأحد في الإعراض عنه؛ لقوله: ﴿كُلَّ ءَايَةٍ﴾.

٢٣٥٥. تفيد أن الواجب تجاه آيات الله عز وجل هو الإيمان؛ لقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ ، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ وبالمفهوم فإن الإيمان بآيات الله تعالى سبب للهداية. كما أن سبيل الغي واضح غيّه أيضا؛ فلا يسلكه إلا من آثر الباطل على الحق؛ لقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ وتصديقه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾. وتصديقه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

٢٣٥٦. فيها السبب في انحرافهم هذا الانحراف ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها – هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشد ما أوجب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧]

٢٣٥٧. تفيد وجوب الإيمان بآيات الله تعالى، وأن التكذيب بها محبط للأعمال.

٢٣٥٨. فيها: الإيمان بالقيامة، ولقاء الله؛ وما فيه من البعث والحساب والجزاء، وأن التكذيب بذلك محبط للأعمال.

٢٣٥٩. تفيد أن الذنوب والمعاصي تتفاوت درجاتها، وتنقسم إلى محبطة للأعمال وغير محبطة.

٢٣٦٠. تفيد التحذير من الوقوع في الذنوب المحبطة للأعمال.

٢٣٦١. التأمل في الآيات الكونية، والتفكر فيها طريق إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر.

٢٣٦٢. فيها دليل على رؤية الله عز وجل في الآخرة؛ قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية: [أما اللقاء] فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضـــمن رؤيته ســـبحانه وتعالى واحتجوا بآيات [اللقاء] على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية، كالمعتزلة وغيرهم.

٢٣٦٣. فيها فضل الآيات وشرفها وعظمها لإضافتها إلى الله عز وجل.

٢٣٦٤. تفيد أن من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

٢٣٦٥. فيها: المجازاة على الأعمال، وأن الله بالمرصاد؛ لمقابلة قوله: ﴿يُجۡزَوۡنَ﴾ بـــ ﴿يَعۡمَلُونَ﴾، يريد: كلما أحدثوا عملا يجزون عليه.

٢٣٦٦. تفيـد عـدم انتفـاع الكفـار المكـذبين بآيات الله تعـالى ولقـاء الآخرة بالأعمـال التي عملوها في الدنيا، ويشهد لذلك حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: "لاَ يَنْفَعُهُ. إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ".

٢٣٦٧. تفيـد أن الله عز وجـل حكم عـدل؛ ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ لقولـه: ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

٢٣٦٨. تفيد: أن الأعمال، رأس مال الإنسان يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

٢٣٦٩. تفيد: أن من الناس من ينفق ماله النفيس في الكفر والشرك والصد عن دينه؛ لقوله: ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾، وهو من أنفس المال. وتصـــديقه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

a. فيها: أعظم الضلال عبادة من دون الله عز وجل.

٢٣٧٠. فيها إشارة إلى: خطورة غياب العلماء والمصلحين؛ لقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، أي: من بعد غياب موسى - عليه السلام -. وإذا كان هذا من القوم مع أنه غاب لمناجاة ربه، فكيف بمن غابوا قسرا؟!.

٢٣٧١. فيها: بيان ضلال المشرك وأنه أعمى لا يبصر؛ لقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ﴾ ؟!؛ وتصديقه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣].

٢٣٧٢. تفيد مع ما قبلها بيان مدى ما كان عليه بنو إسرائيل من الكبر والإعراض عن طاعة الله تعالى، ولهذا قال تعالى في الآيات التي قبلها ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾. وبدليل ما بعدها: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾، فالمشرك أضل الخلق.

٢٣٧٣. فيها: بيان خطر التماثيل، والنهي عن اتخاذها.

٢٣٧٤. تفيد أن كفر بني إسرائيل كان كفر عناد واستكبار وليس عن جهل، فهم قد اختاروا عبادة العجل بعد مشاهدتهم للآيات البينات، والمعجزات الواضحات، وبعد أن علمهم نبيهم موسى عليه السلام حرمة هذا الأمر وضلال هذه العقيدة، وذلك عندما قالوا له: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

٢٣٧٥. تفيد جواز حذف ما يعلم من السياق، فاتخاذ العجل للذبح والحرث مباح لا يؤاخذ به العبد، ولكن ما فعله بنو إسرائيل هو اتخاذهم العجل إلها من دون الله عز وجل، وفي حذف هذا المعلوم إشارات لطيفة وأسرار دقيقة ولا يزال بحاجة إلى مزيد تأمل وتدبر.

٢٣٧٦. تفيد مع ما قبلها من قول بني إســـرائيل ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾خطورة الأفكار المنحرفة وتناقل العوام لها- وخصوصا تلك التي انبثقت من الواقع المعاصر-، فقد يتلقفه بعض رؤوس أهل الضلال وأصحاب الهوى، ويستغلون ذلك لبث سمومهم وأفكارهم المنحرفة في المجتمع، وذلك لانطلاقهم واستنادهم إلى أرضية خصبة ومهيأة للضلال والهوى فينساق العوام لها، وهذا ما قام به الضال والمضل موسى السامري، حيث رأى الفرصة المواتية والسانحة له بعد ذهاب نبي الله موسى عليه السلام إلى ميقات ربه ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾.

٢٣٧٧. تفيد أن الله تعالى بين للإنسان طريق الخير وطريق الشر... وهو يختار. انتفاء صفات الربوبية والألوهية عن غير الله تعالى. أن الشرك بالله أعظم الظلم.

٢٣٧٨. تفيد إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

٢٣٧٩. تفيد جهل من يقع في الشرك وحماقته لأنه يعبد ما يتخذه بنفسه وما لا يملك له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

٢٣٨٠. فيها التنبيه الى أن من دلائل بطلان الشرك وعبادة المعبودات من دون الله هو ملازمة النقص لها ﴿لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ والعجز عن نفع عابديها ﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ فكيف تعبد من دون الله

٢٣٨١. مفهومها: أن لله صفات الكمال والجلال.

٢٣٨٢. مفهومها: أن الله وحده، هو يهدي الســـبيل؛ لقوله - عن العجل -: ﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ حســـيا كان أو معنويا؛ أما الله وحده، فهو الهادي على الحقيقة؛ قال الله عن نبيه موسى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

٢٣٨٣. تفيد أن الكلام من الكمال وعكسه من النقص؛ لقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾". وجه الدلالة: أنه عاب عليهم اتخاذهم إياه وهو بهذه الأوصاف الناقصة.

٢٣٨٤. تفيد أهمية تعلم العلوم العقلية والنقلية في الرد على أهل الشرك والضلال؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾.

٢٣٨٥. تفيد كفران يهود النعمة. فبدلا من استعمال الحلي فيما هو مباح ولما صنعت له من الزينة استعملوه في معصية الله باتخاذه إلاها يعبد من دون الله.

٢٣٨٦. فيها أن الشرك لظلم عظيم بل هو أظلم الظلم أن تصرف العبادة المستحقة لله وحده إلى غيره سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

٢٣٨٧. تفيد: أن الظلم، وضع الشيء في غير موضعه.

٢٣٨٨. فيها: الاستشهاد بالحجج العقلية على المشركين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]

٢٣٨٩. تفيد أن الشرك والمعاصي سبب للندم والحسرات؛ لقوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه.

٢٣٩٠. تفيد أن الشرك ضلال؛ لقوله: ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾وهو أعظم وأبعد الضلال، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

٢٣٩١. فيها توسلوا بتوسل أبيهم آدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾وهؤلاء قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ففيها أثر هذه الكلمات في قبول التوبة وأنها من التوسلات النافعة المشروعة.

٢٣٩٢. تفيد إثبات صفة الرحمة والمغفرة لله سبحانه وتعالى.

٢٣٩٣. تفيد أنه يجب على العبد -بعد فعل المعاصي والمنكرات- أن يراجع نفسه؛ ويندم على أفعاله؛ ولا يتمادى في غيه وضلاله؛ ويسأل الله الرحمة والمغفرة.

٢٣٩٤. تفيد أن من أعظم أبواب العلم والفهم وقوة البصيرة وتبين الحق من الضلال؛ الندم الشديد على فعل تلك الأعمال التي تورث طمس البصيرة؛ وترين القلوب؛ وتحجب عن طريق الحق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ وهنا يظهر للمتأمل والمتدبر سر تقديم السقوط وهو الندم الشديد على رؤية ضلالتهم؛ حيث لم يقل مثلا: (ولما رأوا أنهم ضلوا سقط في أيديهم).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]

٢٣٩٥. أعظم الغيرة الغيرة على العقيدة والتوحيد.

٢٣٩٦. تفيد أن الغضب الإيجابي النافع هو الغضب لله وفي الله عندما تنتهك حرمات الله وأعظمها التوحيد. وليس الغضب من أجل حظوظ النفس والهوى والدنيا.

٢٣٩٧. فيها: تغير الوجه والغضب في لله، والغيرة على محارمه. والذي أعظمها، الشرك بالله. وفي الصحيحين من حديث عائشة – رضى الله عنها – قالت: "قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترتُ سَهوةً لي بقِرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه، وقال: يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله. متفق عليه.

٢٣٩٨. يؤخذ منها أن على المصلح أن يبادر بمعالجة الخطأ العقدي قبل استفحاله.

٢٣٩٩. تفيد﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أن المستخلف يجب أن يكون على جادة من استخلفه من غير تغيير

٢٤٠٠. تفيد أنه لا ينبغي أن يظهر الإنسان من نفسه ولا من إخوانه المسلمين ما يكون سببا في شماتة الأعداء؛ وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بالله من ذلك.

٢٤٠١. فيها أنه ليس الخبر كالمعاينة فموسـى عليه السـلام لما أخبره ربه بفتنة قومه من بعده وإضلال السامري لهم لم يغضب كغضبه حين رآهم عيانا وقد عبدو العجل فألقى الألواح وأخذ برأس ولحية نبي مثله يجره اليه من شدة غضبه لله

٢٤٠٢. فيها أن الأخطاء اليسـيرة تغتفر في مقابل الحسـنات العظيمة فموسـى عليه السـلام ألقى الألواح وأخذ يجر برأس ولحية نبي مثله...ومع ذلـك لم يزل الله يقربه ويكرمه لما له من المواقف العظيمة في وجه ألد أعداء الله وأشرسهم وهو فرعون

٢٤٠٣. تفيد بشرية الرسل وأنهم يعتريهم ما يعتري البشر من الغضب والحزن.

٢٤٠٤. تفيد دقة العبارة القرآنية حيث قال: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ولم يقل: (رمى الألواح وكسـرها)؛ ومن هنا يظهر بطلان شـبهة من يقولون أن موسـى عليه السـلام أهان كتاب الله تعالى حيث رماه وكسره؛ فمن أين لهم أنه رماه وكسره.

٢٤٠٥. فيها مقام الأخوة وخاصة لأم.. وللإخوة بالأم أحكام خاصة في باب الميراث.

٢٤٠٦. تفيد بيان ما كان عليه هارون عليه السـلام من الرقة ولين الجانب مع الحلم والأناة والحكمة وحسن التصرف؛ وهي كلها صفات يحبها الله تعالى.

٢٤٠٧. فيها الاعتذار، واستعطاف الغضبان الذي غضب بحق، وأما الرد عليه بالعنف، فلا يزيده إلا غضبا.

٢٤٠٨. فيها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره باليد قد يسـقط في حال الضـعف وعدم القدرة والخوف على النفس ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾فيها مسـتند لفقه الموازنات الشرعية.

٢٤٠٩. تفيد أن العاجز عن إنكار المنكر، لا يدخل في جملة أهله؛ ما لم يقر ويتابع؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٢٤١٠. تفيد: أن المشركين، يصبرون على شركهم، ويعادون أولياء الله من أجله؛ وتصديقه: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾. والدليل قوله: ﴿وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾.

٢٤١١. فيها البراءة من الظالمين ومعاداتهم في الله تعالى؛ لقول هارون عليه السلام: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ فقد عدهم من الأعداء لما وقعوا فيه من الشرك.

٢٤١٢. فيها: رخصة لمن خشي على نفسه القتل، أن يستمر في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. وإنما قلت: يستمر؛ لأن هارون أنكر عليهم ولا ريب؛ بدلالة قوله: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾.قال القرطبي – رحمه الله – : " فدلت الآية على أن لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر أن يسكت".

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]

٢٤١٣. تفيد الآية مشروعية الدعاء للنفس وللأقربين ولمن يشارك الداعية هم دعوته.

٢٤١٤. مشروعية الدعاء باسم الرب وهو أكثر دعاء الأنبياء في القرآن.

٢٤١٥. تفيد تقديم الدعاء للنفس عن الدعاء للغير.

٢٤١٦. فيها فضل الدعاء وأنه من سنن الانبياء.

٢٤١٧. فيها الدعاء للإخوان، وفي الحديث: "دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة" رواه مسلم

٢٤١٨. تفيد أن العباد مهما كان مقامهم عند ربهم فهم محتاجون ومفتقرون إلى مغفرة الله ورحمته.

٢٤١٩. تفيد: أن موسى – عليه السلام – رجّاع توّاب إلى ربه؛ وتصديقه: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[القصص: ١٥-١٦].

٢٤٢٠. تفيد أن الأنبياء والرسل لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا؛ وهم محتاجون كغيرهم إلى رحمة الله تعالى.

٢٤٢١. تفيد أهمية الثناء على الله لقبول الدعاء واستجابته؛ ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٢٤٢٢. تفيد أنه ينبغي إذا سألت الله أن تسأله المزيد من فضله وإنعامه في الدنيا والآخرة؛ وسبيل ذلك هو أن تطلب منه أن يدخلك في رحمته لتتوالى وتتتابع عليك بعد ذلك مزيد رحماته وإنعامه؛ وهنا يظهر للمتأمل والمتدبر سر طلب موسى عليه السلام الدخول في رحمة الله تعالى؛ ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾دون قوله: ﴿وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٢٤٢٣. أن رحمة الله واسعة؛ تسع كل شيء؛ لقوله: ﴿وَأَدۡخِلۡنَا﴾.

٢٤٢٤. تفيد: أن الله، أرحم بك من نفسك، ومن غيرك بك؛ لقوله: ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ مهما بلغت رحمته وقرابته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]

٢٤٢٥. عبادة الله تورث رضى الله وعز الدنيا والآخرة، وعبادة غيره تورث غضب الله وذلة الدنيا والآخرة

٢٤٢٦. فيها أن مخالفة أوامر الله وفعل معاصيه سبب الذلّ والصَّغار في الدنيا قبل الآخرة؛ ففي الدنيا بالضلالة والانحراف عن الحق والوقوع فيما يغضب الله، وفي الآخرة بدخول النار.

٢٤٢٧. فيها: جواز حذف ما يعلم؛ لقوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ يريد: "اتخذوا العجل معبودا أو إلها"؛ فلم يعن مجرد اتخاذه، كما تتخذ الأنعام لمنافعها المعروفة.

٢٤٢٨. فيها: حتمية العقوبة في الدنيا قبل الآخرة للمشركين.

٢٤٢٩. فيها: أن الله رب الكافرين وإن أشركوا به؛ لقوله: ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ فالكفار مربوبون لله شاءوا أم أبوا؛ وتصديقه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾. وهذا ظاهر.

٢٤٣٠. تفيد عاقبة عبادة غير الله تعالى، قال سفيان بن عيينة:(ليس في الأرض صاحب بدعة الا وهو يجد ذِلّة تغشاه. وهو في كتاب الله) قالوا: وأين هو في كتاب الله؟ قال:(أما سمعتم قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾) قالوا: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة! قال:(كلا. اتلوا ما بعدها؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾أي: الكذابين المبتدعين، فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة). وعليه: فإيمانهم بالربوبية لا ينفعهم؛ لأنه اجباري واضطراري؛ بخلاف الألوهية.

٢٤٣١. تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وأن على مفسر الآيات التأمل والنظر في سابق الآيات ولاحقها لتتضح له معاني الآيات، فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾معناه: وأصروا على ذلك، لقوله في الآية التي بعدها: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

٢٤٣٢. فيها أن الفتنة بالبقر قديمة، وبقيت إلى اليوم كما في الهند التي يعبد بعض أهلها البقر. الأجمل.

٢٤٣٣. فيها التزهيد في الدنيا بتسميتها ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

٢٤٣٤. فيها التحذير من الذنوب التي توجب غضب الله عز وجل وأعظمها الشرك.

٢٤٣٥. فيها تحريم الافتراء على الله تعالى والابتداع في دينه.

٢٤٣٦. تفيد: أن المفتري يعرض نفسه لغضب الله والذل في الحياة الدنيا؛ لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾. ونظيره: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾.

٢٤٣٧. وتفيد: أن كل مفتر ذليل. قال البقاعي في النظم: ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾أي: المعْتَمِدِينَ لِلْكَذِبِ، وهَذا نَصٌّ في أنَّ كُلَّ مُفْتَرٍ ذَلِيلٌ، كَما هو المشاهَدُ - وإنْ أظْهَرَ الجَراءَةَ بَعْضُهم. من ذلك ما رواه البخاري في قصة سعد بن أبي وقاص، والرجل الذي افترى عليه؛ قال سعد: "أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد

الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن. رواه البخاري.قال السمعاني في تفسيره: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾أي: كل مفتر على الله، ومن الْقَوْل الْمَعْرُوف فِي الْآيَة عَن سُفْيَان بن عُيَيْنَة أنه قَالَ: هَذَا فِي كل مُبْتَدع إِلَى يَوْم الْقِيَامَة.

٢٤٣٨. فيها رد على المنافقين والزنادقة، الذين يفترون على الله وشرعه ليلا ونهارا؛ يبتغون بذلك العزة والرفعة. فنقول لهم: يأبى الله إلا أن يذلكم؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾. ومثلكم كمن قال الله فيهم: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

٢٤٣٩. يفيد تذييل الآية أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

٢٤٤٠. تفيد قبول التوبة ولو بعد زمن طويل مملوء بفعل السيئات. دل عليها قوله تعالى ثم تابوا .

٢٤٤١. فيها ترغيب للعصاة في التوبة وطرد للقنوط من أنفسهم وإن عظمت ذنوبهم وكثرت، دل عليها تأكيد المغفرة والرحمة بإن واللام وصيغتي المبالغة غفور رحيم.

٢٤٤٢. تفيد أن التوبة النصوح تزيد وتقوي من إيمان العبد؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾.

٢٤٤٣. فيها علاقة التوبة بالإيمان، وقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]

٢٤٤٤. تفيد: أنه يجب الاستدراك عند ذهاب الغضب. ولقوله: "وأتبع السيئة الحسنة تمحها".

٢٤٤٥. تفيد أن الدعوة والبيان يحتاج لضبط النفس واسكات الغضب، وسكوت الغضب يدل على أن الغضب يدل على التوقف عن الكلام المعبر عن الغضب. وهذا التوقف تلاه تصرف آخر؛ وهو أخذ الألواح وتقديمها لبني إسرائيل للاهتداء بما فيها.

٢٤٤٦. تفيد أن الأنبياء والرسل يعتريهم ما يعتري جميع البشر من المشاعر النفسية المتقلبة.

٢٤٤٧. تفيد بإشارة لطيفة أهمية التأمل والتدبر والنظر في كتب الله تعالى حال خلو العبد من المشاعر النفسية المؤثرة في الإدراك والفهم؛ والحرص على أخذها وقراءتها بحضور ذهن وإدراك وفهم لما هو موجود فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا...﴾.

٢٤٤٨. فيها تلطف من الله بنبيه موسى – عليه السلام – لقوله؛ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، ولم يقل: "ولما سكت موسى من الغضب – مثلا –. ونحوه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، ولم يقل: "لم أذنت لهم عفا الله عنك".

٢٤٤٩. تفيد أن الغضب من الصفات التي لا تنفك عنها الطبيعة البشرية ومنه ما هو ممدوح، مثل الغضب عند ما تنتهك حرمات الله تعالى، ومنه ما هو مذموم وهذا الذي جاء النهي عنه.

٢٤٥٠. فيها: الخوف من الله وحده؛ لقوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، يريد: لربهم وحده بلا شريك؛ دل عليه التقديم والتأخير.

٢٤٥١. تفيد؛ أن العمل بما في كتب الله، عصمة من الضلال وعلاج لقسوة القلوب. والشاهد كثيرة؛ كما قال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديدة: ١٦]، وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا

﴿ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]... إلخ. وعليه:

٢٤٥٢. تفيد: أن اليهود، أهل ضلال وقسوة؛ لتركهم العمل بالتوراة؛ التي في ﴿نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾. وكذا حال.

٢٤٥٣. فيها: إشارة إلى أهمية نسخ الكتب؛ لقوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾، ولو شاء لقال: "وفيها".

٢٤٥٤. تفيد أن في الكتب المنزلة هدى من الضلال ورحمة من العذاب والشقاء.

٢٤٥٥. تفيد فضل ومنزلة الرهبة من الله تعالى وأثرها في الانتفاع من الوحي المنزل من عنده تعالى.

٢٤٥٦. تفيد أن النسخ والكتابة قديمة في الأمم، وبها يحفظ كلام الله تعالى.

٢٤٥٧. فيها أنه ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين ﴿هُمْ﴾ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتوا ونفورا وتقوم عليه حجة الله فيها. أفاده السعدي

٢٤٥٨. تفيد مفهوم النسخ وهو التكرار، فالألواح نسخ محتواها من أم الكتاب أي تكرر النص المكتوب في أم الكتاب بنص مماثل له في الألواح.

٢٤٥٩. فيها أن كتب الله عز وجل هدى من الضلالة ورحمة من العذاب.

٢٤٦٠. فيها أن الرهبة عبادة لا تكون إلا لله عز وجل وحده؛ قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

٢٤٦١. فيها العناية بكتاب الله تعالى؛ قال السعدي: وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، فـ أَخَذَ الألْوَاحَ التي ألقاها، وهي ألواح عظيمة المقدار، جليلة وَفِي نُسْخَتِهَا أي: مشتملة ومتضمنة هُدًى وَرَحْمَةٌ أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال، والأخلاق، والآداب، ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

٢٤٦٢. فيها: أهمية اصطفاء الأكفاء؛ لا سيما فيما يتعلق بأمور الدين ونصرته؛ لقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ﴾، أي: واصطفى. وقد كان النبي عليه السلام يفعله.

٢٤٦٣. فيها: خوف الأنبياء من ربهم، وأن لهم منزلة لا يتعدونها، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا؛ لقوله: ﴿لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾. وإذا كان هذا في حق الأنبياء والمرسلين، فما الظن بمن دونهم من الأولياء والصالحين؟ ونظير ذلك قوله: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

٢٤٦٤. يفيد أنه ينبغي للمستعطف أن يذكر لمن يستعطفه بجميل صنعه وفضله السابق؛ فذلك أدعى لأن يستنزل منه العطف والرحمة؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾.

٢٤٦٥. فيها: جواز قول: "لو شئت" عند مناجاة الله؛ وكأن يقول: اللهم لك الحمد سترتني، ولو شئت فضحتني كما فصحت غيري - مثلا -، ونحو ذلك. ولا يعد من قبيل المنهي عنه؛ لأنه اخبار وليس طلبا؛ إذ أن المنهي عنه ما كان على سبيل الطلب والدعاء؛ لنهي النبي عن ذلك: "لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت".

٢٤٦٦. فيها رد على القدرية والمعتزلة؛ لقوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾.

٢٤٦٧. تفيد مع ما قبلها أن الاشراك بالله وعبادة غير الله تعالى سفاهة؛ ولا يفعل ذلك إلا السفهاء؛ لقوله: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾.

٢٤٦٨. تفيد أنه لا تخلو المجتمعات الإيمانية من سفهاء يثيرون عليها القلاقل ويحدثون فيها الفتن من الشبهات والشهوات؛ فيجب على أهل الصلاح الحذر من هؤلاء السفهاء؛ والأخذ

بأيديهم؛ فإنهم إن كثروا في الأمة حل بهم البلاء والهلاك؛ ويشهد لهذا (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث).

٢٤٦٩. فيها: الحذر والخوف من الله، بأن يضل العبد؛ وفي الحديث: "اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني" رواه مسلم؛ لقوله: ﴿فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾.

٢٤٧٠. تفيد أنه ينبغي للعبد عند الفتن أن يستعيذ بالله من ضلالها ومضلاتها؛ ويسأل الهداية والرشاد في دينه؛ لقوله: ﴿فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾. ولاحظوا أنه قال: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ وفي جانب الهداية قال: ﴿وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾ ولم يقل: (وتهدي بها من تشاء).

٢٤٧١. تفيد أن العبد مهما كان مقامه عند ربه وعند الناس عظيما فعليه أن لا يأمن مكر الله؛ وأن يكون بين الخوف والرجاء؛ فهؤلاء السبعون ذهبوا لميقات الله تعالى فحصلت لهم الرجفة؛ فكيف بمن يذهبون إلى أماكن يعصى الله فيه؛ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

٢٤٧٢. فيها: الثناء على الله بين يدي الدعاء؛ لقوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾. ونظيره: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٢٤٧٣. تفيد مع ما قبلها أنه ينبغي للعبد عند دعائه لربه وتضرعه وتذلله له أن ينوع في أدعيته وابتهالاته لربه بحسب ما تقتضيه المناسبات؛ قال موسى عليه السلام في دعائه لنفسه ولأخيه ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وقال هنا: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ الِاعْتِرافُ بِالِانْقِطاعِ لِعِبادَةِ اللَّهِ – تَعالى –، تَمْهِيدًا لِمَطْلَبِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ؛ لِأنَّ شَأْنَ الوَلِيِّ أنْ يَرْحَمَ مَوْلاهُ ويَنْصُرَهُ.

٢٤٧٤. فيها التوسل باسم الرب جل وعلا.

٢٤٧٥. تفيد التَّوَقِّي مِن غَضَبِ اللَّهِ، وخَوْفُ بَطْشِهِ، ومَقامُ الرُّسُلِ مِنَ الخَشْيَةِ، ودُعاءُ مُوسى عليه السلام.

٢٤٧٦. تفيد أن الله كثير المغفرة لعباده؛ وعليه: فلا يعمل العبد من الاستغفار والتوبة كلما أحدث ذنبا؛ وفي الحديث: "فإن الله لن يمل، حتى تملوا". لتذييلها بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾، ونظيره: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

٢٤٧٧. تفيد أن افتتح الدعاء بالثناء، واختمه بالثناء؛ فهذا أدعى للإجابة.

٢٤٧٨. فيها ولاية الله عز وجل؛ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا؛ لقوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٢٤٧٩. تفيد: أن الدعاء المذكور من جملة دعوات الأنبياء؛ وتصديق ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس، وفيه: كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

٢٤٨٠. قوله: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا...﴾ فيها: أن المقصود بالحسنة هنا المعنى الشرعي.

٢٤٨١. فيها: رحمة الله في الدنيا عامة للخلق وأما في الآخرة فهي خاصة للمؤمنين.

٢٤٨٢. فيها: الحسنة في الدنيا لغوية للمؤمن والكافر.

٢٤٨٣. الرحمة والعذاب بيد الله وحده.

٢٤٨٤. فيها التوسل بالأعمال الصالحة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾.

٢٤٨٥. تفيد بيان شفقة موسى عليه السلام وقلقه وهمومه على مصير قومه؛ في هذه الحياة؛ وفي الحياة الأخرى؛ وهكذا ينبغي أن يكون القائد والمربي حريصا على مصالح رعيته ومشفقا ومهموما بمستقبل حياتهم؛ وخير ما يقوم به هو الدعاء لهم بأن يعطيهم الله خيري الدنيا والآخرة.

٢٤٨٦. تفيد أن رب دعوة تدعوها تنتفع بها أمة من الأمم؛ فلا تبخلوا على أنفسكم وعلى أحد من الخلق من دعوة صالحة؛ وخصوصا في الأيام الفضيلة؛ وفي الساعات المباركة.

٢٤٨٧. تفيد أنه ينبغي للداعي أن يبالغ في دعائه لربه وأن يسأله المزيد من فضله وإنعامه؛ فهو ذو فضل عظيم؛ فموسى عليه السلام لم يكتف بالدعاء الذي دعا به في الآية السابقة برغم شمولها؛ بل طلب المزيد والمزيد لنفسه ولقومه.

٢٤٨٨. يفيد أن الرحمة الإلهية غلبت الغضب الإلهي؛ للتباين الكبير في التعبير عن العذاب والرحمة ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾. وهذا المعنى هو صريح السنة في غير ما حديث.

٢٤٨٩. تفيد بيان تطييب الله لخاطر موسى عليه السلام وتسكين فؤاده واستجابة دعائه؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ وذلك في إشارة واضحة من إلى أن رحمته التي وسعت كل شيء لا تضيق بقوم موسى عليه السلام؛ ولا يجدر بالكريم الرحيم أن يضيق الواسع على قوم موسى عليه السلام؛ وخصوصا أنهم هادوا إليه ووفدوا عليه.

٢٤٩٠. تفيد أن المحروم حقا هو من حرم هذه الرحمة التي وسعت كل شيء.

٢٤٩١. تفيد تنفسيا لأهل الأحزان والآلام والمصائب والكربات؛ وأهل الذنوب والمعاصي الموبقات؛ ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فمهما كانت ذنوبك ومهما كانت أحزانك ومصائبك؛ فإن رحمة الله تعالى أوسع مما تظن؛ ولا يهلك مع رحمة الله تعالى إلا هالك. فأحسن الظن بالرحمن الرحيم.

٢٤٩٢. تفيد إثبات الأفعال الاختيارية لله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ﴾.

٢٤٩٣. تفيد نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع، ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي؛ في قوله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ إيذانا بأن الرحمة مقتضى الذات الإلهية، وأما العذاب فمقتضى معاصي العباد.

٢٤٩٤. تفيد: أن رحمة الله لها موجبات؛ لقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾.

٢٤٩٥. فيها أهمية التقوى في دفع عذاب الله واستجلاب رحمته، وخص الزكاة لشرفها، مع أنها من جملة التقوى؛ أي ما يتقى الله به.

٢٤٩٦. فيها أن هداية الدلالة عامة وأن هداية التوفيق خاصة؛ لقوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ فهذه العامة. ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ ...﴾ هذه الخاصة. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

٢٤٩٧. تفيد أن تقوى الله تعالى، وأداء الزكاة والصدقات؛ والإيمان بآيات الله؛ سبب لاستجلاب نزول الرحمات الإلهية.

٢٤٩٨. فيها فضل التقوى وأنها من أسباب نيل رحمة أرحم الراحمين.

٢٤٩٩. تفيد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة مرحومة؛ من قبل مجيئها إلى هذه الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ...﴾. فالحمد لله الذي جعلنا من هذه الأمة المرحومة.

٢٥٠٠. تفيد بإشارة لطيفة مع ما بعدها أنه حيثما ذكرت رحمة الله الواسعة لا بد وأن يذكر المبعوث رحمة للعالمين. فصلوات الله وسلامه عليه ما ذكره الذاكرون الأبرار؛ وما تعاقب الليل والنهار. وهنا تظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب وروعة التناسق بين الآيات؛ كما يظهر له حسن التخلص من سرد قصة موسى عليه السلام؛ إلى ذكر الحبيب لأوصاف محبوبه الذي هو مظهر من مظاهر رحمته بعباده. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (كتبها الله عز وجل لهذه الأمة).قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: طَمِعَ في هذه الآية كل شيء حتى إبليس فقال: أنا شيء، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾فَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: نَحْنُ مُتَّقُونَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" الْآيَةَ. فَخَرَجَتِ الْآيَةُ عَنِ الْعُمُومِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ

وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

٢٥٠١. فيها مع التي قبلها أعظم البشارة للأمة المرحومة؛ أمة النبي الخاتم عليه السلام.

٢٥٠٢. فيها تمييز الرسالة عن النبوة، فالنبوة تلقي الوحي والرسالة التكليف بالبلاغ.

٢٥٠٣. تفيد أن صفة هذا النبي محمد عليه السلام جاءت في التوراة والإنجيل فلا عذر لمن كفر منه به.

٢٥٠٤. تفيد أن اتباع النبي محمد عليه السلام من أعظم أسباب الرحمة.

٢٥٠٥. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أنه لا سبيل أن تصل رحمة الله للعبد، إلا إذا اتبع الكتاب والسنة؛ لقوله قبلها: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾، أي بالقرآن؛ ثم قال بعدها: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾: يريد: يتبعون شخصه في حياته، وسنته بعد مماته. ويترتب عليه أمران: الأول: مناسبة ظاهرة لما قبلها. الثاني: أن اتباع النبي رحمة ومخالفته عذاب؛ وتصديقه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾. وقال في مخالفته: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٢٥٠٦. تفيد إثبات أمة النبي محمد عليه السلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن أميته لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر قلب. فإنه إمام الائمة في هذا. وإنما كان من جهة أنه كان لا يكتب ولا يقرأ مكتوبا. كما قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾... وكان انتفاء الكتابة عنه مع حصول أكمل مقاصدها بالمنع من طريقها من أعظم فضائله. وأكبر معجزاته. فإن الله علمه العلم بلا واسطة كتاب معجزة له، ولما كان قد دخل في الكتب من التحريف والتبديل، وعلم هو صلى الله عليه وسلم أمته الكتاب والحكمة من غير حاجة منه إلى أن يكتب بيده، وأما سائر أكابر الصحابة كالخلفاء الأربعة وغيرهم فالغالب على كبارهم الكتابة لاحتياجهم إليها، إذ لم يؤت أحد منهم من الوحي ما أوتيه،

صارت أميته المختصة به كمالا في حقه من جهة الغنى بما هو أفضل منها وأكمل، ونقصا في حق غيره من جهة فقده الفضائل التي لا تتم إلا بالكتابة. (مجموع الفتاوى ٢٥/١٧٢)

٢٥٠٧. استعمال المضارع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه مستمرون عليه ومواظبون على القيام به، وبذلك كانوا خير أمة أخرجت للناس.

٢٥٠٨. تفيد أن أمية النبي صلى الله عليه وسلم هي صفة مدح ومعجزة في حقه عليه الصلاة والسلام؛ وليس لأحد كائنا من كان أن ينتقصه لاتصافه بهذه الصفة.

٢٥٠٩. تفيد أن كمال علمه مع حالته الأمية دليل على صدق دعوته؛ بل هي إحدى معجزاته.

٢٥١٠. يفيد يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر أنه مرسل إليهم ولغيرهم من سائر الناس، وهم ﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾مطالبون باتباعه.

٢٥١١. تفيد مكانة ومنزلة وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي من صفات النبي محمد عليه السلام التي لا ينبغي أن تتخلف في إمته.

٢٥١٢. تفيد أن الفلاح في الدنيا والآخرة مرهون بالإيمان بالنبي محمد عليه السلام ونصرته واتباع الكتاب الذي أنزل عليه.

٢٥١٣. تفيد أن جميع الطيبات أحلها النبي عليه السلام ولا يجوز تحريمها من بعده، وجميع الخبائث محرمة فلا يجوز أن تحل من بعده.

٢٥١٤. تفيد إثبات بشائر الأنبياء بنبوة النبي عليه السلام، ودعواتهم أقوامهم للإيمان به عند بعثته.

٢٥١٥. تفيد أن الأصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل والإباحة؛ إلا ما جاء تحريمه في دليل منفصل؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

٢٠١٦. تفيد أن ما أحله الله للعباد فهو الطيب المناسب لهم، وما حرمه عليهم ففيه المفاسد والمضار العاجلة والآجلة.

٢٠١٧. فيها أن التخفيف ووضع الآصار والاغلال من مقاصد الشريعة الإسلامية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. من أن ذلك يقتضي كراهة موافقتهم في الآصار والأغلال. والآصار: ترجع إلى الإيجابيات الشديدة. والأغلال: التحريمات الشديدة. فإن الاصر: هو الثقل والشدة. وهذا شأن ما وجب. والغل: يمنع المغلول من الانطلاق، وهذا شأن المحظور. وعلى هذا دل قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾وسبب نزولها مشهور. (اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٨٥)

٢٠١٨. تفيد وجوب نصرته صلى الله عليه وسلم في حياته ونصرة سنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام؛ لقوله: ﴿وَنَصَرُوهُ﴾.

٢٠١٩. تفيد تنويها بعظيم فضل وعلو مكانة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وأرضاهم؛ ويلحق بهم من نصروا دينه من بعدهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٢٠٢٠. تفيد أن القرآن الكريم نور يهدى في الظلمات؛ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

٢٠٢١. يفيد قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾على وضوح الرؤية والهدف.

٢٥٢٢. فيها بيان ضرورة الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وأن هذه المسألة ضل بسببها أمم من البشر.

٢٥٢٣. فيها دليل صريح على عموم الرسالة المحمدية وأن من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث للناس كافه كما قال صلى الله عليه وسلم:(أُعطيتُ خمسًا لَم يُعطهُنَّ نبيٌّ قَبلي – ولا أقولُه فَخرًا بُعِثْتُ إلى النَّاسِ كافَّةً: الأحمرِ و الأسودِ، ونُصِرْتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ...) الحديث

٢٥٢٤. فيها دحض لشبهة من جعلوا الرسول عليه السلام مرسل للعرب خاصة.

٢٥٢٥. تفيد: اختصاص الله سبحانه بالإحياء والإماتة.

٢٥٢٦. فيها أن الملك المطلق والقدرة على الإحياء والإماتة من أوجب صفات المعبود ومن فقد هذه الصفات أو بعضها ليس جديرا بأن يعبد.

٢٥٢٧. فيها تأكيد التلازم بين التوحيدين العلمي الخبري والعملي الطلبي ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

٢٥٢٨. تفيد أن من كمال الإيمان بقدرة الله تعالى على البعث والجزاء.

٢٥٢٩. فيها أن الأعمال لا تقبل إلا إذا تحقق فيها شرطا الإيمان والاتباع.

٢٥٣٠. فيها البداءة في الدعوة بالتوحيد والإيمان.

٢٥٣١. تفيد أن من صدقه ولم يتبعه فقد بعد عن طريق الهداية.

٢٥٣٢. تفيد أن السنة نور لا يستغني عنها مبتغ للهداية، كما فيها ترغيب وحث عظيم للأخذ بها، والحفاظ عليها والسعي لنشرها بين الناس.

٢٥٣٣. تفيد أن كمال الهداية في كمال الاتباع، وأن الاتباع له هو الأصل والخروج عنه يكون بدليل يخصه.

٢٥٣٤. تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩]

٢٠٣٥. فيها أن في كل أمة طائفة مستقيمة على أمر الله ودينه الصحيح وإن بدل عامة الأمة وغيروا في دينهم، ويشهد له قول النبي ﷺ (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)

٢٠٣٦. في هذه الآية الكريمة تربية للمؤمن على العدل والإنصاف مع الناس بذكر الواقع والوقائع كما هي.. فبعد أن ذكر الله تعالى عن قوم نبيه موس عليه السلام ما ذكر.. حبس بهذه الآية انطلاق الظنون المظلمة حتى لا تشمل الأمة الهادية المهدية من قوم موسى عليه السلام.. وهذا ما يحتاجه المسلمون دائما في كل زمان ومكان..

٢٠٣٧. فيها أن أعظم ما يكون عليه العالم والداعية أن يهدي بالحق متجردا عن كل هوى وبدعة.

٢٠٣٨. فيها: مناسبة دقيقة لما قبلها؛ من وجوه: منها: زيادة تأكيد ورفع الإيهام بأن الرسول محمدا – صلى الله عليه وسلم – لم يرسل إلى طائفة دون أخرى؛ لا سيما وقد قال قبلها: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾. فبين بعدها أنه رسول الله إلى الناس جميعا، فواجب على الكل اتباعه.

٢٠٣٩. فيها أن الاهتداء يكون للحق وبالحق.. وعليه تشير بصورة غير مباشرة إلى أن الغاية لا تبرر الوسيلة.

٢٠٤٠. تفيد مع ما قبلها؛ أنه وبالرغم مما تقدم ذكره من الفظائع والأمور الذميمة التي ارتكبها قوم موسى عليه السلام في حياة نبيهم؛ إلا أنه يوجد من قوم موسى أمة من يهدون بالحق وبه يعدلون؛ وعليه؛ فكيف بأمة الحبيب المصطفى الذي كان أتباعه الأولين خير أتباع؛ ولم يجد منهم إلا كل خير وتوقير وتعزير ونصرة؛ ولهذا فإنه عليه الصلاة والسلام قد أعطي بدعائه الذي كان يكثر منه ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ ما أعطي نبي الله موسى عليه السلام بدعائه وزيادة؛ حيث جاء في الحديث: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون

على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال) وفي رواية (لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك).

٢٠٤١. تفيد مع ما قبلها مدحا عظيما للمقسطين عموما؛ والمقسطين من قوم موسى خصوصا؛ حيث قرن مدحهم بمدح النبي ﷺ؛ وذكر عظيم فضلهم ومكانتهم بعد ذكر عظيم فضل النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه ومكانته؛ ولهذا جاء في الحديث: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا).

٢٠٤٢. ومن المناسبات: قال السعدي كأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايب بني إسرائيل، المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

٢٠٤٣. فيها الثبات على الحق والدعوة إليه وهو من أعمال فضلاء الأمم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

٢٠٤٤. تقسيم الأمم إلى قبائل لا يتنافى مع وحدة المشرب والهدف.

٢٠٤٥. أهمية الدعاء في حل الأزمات الاقتصادية.

٢٠٤٦. فيها: القطع بأن نبي الله موسى له أتباع؛ فليس ممن أخبر النبي عنهم بقوله: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ". رواه البخاري. بل تكملة الحديث يدل على أن موسى – عليه السلام – من أكثر الناس تبعا يوم القيامة؛ لقوله: "حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ". رواه البخاري.

٢٥٤٧. تفيد ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ نجدة الله لعباده الصالحين في شتى المواقف وسرعة استجابته لهم.

٢٥٤٨. كما تفيد جواز الاستسقاء واللجوء إلى القائد والأمير لحل المعضلات.

٢٥٤٩. تفيد: أن الأنبياء لا يأتون بمعجزة من عند أنفسهم وأنهم بذواتهم لا يقدرون على ذلك؛ لقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ ..أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾.

٢٥٥٠. تفيد: أن الناس مهما كثروا واختلفوا وكانوا أمما، أي: قبائل وجماعات، فهم تحت سلطان الله وعلمه لا تخفى منهم على الله خافية؛ لأنهم من صنعه وهو الذي قطعهم، أي؛ قسمهم وفرقهم؛ لقوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾.

٢٥٥١. تفيد رأفة الله ولطفه واستمرار عنايته بقوم نبي الله موسى عليه السلام مع سوء صنيعهم وعظيم جرمهم الذي تقدم في الآيات السابقة.

٢٥٥٢. تفيد أن القحط والجدب وما يتبعها من مجاعات وهلاك سنة إلهية في الخلق، وذلك بسبب ظلم الناس وفسادهم، وبعدهم عن الله تعالى، وعدم التجائهم إليه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾.

٢٥٥٣. فيها: الجمع بين جواز الاستسقاء؛ فيجوز طلبه من الأنبياء. وكذا من أهل البر والتقوى؛ علما: أن الاستسقاء هو: طلب الدعاء.

٢٥٥٤. فيها: التنبيه على أن الله وحده هو الذي يسقي؛ لقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ بإذن الله وحده؛ وبدليل: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾، والمنزل هذا وفاعله هو الله وحده بلا شريك. وعليه: فإن الذي بيده النفع والضر هو الله وحده؛ ففي هذا رد على الصوفية وغلاتهم.

٢٥٥٥. تفيد أن الاستسقاء شريعة قديمة، وسنة ماضية عمل بها الأنبياء والرسل، وهي مشروعة في ديننا أيضا عند وجود القحط والجدب وانقطاع المطر وانحباس القطر عن الأرض.

٢٥٥٦. تفيد عناية الله تعالى برسله في قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ﴾، أي: طلبوا منه أن يدعو الله تعالى، أن يسقيهم ماء يشربون منه وتشرب منه مواشيهم، وذلك لأنهم – والله أعلم – في محل قليل الماء.

٢٥٥٧. فيها بيان معجزة موسى عليه السلام من إخراج الماء من الحجر الأصم.

٢٥٥٨. فيها تعداد النعم والمنن على بني إسرائيل وإقامة الحجج عليهم.

٢٥٥٩. فيها أهمية اعتبار الأخذ بالأسباب ولو بدت للوهلة الأولى غير ذات بال بالنسبة لضخامة المطلوب.. فكم بين ضرب موسى بعصاه الحجر وبين انبجاسة باثنتي عشرة عينا.. فالضرب سبب والمشارب نتيجة. الفاء في ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾هي الفاء الفصيحة، تفصح عن فعل محذوف، تقديره: (فضرب فانبجست) فاكتفى بالمسبَّب (الانفجار) من السبب (الضرب).

٢٥٦٠. تفيد بيان بعض من عظيم الآيات وخوارق العادات التي أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام بما يكشف تعنت اليهود وترددهم في الاستجابة لأوامر الله، مع ما يريهم ربهم من عظيم الآيات، التي تلزم الإيمان والطاعة.

٢٥٦١. تفيد أن سقيا الله لعباده كما يكون من السماء، يكون أيضا من صخور الأرض وجبالها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

٢٥٦٢. تفيد دقة وبلاغة القرآن فلما استسقى موسى عليه السلام ناسب ورود ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾، ولما استسقاه قومه؛ ناسب ورود ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾.

٢٥٦٣. تفيد أهمية تنظيم شؤون المجتمع بما يكفل لهم الحياة الكريمة ويمنع عنهم التداخل والتدافع المؤديان إلى الفوضى والظلم والعدوان، لقوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾. وفي ذكر علم كل شخص مشربه دون قوله (قد شرب كل أناس من مشربهم) إشارات لطيفة لمن تأمله وتمعن فيه.

٢٥٦٤. تفيد أن موسى عليه السلام بالإضافة إلى كونه نبينا ورسولا، كان قائدا محنكا قد أحسن إدارة وتنظيم شؤون قومه من أقل الأمور اهتماما إلى أعلاها، منعا للنزاعات ودفعا للفوضى، وتضييق الخناق على من يسعون للفتنة وبث الفوضى في المجتمع، لقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.

٢٥٦٥. تفيد بيان ما كان عليه بنو إسرائيل من شدة الاختلاف والعداوة فيما بينهم، حتى أصبح لزاما أن يعلم كل أناس مشربهم، لئلا تحصل النزاعات وربما القتال بينهم بسبب شرب الماء والحصول عليه؛ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾. ولعل في هذه الهداية إبرازا لنموذج من نماذج تنزيل الآيات على الواقع؛ وذلك لأن المياه سر الحياة؛ وقد تقوم الحروب وتنشأ النزاعات بين الأمم والشعوب بسبب هذا الأمر؛ ولهذا قدم الله وجود الماء وأكد على علم الجميع بطريقة استفادتهم منه؛ على وجود الظلال والمأكل.

٢٥٦٦. تفيد أن الغمام يأتمر بأمر الله تعالى، حيث يسير بأمر الله، ويقف بقدرة الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾.

٢٥٦٧. تفيد أن الطعام فيه ما هو من الطيبات، وفيه ما هو غير ذلك، وشريعة الله تعالى أباحت أكل الطيبات وحرمت أكل الخبائث.

٢٥٦٨. تفيد الترغيب بالأكل من الرزق الطيب المباح، لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾.

٢٥٦٩. تفيد بإشارة لطيفة أنه ينبغي لصاحب الطعام أن يأذن لضيوفه ومرتاديه بالأكل من طعامه؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۝٨٠ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾.

٢٥٧٠. فيها: جواز حذف ما يعلم من السياق؛ لقوله: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يريد: فضرب موسى بعصاه الحجر امتثالا. أو: فضرب موسى وامتثل.

٢٥٧١. تفيد أن بني إسرائيل قابلوا نعم الله تعالى وفضله وإحسانه بالطغيان والظلم والعدوان، حيث لم يشـــكروا الله على هذه النعم، بل وعدلوا عن أكل الطيبات المأذون فيها، إلى أكل الخبائث التي حرمها عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾. وفي هذا ذم وتعنيف شديد لبني إسرائيل على كفرهم بنعم الله تعالى.

٢٥٧٢. تفيد أن من أعظم الظلم عدم تقدير النعم والقيام بشكرها.

٢٥٧٣. تفيد أن الذي يفرط في شـــكر النعمة يكون قد ظلم نفســـه لما يترتب على ذلك من سلبها وحسابه عليها.

٢٥٧٤. تفيد سـعة فضــل الله تعالى على عباده وشـــدة غفلت العباد من القيام بحقه جل وعلا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]

٢٥٧٥. تشـــير إلى أن: من نعم الله على العباد، أن يبين لهم حدود ما يحل لهم، ويحرم عليهم؛ لأن الآية في معرض المنة على بني إســـرائيل؛ لقوله: ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾، يريد: من أي مكان منها، وفي أي وقت شئتم. ونحو ذلك، قول الله: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٢٥٧٦. فيها: بيان سعة فضل الله ورزقه؛ حيث لم يحرج عليهم موضعا دون آخر.

٢٥٧٧. أن الله تعالى ميز بني اسرائيل عن غيرهم من الأمم أنه أشبع شهواتهم بجانب تكليفهم بالشـرائع حتى لا تكون لهم حجة يعصـون أمر الله لأجلها، ففي كل مرحلة نجده تعالى يبين لهم موضع رزقهم قبل أن يبين لهم كيفية عباداتهم.

٢٥٧٨. فيها فضيلة السكنى ببيت المقدس؛ لأنه القرية المقصودة في هذه الآية الكريمة.

٢٥٧٩. فيها أن الأصل في الأشياء الإباحة؛ لقوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾.

٢٥٨٠. تفيد: جواز التعبير عن الركوع بالسجود؛ لقوله ﴿سُجَّدًا﴾ يريد: ركعا؛ لأنه لا يمكن دخول الباب حال السجود.

٢٥٨١. تفيد أن أمره اشتمل على صورة مخصوصة من العبادة فعلاً ﴿سُجَّدًا﴾وقولا﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾.

٢٥٨٢. فيها أن السجود من أعظم مظاهر الخضوع لله سبحانه وتعالى؛ قال السعدي: سُجَّدًا أي: خاضعين لربكم مستكينين لعزته، شاكرين لنعمته، فأمرهم بالخضوع، وسؤال المغفرة، ووعدهم على ذلك مغفرة ذنوبهم والثواب العاجل والآجل.

٢٥٨٣. فيها التزام الألفاظ الشرعية التي أمر الله بها وعدم تغييرها؛ لقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾.

٢٥٨٤. فيها الخضوع والتواضع لله عز وجل خصوصا في مواضع النصر والغلبة؛ لقوله:﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا﴾ وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في هذا لما دخل مكة فاتحا وهو مطأطئ الرأس يكاد رأسه يمس مورك رحله خضوعا لربه عز وجل كما في كتاب السير والمغازي من صحيح البخاري.

٢٥٨٥. تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، حيث إن الأمر بالدخول الوارد في سورة البقرة كان يقصد به الدخول للسكنى، ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾، وهنا قال: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾. تنبيه: قد تختلط على الأحبة الحفاظ هذه الآية مع التي في سورة البقرة، ويمكن أن أسهل عليهم بالقول: إن الدخول يسبق السكنى كما أن سورة البقرة تسبق سورة الأعراف.

٢٥٨٦. تفيد أن البلاد الصالحة لاستقرار المرء والعيش فيها ينبغي أن تقوم على ثلاثة أسس رئيسة: الأساس الأول: غناؤها وسهولة الحصول على لقمة العيش فيها، ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا﴾. الأساس الثاني: توفر الأمن والسلام ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾. الأساس الثالث: قدرة العبد على إقامة

شعائره الدينية، من صلاة وذكر لله عز وجل، ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾. فإن وجدت هذه الأسس الثلاثة جاز للمرء الإقامة في تلك البلاد، وإلا فعليه الرحيل إلى موطن آخر.

٢٥٨٧. يفيد أهمية الأكل والغذاء في حياة البشر، وأنه ينبغي تقديم الأكل حتى على العبادة إذا حان وقتها ولا يخشى فواتها؛ وذلك من أجل أن يتقوى العبد بالأكل على طاعة الله تعالى، وان لا يتشوش ذهنه، ووجه ذلك من الآية: أنه قدم الأكل على العبادة القولية والفعلية فقال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾، ويشهد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء).

٢٥٨٨. تفيد الآية أن المبادرة والاستجابة لأوامر الله من صفات المحسنين.

٢٥٨٩. تفيد: أن الأعمال الصالحة، تكفر السيئات وتوجب المغفرة؛ لقوله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ﴾. وتصديقه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

٢٥٩٠. تفيد أن مغفرة الله لذنوب العباد مرتبطة باتباع أوامره واجتناب نواهيه (فعلا وقولا).

٢٥٩١. تفيد أنه ينبغي للمحسن أن يتفاءل بزيادة الله تعالى له من فضله في جميع ما يتعلق به من أمور دينية أو دنيوية أو أخروية؛ لقوله تعالى: ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ووجه ذلك: أنه حذف المفعول الثاني، من أجل أن يذهب الذهن كل مذهب يمكن الزيادة عليه، وفضل الله أوسع.

٢٥٩٢. تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فمن أحسن أحسن الله إليه، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾.

٢٥٩٣. تفيد أن تخلف الأمة المسلمة المعاصرة عن التطور والازدهار وعدم لحاقهم بركب الأمم المتطورة والمزدهرة هو بسبب تركهم لمبدئ الإحسان في كل شيء، وخصوصا في الأمور الدنيوية، لأن كل محسن في أي مجال كان موعودا من الله بالزيادة، وعلى هذا؛ فإنه ينبغي للمسلمين

المعاصرين أن يحسنوا أعمالهم في شتى المجالات من أجل استعادة أمجاد أسلافهم المحسنين واللحاق بركب الأمم المتطورة.ويؤيده حديث: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" رواه مسلم، وحديث: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" (السلسلة الصحيحة)

٢٥٩٤. فيها أن الإحسان من أسباب زيادة الخيرات والبركات والمغفرة من الله عز وجل؛ لقوله: ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]

٢٥٩٥. تفيد أن الكذب عموما صفة مذمومة وأنه سبب للعذاب ونوع من أنواع الظلم

٢٥٩٦. تفيد أن فريقا من بني إسرائيل كانوا ظالمين.

٢٥٩٧. تفيد التحذير من الإحداث في الدين بالبدع وتحريف النصوص عن معانيها الظاهرة بالتأويل بغير دليل شرعي وأن هذه من صور التبديل الذي هو سنة يهودية ورثه بعض المسلمين.

٢٥٩٨. تفيد: أن الأوامر الأوراد توقيفية؛ لا يجوز تبديلها؛ وفي حديث البراء بن عازب: قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: "لا، ونبيك الذي أرسلت". رواه البخاري. ويغلظ الإثم ويعظم الجرم، إذا غير الكلام إلى كلام آخر ليس من الذكر في شيء؛ كما وقع في الآية التي نحن بصددها؛ فبدلا من أن يقولوا ﴿حِطَّةٞ﴾، أي: حط عنا خطايانا؛ قالوا: "حبة في شعيرة". وهذا هو الظلم بعينه؛ ولذا قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾. وكما تفعل الصوفية في بعض أورادها؛ كقولهم: "هو هو هو..."، يعنون: الله؛ حتى أن من كثرة الترديد يخرج الكلام ويسمع وكأنها نباح كلاب. نعوذ بالله من الضلال. وقد قيل: أن من أدمن هذا الذكر وقع في الإلحاد.

٢٥٩٩. فيها تربية المسلم على الإنصاف والعدل في الحكم على المخالف؛ لقوله: «منهم» فلم يعمهم.

٢٦٠٠. تفيد وبضميمة ما قبلها: أن عدم التوبة، سبب في العذاب. قال أبو السعود في تفسيره: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بِما أُمِرُوا بِهِ مِنَ التَّوْبَةِ والِاسْتِغْفارِ، حَيْثُ أعْرَضُوا عَنْهُ ووَضَعُوا مَوْضِعَهُ.

٢٦٠١. من مثانيها المتشابهة قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[البقرة:٥٩] -فبدل الذين ظلموا. -فبدل الذين ظلموا منهم. -فأنزلنا عليهم. -فأرسلنا على الذين ظلموا. -بما كانوا يظلمون. -بما كانوا يفسقون. أن الفسوق والظلم حصل من جزء منهم، وأن الرجز نزل على أولئك الظالمين ولم يشمل الذين لم يشتركوا معهم في الظلم.

٢٦٠٢. قوله﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾الارسال يعني تواصل العذاب بخلاف الانزال فهو مرة واحدة.

٢٦٠٣. العقوبة تختلف باختلاف الذنب.

٢٦٠٤. أن من أسباب إرسال العذاب الظلم.

٢٦٠٥. تفيد: أن أمر العذاب بيد الله؛ لقوله ﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾. وتصديقه: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾[هود: ٣٢-٣٣].

٢٦٠٦. فيها، وبضميمة ما سبق: بيان قدرة الله وعظيم سلطانه؛ لأن الذي أنزل لهم الطيبات من السماء، قادر أن ينزل عليهم الرجز منها أيضا إن هم كفروا بأنعم الله وظلموا؛ لقوله في السابق: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾.

٢٦٠٧. فيها أن النعمة إن كفر بها العبد انقلبت عليه وسلطت عليه؛ وهذا مشاهد.

٢٦٠٨. تفيد مع ما قبلها أن اليهود قوم حمقى لا يأخذون العبرة من أسلافهم ولا من ماضيهم ولا من تاريخهم المليء بالعقوبات الإلهية جراء ظلمهم وعدوانهم؛ فهؤلاء السابقون حرفوا أمرا إلهيا بتبديل القول فأرسل الله عليهم رجزا من السماء؛ ثم جاء أصحاب السبت من بعدهم فلم

يعتبروا بمن سبق فحرفوا أمرا إلهيا بالاحتيال في الصيد يوم السبت فأخذهم الله بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون.

٢٦٠٩. فيها أن ظلمهم كان مستمرا ولم يتوبوا منه حتى نزل بهم العذاب؛ لقوله: ﴿ يَظۡلِمُونَ ﴾ بصيغة المضارع.

٢٦١٠. تفيد: أن ترك الواجب ظلم للنفس، وأن الفرض كلما كان يسيرا فعله كان تركه أشد ظلما وأبين؛ فمن لم يقم لأداء الصلاة في جماعة وهو يقظان، كان أشد ممن لم يقم إليها وهو نائم. ودواليك. وجه ذلك: أنه تعالي قال لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ وهذا لا يكلف شيئا!. وهذه من الأسباب التي لأجلها وصفهم بالظلم في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾.

٢٦١١. تفيد أن الخارج عن طاعة الله وأمره مستوجب لوصفي الظلم والفسق، ولهذا جاء ههنا ﴿بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾، وجاء في الموضع الآخر من سورة البقرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

٢٦١٢. تفيد إثبات الأسباب، وتأثيرها في مسبباتها؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾، وأن الظلم سبب لنزول العذاب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]

٢٦١٣. فيها التوجيه الرباني لاستخدام أسلوب السؤال لمن وقع في فتنة مشابهة لفتنة قوم سابقين عنها، لتقع الاستفاقة من الغفلة، وتقام عليهم الحجة.

٢٦١٤. فيها دلالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن من عند الله فهذه القصة وأشباهها التي فيها تقريع وتشنيع عليهم لا يظهرونها في كتبهم ولا يعلمها الا الخاصة منهم فأطلع الله تعالى نبيه عليهم ليسأل معاصريه منهم عنها ليتبين لهم أنه الحق و أنه من عند الله

٢٦١٥. فيها تلقين الحجة لمن غابت عنه عند المجادلة والدفاع عن الحق.

٢٦١٦. فيها: جواز حذف ما يعلم؛ لقوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾، يريد: أهل القرية؛ وبدليل: ﴿يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾. ونظيره: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، أي: وأسأل أهل القرية وأسأل أهل العير.

٢٦١٧. فيها بلاغة القرآن الكريم، وجمالياته بحذف المضاف عند أمن اللبس في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ...﴾ الآية والمراد: أهل القرية.

٢٦١٨. ويؤخذ من قوله ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾أي الكائنة عند البحر أو القريبة من البحر قرب وجود واستقرار، وأن معنى مصطلح الحضارة من الحضور والاستقرار بعدم الحركة، وهو مقابل لمصطلح البداوة الذي تلازمه الحركة ويلازمه التنقل، ولذلك كل ما أحدثه الإنسان من عمران وتطور هو مبني على استقراره وحضوره في مكان واحد، ويفرق بين ما عند أهل البادية وبين أهل الحاضرة بأن ما عند أهل البادية من عادات وتقاليد بأنها موروثات ثقافية، هو كذلك ويقابل مصطلح الحضارة بهذا المعنى المدنية.. ويفهم من ذلك أن المصطلح قديم بقدم الإنسان على الأرض.

٢٦١٩. تفيد: أن النبي لا يعلم الغيب، وأنه يوحى إليه، وأنه صادق أمين ﷺ.

٢٦٢٠. تفيد مع ما قبلها بيان بعض الأغلال والآصار التي كانت على بني إسرائيل، حيث حرم الله عليهم العمل يوم السبت وأوجب عليهم التفرغ للعبادة والطاعة.

٢٦٢١. فيها: توبيخ لليهود لاعتدائهم في هذا اليوم، وكان الواجب عليهم مراعاة حرمته؛ لا سيما وقد اختاروا هذا اليوم عن بقية الأيام؛ لقوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾. فأفسدوا يومهم بالمعصية؛ ولذا قيل: اليوم الذي لا تعصي فيه، فهو لك عيد.

٢٦٢٢. تفيد: النهي عن الاعتداء؛ وهو: الوقوع في المحرمات؛ وكما قال: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾.

٢٦٢٣. تفيد: أن الأرزاق بيد الله؛ فعلى العبد كما في الحديث: "ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته".

٢٦٢٤. تفيد إباحة صيد وأكل الحيتان والسمك.

٢٦٢٥. فيها أن التشريع لله سبحانه وتعالى وحده يحكم ما يريد لا معقب لحكمه؛ فقد شرع لهؤلاء عدم الصيد في السبت، ولم يشرعه لنا..

٢٦٢٦. فيها تعظيم الرب جل وعلا وانقياد المخلوقات له، كما في حال هذه الحيتان واتيانها في يوم السبت وغيابها في غيره.

٢٦٢٧. فيها التنبيه إلى الاستفادة مما أوجد الله حولك من موارد، فمن كانت قريته حاضرة البحر فليعمل بالصيد وصناعة السفن والتجارة. ومن كانت قريته زراعية فليعمل بالزراعة، ومن كانت تحيط بها الخضرة فليعمل بالرعي. فمن العجز أن تحيط بك الموارد من كل مكان ثم تشتكي الفقر.

٢٦٢٨. فيها أن الرزق يطلب من الله تعالى أولا بالإيمان والاستقامة على طاعته ثم بعمل الأسباب، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾. وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وقال ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة ٦٦].

٢٦٢٩. تفيد: أن البحر وما فيه مسخر بأمر الله؛ لأن الذي أرسل إليهم الحيتان، هو الله - جل ذكره؛ بدليل: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾. وكما قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾.

٢٦٣٠. فيها: إطلاق لفظ "الحيتان" على جنس السمك؛ فهو أعم مما تعارف عليه الناس اليوم؛ وفي الحديث: "خذ حوتا في مكتل"، أي: سمكة؛ لأنه لا يتصور حمله في مشن.

٢٦٣١. تفيد: أن المحتال على الشرع فاسق.

٢٦٣٢. تفيد: أن صيد البحر قديم.

٢٦٣٣. فيها أن اكتساب الرزق بالمعاصي والطرق غير المشروعة كالغش والربا وسائر أنواع الظلم.. ستكون سببا في الوبال على صاحبه عاجلا أم آجلا علم العقوبة أم جهلها.

٢٦٣٤. تفيد: أن من فتحت له أبواب المحرمات والفتن وتزاحمت عليه، فليراجع نفسه.

٢٦٣٥. فيها أن من الابتلاء والامتحان ما يكون بسبب الفسق.

٢٦٣٦. فيها أن فسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم الله، وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا لعافاهم الله، ولما عرضهم للبلاء والشر.. أفاده السعدي.

٢٦٣٧. فيها التحذير من الفسق وأنه من أسباب البلاء في الدين، والتعرض للفتن.

٢٦٣٨. تفيد: أن اليهود أهل حيل الدين، وأن من فعلها فقد تشبه بهم؛ وفي الحديث: "لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوها، وأكلوا ثمنها"، أي: فأذابوها. وهذا عين الحيل. ولو أنهم أتوا الأمر من بابه لكان أهون؛ فإن الله لا يخادع، وكيف وهو علام الغيوب؟!. قال الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

٢٦٣٩. جهل اليهود بقدر ربهم وأسمائه وصفاته جلّ في علاه حملهم على التحايل والخداع. وكذا كل جاهل بقدر ربه وعظمته سبحانه وتعالى. قال تعالى ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وقال ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾. وقال ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

٢٦٤٠. تفيد أن الإصرار على الفسق يورث الوقوع في الكبائر الموبقات المهلكات، كما يورث الاستكبار والجهل بسوء العاقبة؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾... ثم قال: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

٢٦٤١. تفيد أهمية مراجعة العباد لعلاقتهم مع الله تعالى عندما يرون تضييقا وتقتيرا في أرزاقهم، وعدم المضي قدما في مشاريع اقتصادية مدرة للأرباح السريعة ومورثة لغضب الرب

الجليل سبحانه وتعالى. ويشهد لذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾.

٢٦٤٢. تفيد أن الحيلة في الالتفاف على الشرع المطهر والبحث عن مخارج في ظاهرها شرعية الهروب من تنفيذ الواجبات واتيان المنهيات يعد من أعظم الجرم وأسوأ صور المنكر وهو شائع في أيامنا هذه مع الأسف. أن منع الرزق وضيق العيش من مواضع الابتلاء والاختبار للعبد مما يوجب استحضار ذلك عند حصول الضيق وعدم السعي الى تحصيل أمر بارتكاب نهي.

٢٦٤٣. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن أكل الحرام والتحايل عليه سبب في الهلاك والعذاب الشديد؛ لقوله بعدها: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤]

٢٦٤٤. هذه الآية أصل في تأكيد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٦٤٥. فيها تحذير من المثبطين الذين يصدون الناس عن بث دعوة الخير.

٢٦٤٦. فيها التحذير من اليأس والقنوط عند شيوع المنكرات، ومن قال: "هلك الناس فهو أهلكهم " ؛ ولذلك قالت الطائفة الناجية: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

٢٦٤٧. العطف بين مهلكهم ومعذبهم بأو يقتضي التغاير ويفهم منه الإشارة لعقوبة الدنيا أو الآخرة أو كليهما.. وفي ذلك معنى ان الله يمهل ولا يهمل.. فقد يدخر العقوبة في الآخرة..

٢٦٤٨. فيها أن في الأمم من يثبط أهل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعبارات المخذلة، ففي الآية النهي عن الركون إلى هؤلاء وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه تركه من أسباب الهلاك.

٢٦٤٩. فيها أن وسائل النهي عن المنكر: الموعظة لتأثيرها في القلوب والعقول ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾.

٢٦٥٠. تفيد: المواظبة على دعوة المخالف وموعظته، وعدم اليأس من دعوته؛ وهذا ما كان يفعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى قال له ربه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾. دل عليه المضارع في قوله: "تعظون".

٢٦٥١. تفيد: أنه إذا وجد الفساد مهما كان مكانه قيّض الله من ينكره ويقيم الحجة على أهله؛ لأن هذا كان في القرية التي كانت قرب البحر؛ كما سبق في قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾، أي: قربه.

٢٦٥٢. تفيد أهمية المواعظ في هداية أهل الضلال، ولا ينبغي التقليل من أهميتها وأثرها.

٢٦٥٣. فيها بيان أنماط الشخصية السلبية التي لا تعمل ولا تدع الآخرين أن يعملوا ببث ما يثبطهم ليستووا في عدم العمل ولا يعيروا بتركهم لواجب الدعوة.

٢٦٥٤. تفيد تنوع الأساليب واختيار الأوقات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذا عبّر بالمضارع في قوله: ﴿تَعِظُونَ﴾، للدلالة على التجدد والاستمرار؛ وتصديقه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾[نوح: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾[نوح: ٨-٩]. وأنماط الشخصية الإيجابية هي التي ترى في كل محنة منحة، وفي كل ألم أملا وتفاؤلا.

٢٦٥٥. نستنتج أن فئات مجتمعهم انقسمت الى ثلاث فئات:

- قلة محتالة مارقة استحلت صيد السبت بالحيلة
- فئة قليلة ناهية عن السوء تعظ وتذكر بالله وبطشه.
- أمة ساكتة عن النهي مقرة بسوء صنيع قومها وتلوم الناهين عن المنكر وتثبطهم بدعوى انتفاء الجدوى من النصح والوعظ.

٢٦٥٦. من هدايات هذه الآية ضرورة لزوم النهي عن المنكر والتمسك بالأمل في هداية العصاة وإن استحالت الهداية فأقل القليل الاعتذار إلى الله من فعلهم وإقامة الحجة عليهم والخروج من دائرة اللوم والعذاب.

٢٦٥٧. فيها أن من أهم مقاصد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإعذار إلى الله.

٢٦٥٨. فيها أن الدعوة إلى الله تعالى يجب أن تكون متحركة بدافعين يسيران معا هما: الاعتذار إلى الله تعالى، والرغبة في هداية الناس.

٢٦٥٩. تقديم الاعتذار فيه تقديم تخليص النفس من تقديم تخليص الغير.. وفي ذلك إشارة إلى أنه لا إيثار في القربات.

٢٦٦٠. فيها تقديم حق الله تعالى على حق عباده.

٢٦٦١. فيها أهمية احتمال هداية المستهدفين من الداع.. فيجب أن لا ييأس منهم ما لم يرد نص بعدم إيمانهم كما في قوم نوح.. ولما انقطع الوحي وانتهت النبوة فلا مجال للتنصيص على اليأس من أحد فدل ذلك على احتمالية هداية أعتى الناس وابعدهم عن الحق وأكثرهم طغيانا على الأرض.. وفي ذلك أهمية وضع كل خلق الله في دوائر حول الداعية تقترب وتبتعد عن الحق بحسب ما يبدو من ظاهرهم ولا يستثنى أحد كائنا من كان.. وفي هذا تنبيه لبعض الدعاة الذين لا يشملون في دعوتهم أصحاب المبادئ والتنظيمات والجماعات باعتبار أنهم مصنفين وأن دعوتهم إضاعة للجهود !!!

٢٦٦٢. فيها أن الدعوة بدافع واحد من الدافعين المذكورين في الآية يؤدي إلى نقص مواصفات الخطاب الدعوي.. فمن كانت دعوته لمجرد الإعذار فإنه لا يجتهد في الأسلوب المناسب والمنهج اللائق والمفردة الأقوى.. بل يأمر وينهى كيف ما اتفق.. ومن كانت دعوته لمجرد الرغبة في هداية الخلق فإن نفسه تذهب عليهم حسرات إن لم يتحقق غرضه.. ولا يسلي نفسه بأنه معذور عند الله لعدم استصحابه لذلك.

٢٦٦٣. تفيد أن القرآن العظيم قد حوى مادة الدعوة وطرق الدعوة ومناهجها وأساليبها بما يمكن أن يكون المرجع الأوحد في علم الدعوة.

٢٦٦٤. تفيد: أن "التقوى" من ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٦٦٥. تفيد: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سبب في النجاة؛ أعني: نجاة المخالف المأمور به، وأما عن نجاة الآمر به؛ فقول الله - بعدها ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾. وإن كانت وحدها جمعت الاثنين معا.

٢٦٦٦. تفيد أن الداعية مأجور في كل الأمور ما دام قائم بواجبه اهتدى الناس أم لم يهتدوا.

٢٦٦٧. فيها بيان أن واجب المؤمن الدعوة، ولا يلتفت لأي عقبات في زمانه ومجتمعه، مهما تكالبت عليه قوى الشر، فالواجب أن يُري الله جهدا في الدعوة إليه، وليس عليه أن يستجيب الناس له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

٢٦٦٨. تفيد: أهمية العمل بالذكرى والنصيحة، وأن ترك ذلك خسران وعذاب.

٢٦٦٩. فيها أن النسيان يأتي بمعنى الترك، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾.

٢٦٧٠. فيها أهمية الذكرى وأثرها وأن من نسيها فقد عرض نفسه للعذاب؛ لقوله ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾.

٢٦٧١. تفيد، وبضميمة ما بعدها: التحذير من الاستكبار عن العمل بالنصيحة، والعمل بأوامر الله؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾: أي تركوا العمل بنصيحة المصلحين. وقال بعدها: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ﴾: يريد: استكبروا عن امتثال أمر الله.

٢٦٧٢. فيها جواز حذف الفاعل للعلم به بلاغة كما في قوله ﴿ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ وقد جاء العلم به قريبا في قوله ﴿تَعِظُونَ﴾، ونظيره قوله تعالى ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ فحذف الفاعل للعلم به.

٢٦٧٣. تفيد بمفهوم المخالفة أن الذكرى تنفع المؤمنين فإنهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون.

٢٦٧٤. تفيد دائماً أن النجاة دائما تسبق العذاب في هذا الموضع وفي مواضع العذاب الأخرى، فأوحى لنوح أن يبنى السفينة قبل حلول العذاب، ولوط أمره بالخروج قبل وقوع العذاب، وكذلك قوم عاد وثمود فإن النجاة سبقت وقوع العذاب لما فيه من شمول بالهلاك والعذاب، وهنا فإن الله أنجى الناهين عن المنكر ثم أوقع العذاب البئيس بالفاسقين.

٢٦٧٥. ترك العمل بكتاب الله سبب للعذاب الأليم في الدنيا والآخرة. لما قسمت الآية السابقة أولئك القوم إلى ثلاثة أقسام:

١) الناهون عن المنكر.

٢) مرتكبو المنكر.

٣) الساكتون؛ الذين ينكرون على المصلحين نهيهم عن المنكر.

جاء في هذه الآية بيان جزاء الأصناف الثلاثة:

-نجاة الذين نهوا عن المنكر من العذاب.

-أخْذ الذين ارتكبوا المنكر بالعذاب الشديد.

-الإعراض عن الذين سكتوا، فسكت عن ذكرهم انتقاصا، وذما لهم ولصنيعهم..

٢٦٧٦. يرجح أن العذاب البئيس شمل الساكتين أيضا، فبالاستقراء نجد أن النجاة تنال الناهين عن السوء دون سواهم، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦]

٢٦٧٧. تفيد أن الإصلاح بزجر أهل المنكر ونهيهم عن السوء هو سبيل النجاة وإلا فالقرية ينالها الهلاك بمن فيها، يقول الله جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، ومن دلائل ذلك قول الناهين عن المنكر: "معذرة إلى ربكم" فدل على أمرين:

أولهما: أن الناهين لولا استشعارهم لشمولهم بالعذاب لما قدموا المعذرة والتي تحتمل معنى الاعتذار الى الله البراءة من فعلهم.

والمعنى الثاني: تحقيق الحجة وإقامتها على المسيئين حتى إذا أخذهم العذاب كان لله عذر في عذابهم بعد أن استنفذت الفرص واقيمت الحجة.

٢٦٧٨. تفيد أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم، وفي المسألة خلاف بين العلماء، وهذا الخلاف يدل على خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاختلاف العلماء في حال من وقع فيه وعدم جزمهم بنجاته.

٢٦٧٩. فيها دليل على خطورة الاجتماع على المنكرات وفعل المعاصي؛ لقوله: ﴿نَسُواْ﴾ بالجمع.

٢٦٨٠. تفيد عظمة الرب جل وعلا وكمال قدرته؛ لقوله: ﴿أَنجَيْنَا﴾.

٢٦٨١. فيها التحذير من المعاصي والمنكرات وبيان عاقبتها الوخيمة.

٢٦٨٢. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن عذاب الله بمستحقيه، يتفاوت بحسب جرمهم؛ لأنه لم يكتف بقوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾، لكنه قال: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ وهو المسخ؛ بدليل ما بعدها: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]؛ وأي عذاب في الدنيا أخزى وأشق وأشد من المسخ؟ قال الله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٧]. قال الزجاج في معاني القرآن: ﴿بَئِيسٍ﴾: أي شديد، يقال بَئِس يَبْؤُس بَأْساً إِذَا اشْتَد.

٢٦٨٣. تفيد: التحذير من الظلم، وبيان سوء عاقبته؛ وإن كان المراد بالظلم هنا "الحيلة"؛ لكن العبرة بعموم اللفظ.

٢٦٨٤. كما يفيد الفعل ﴿وَأَخَذْنَا﴾قوة الأخذ والبطش وشدته للظالمين والمكذبين قال تعالى ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

٢٦٨٥. فيها أن ما وقعوا فيه من الظلم؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

٢٦٨٦. فيها استمرار ظلمهم وفسقهم مدة قبل أن يأتيهم العذاب؛ لقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾لأن كان تدل على الدوام والاستمرار غالبا، قال ابن عثيمين في منظومة القواعد: وكان تأتي للدوام غالبا وليس ذا بلازم مصاحبا

٢٦٨٧. فيها التحذير من الفسق وبيان سوء عاقبته.

٢٦٨٨. تفيد: وبضميمة اللاحق، أن المخالفة سبب في عذاب الله وتسليط الناس؛ لقوله لاحقا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يريد: ليسلطن عليهم من يذلهم ويهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة. فاعتبر يا هذا. وسب رجل وكيعا؛ فقال وكيع: زد وكيعا بذنبه؛ فلولاه ما سلطت عليه.

٢٦٨٩. فيها تقديم أفعال الفضل على العدل قال تعالى ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾، وفي البخاري في الحديث القدسي (إن رحمتي سبقت غضبي).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]

٢٦٩٠. تفيد عاقبة العتو والتكبر، قال تعالي في الحديث القدسي (العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته،) فلما تكبروا ورفضوا الانصياع لأوامر الله سبحانه بعد استعمال كل الوسائل الممكنة، مسخهم الله سبحانه قرده، فكانوا يعرفون أبناء عمومتهم من البشر وهم لا يعرفونهم فما أقسي هذه العقوبة، ولعذاب الآخرة اقسي.

٢٦٩١. تفيد أنّ الجزاء من جنس العمل، والعقوبة تناسب الذنب؛ وذلك لأنّ أعمال هؤلاء وحيلهم في الاصطياد يوم السبت لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن، وصورتها صورة المباح، ولكن حقيقتها غير مباح، كان جزاؤهم من جنس عملهم، حيث

مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة .[أفاده ابن كثير]

٢٦٩٢. تفيد مفردة العتو معنى زائدا على مجرد المخالفة للأمر فتحتمل الإصرار على المخالفة وما يتلبس بها من الخداع والحيلة مع من لا تخفى عليه الحيل سبحانه وتعالى وغير ذلك. وبالتالي جاءت العقوبة عاتية عليهم كعتو الريح الصرصر العاتية ولكن في مظهر آخر.

٢٦٩٣. فيها بيان لما أجمل من العذاب في الآية التي قبلها.

٢٦٩٤. فيها بيان لدرجة نسيانهم لذكر الله وأوامره ونواهيه في الآية التي تقدمت عليها، وأنه قد بلغ حد العتو على الله تعالى، والعياذ بالله.

٢٦٩٥. فيها بيان لقدرة الله تعالى التي لا تحدها حدود، وإنما أمره لما يريد بين الكاف والنون ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا...﴾ نظيره ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

٢٦٩٦. فيها، وبضميمة ما قبلها: بيان لعظيم ما حل بهم من العقاب؛ لأنه أخبر هنا عنهم بالعتو، وهو: مجاوزة القدر. ووصفهم في التي قبلها بالظلم والفسق؛ كل ذلك تمهيدا للعقاب الغليظ الذي حل بهم؛ وهو: المسخ. وعليه: فالحذر الحذر من الوقوع فيما نهى عن الله ورسوله، من المحرمات التي تكون سببا في المسخ؛ كما في الحديث الذي رواه البخاري تعليقا، ووصله غيره:"لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ".

٢٦٩٧. فيها: أنه لا يقدر على تحويل الصورة إلى أخرى، إلا الله وحده؛ لقوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: يعني: المسخ؛ بخلاف غيره من العقاب؛ كما في قوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾، - ونحو ذلك مما جعله الله واسطة في العقاب - بخلاف المسخ؛ فإن الله تولاه بنفسه؛ لأنه مما لا سبيل لأحد قط إليه إلا الله الخالق المصور؛ ولذا قال: ﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾، يريد: مباشرة بلا واسطة.

٢٦٩٨. تفيد: أن اقتحام المناهي، سبب في الشقاء.

٢٦٩٩. تفيد: قطع الطمع بعودتهم إلى صـورتهم الأولى؛ لقوله: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ وهذا يدلك على أنهم مـاتوا قردة. ونحوه: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٧-١٠٨]؛ فآيسهم من الخروج.

٢٧٠٠. فيها أن الله تعالى قد كتب الذلة والصغار على من خالف أمره.

٢٧٠١. فيها دليل على أن القول الإلهي قولان. قول ديني شـرعي. وقول قدري تكويني كما في هذه الآية.

٢٧٠٢. تفيد: أن الله سـريع العقاب؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ﴾عن النهي ﴿قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فجاءت الفاء مع الأداة (لما)؛ لعدم وجود فارق زمني كبير بين الفعل "عتوا" والفعل "قال"؛ ونظيره: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. وتصـديق ذلك ما بعـدهـا: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. والشاهد: "إِنَّ رَبَّكَ ﴿لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾. ولذا لم يقل: "ولما عتوا"؛ لكنه قال: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ﴾. وهذا يدلك على دقة القرآن في اختيار لا مجرد الألفاظ، بل حتى الأحرف. لو اسـتعرضـنا الآيتين لوجدنا ما يوهم بالتكرار وكأن الآيتين تشيران إلى عذاب واحد، ولكن الحقيقة أن الدلالة تقود لما هو أبعد من ذلك، فيقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٥-١٦٦]، فنلحظ وجود عذابين الأول هو العذاب البئيس والثاني هو المسـخ الى قردة خاسـئين، فالدلالة هنا أنهم عذبوا بعذاب بئيس لعلهم يرجعون، ثم لم يؤثر ذلك فيهم ففي المرة الأولى نسوا ما ذكروا به خصـهم الله بالعذاب ونجى الناهين عن المنكر، ثم أنهم اسـتمروا وعتوا عما نهوا عنه ولم يثنيهم العذاب عن فعلهم السـيء، وهنا تبع هذا العتوّ مسـخهم الى قردة خاسـئين حيث أنهم مع العذاب البئيس.

٢٧٠٣. فيها دلالة على جهل الإنسان وظلمه وكفره بعامة إلا من رحم الله عند إتيان ما نهاه عنه ربه وخالقه؛ وفيما نهاه عنه حتفه وهلاكه إذا واقعه كالفواحش، والربا، وقتل النفس بغير حق، وأكل ما نهي عنه كالخنزير والميتة؛ ونجاته إذا اجتنبه، قال تعالى عن جهل وظلم الإنسان ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وأن الإنسان لظلوم كفار ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

٢٧٠٤. فيها ذم العتو والاستكبار وأنه من أسباب العذاب والنكال.

٢٧٠٥. فيها أن القرد من الحيوانات المذمومة؛ لأنهم مسخوا في صورته، وفي هذا رد على اليهودي داروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء في زعمه أن أصل الإنسان قرد، وما أجهل من يصدقه فينزل نفسه إلى منزلة القرود وقد كرمه ربه وجعله من بني آدم عليه السلام. وقد سقطت هذه النظرية المتهافتة حتى في الغرب.

٢٧٠٦. فيها: رد على الزنادقة، الذين يزعمون أن الإنسان "أصله قرد"؛ لأن الله مسخ هؤلاء فحوّل صورهم الإنسانية الكاملة، والتي قوّمها الله وعدلها وشد أسرها وجعلها أحسن الخلق، إلى صورة قبيحة مكروه؛ فقال: ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: أشير إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧-٨]، وقوله: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]، خلقناهم وقوّينا خلقهم بتقوية مفاصلهم وأعضائهم وغيرها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

٢٧٠٧. وفيها أن الفعل ﴿تَأَذَّنَ﴾ يجري مجرى القسم لذلك جاءت لام القسم ونون التوكيد في جوابه ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾. ورد الفعل ﴿تَأَذَّنَ﴾ في موضعين ليدل على الاستمرارية والديمومة للعذاب في

حال الكفر كالآية موضوع التدبر، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ في حال الشكر.

٢٧٠٨. تفيد: أن الأسلاف، رضوا فعل الأجداد. وعليه: فمن رضي بفعل قوم، دخل فيه معهم.

٢٧٠٩. تفيد: أن اليهود، أذلاء وهي مضروبة عليهم إلى يوم القيامة؛ ولو تظاهروا بخلاف ذلك.

٢٧١٠. فيها: تشريف وعناية برسول الله؛ لقوله: ﴿رَبُّكَ﴾ فخصه بالخطاب.

٢٧١١. تفيد: أن اليهود أصروا على المخالفة والكفر، ولم يستغفروا.

٢٧١٢. تفيد آية من آيات النبوة فقد حصل لليهود عبر التاريخ هذا الذل والعذاب، ومن آخر ذلك ما فعله بهم هتلر في أوربا من الإبادة والحرق في أفران الغاز وغيرها وعرف ذلك عند النازيين الألمان بخطة الحل النهائي وكانت تتضمن الإبادة الشاملة لليهود.

٢٧١٣. فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بتوعد مخالفيه منهم بالعذاب إلى يوم القيامة.

٢٧١٤. فيها عناية الله تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام، وتدبير جميع شؤونه ومنها الذب عنه من خلال إضافة اسم الرب إلى ضمير خطابه عليه الصلاة والسلام.

٢٧١٥. فيها تقوية لقلوب المؤمنين بأن لا يخشوا من توعده الله بالعذاب إلى يوم القيامة.

٢٧١٦. تفيد مع ما قبلها أن سنن الله تعالى في معاقبة بني إسرائيل تنقسم إلى مباشرة ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وغير مباشرة ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. وهنا تظهر دقة التناسب وروعة التناسق بين الآيات القرآنية.

٢٧١٧. فيها التخويف مما وقع فيه بنو إسرائيل من الذنوب، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

٢٧١٨. تفيد: أن العبد إذا سلط عليه أحد، أن يلجأ إلى الله ليكشف عنه؛ لأن الله يسلط من يشاء على من يشاء؛ كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾. ونحو ذلك قول الله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

٢٧١٩. فيها: الجمع بين الخوف والرجاء، والترهيب والترغيب.

٢٧٢٠. تفيد: أن رحمة الله، غلبت غضبه.

٢٧٢١. في تقديم ذكر المغفرة على الرحمة لتدل أن الذنوب تحول دون نزول رحمة الله، ونظيره قوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾فالذنوب قد تحول دون دخول الجنة ابتداء وهي من أعظم رحمات الله تعالى ومحوها بالاستغفار. وعليه فالاستغفار والتوبة من أعظم حصول الرحمة قال تعالى عن دعاء نبيه نوح عليه السلام ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨]

٢٧٢٢. فيها أن الاجتماع رحمة والفرقة عذاب.

٢٧٢٣. فيها أن التقطيع في الأرض فيه إضعاف للأمم بعد قوة، وتفرق بعد وحدة؛ وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار.

٢٧٢٤. فيها أن البلاء إذا نزل عمّ حتى الصالحين لقوله بعد ذكر تقطيعهم في الأرض أمما ﴿ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾.

٢٧٢٥. تفيد: أن الله تعالى هو الموفق إلى الاجتماع وعدم الفرقة؛ لقوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾. وهذا عام.

٢٧٢٦. تفيد: أن بني إسرائيل، قد أنقسموا إلى فرق وجماعات كثيرة في بلاد كثيرة؛ دل عليه التشديد في قوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾، والتشديد للتكثير والمبالغة. قال البقاعي: " تَقْطِيعًا كَثِيرًا بِأنْ أكْثَرْنا تَفْرِيقَهم".

٢٧٢٧. تفيد: أن الله بالمرصاد لليهود، وأنه يكف بأسهم عن غيرهم؛ كما قال: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ لقوله: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ﴾، أي فرقناهم حتى لا يجتمعوا فتصير لهم شوكة. قال القاسمي في محاسن التأويل: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا﴾ أيْ فَرَّقْنا بَنِي إسْرائِيلَ في الأرْضِ، وجَعَلْنا كُلَّ فِرْقَةٍ مِنهم في قُطْرٍ مِن أقْطارِها، بِحَيْثُ لا تَخْلُو ناحِيَةٌ مِنها مِنهُمْ، تَكْمِلَةً لِإدْبارِهِمْ حَتّى لا تَكُونَ لَهم شَوْكَةٌ.

٢٧٢٨. تفيد خطورة اليهود على أهل الأرض؛ فإنهم مع فرقتهم وقلتهم، نالوا من غيرهم كل الذي ترى؛ فما الظن إذا اجتمعوا قاطبة وكثروا؟

٢٧٢٩. في ذكر الصالحين دون غيرهم في الآية المباركة فيه تنويه بفضلهم وشرفهم وإن شملهم الابتلاء.ولا يفوتنا، أن ننبه على ولاية الله للفئة الصالحة؛ فإنه تعالى كما قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. وكما قيل: "فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد أستدعى منه صرف تلك الرحمة عنه، فإذا تاب إليه فقد أستدعى منه ما هو أهله وأولى به".

٢٧٣٠. فيها دقة التعبير القرآني فقد ذكر الصالحين ثم قال ﴿وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَ﴾لتشمل جميع من نقص عن درجة الصالحين ممن كان نقصه يسيرا أو كبيرا من أهل البغي والضلال المبين.

٢٧٣١. فيها الثناء على القائم بحقوق الله وحقوق عباده وهو الصالح؛ لقوله: ﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

٢٧٣٢. الذي يظهر لي والعلم عند الله أن قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾تكون فيه النجاة من الإهلاك إذا غلب على أهل القرى المصلحون﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾، وقد يقع الإهلاك إذا كثر الخبث وقل المصلحون مع وجود الصالحين، فالصالح في نفسه قد تقع

منه المعاصي، وكذا المصلح وإن قلت فقد يشمله البلاء الذي يكون به تكفير السيئات ورفع الدرجات لوجود الإشارة إلى المصلحين في قوله تعالى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ..﴾الآية فمع وجود المصلحين- ويفهم من السياق قلتهم لاعتراض الصالحين على المصلحين بقولهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾- وقع تقطيعهم في الأرض. وبالجملة قد يرتفع الهلاك لكثرة المصلحين في القرى، وقد يقع لقلتهم مع وجود الصالحين والمفسدين.

٢٧٣٣. تشير إلى: أن المسلم ينبغي أن يرقى إلى مراتب الصالحين؛ لا أن يرضى بالدون؛ لقوله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وإنما صرح بالصالحين لشرفهم وعلو منزلتهم؛ وعرض بالظالم لنفسه والمقصد "دون ذلك". ولعل هذا من أسرار ورود قوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾، ولم يقل: "غير ذلك". وعليه: فتفيد قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأحقاف: ١٩]. وهذا فيه رد على ضعاف الهمم، الذين يقولون: لا يهم الالتزام في كل شيء، أهم شيء أن كذا وكذا. فيرضى لأخراه بالدون، على عكس ما يريد لدنياه!

٢٧٣٤. تفيد: أن الذنوب تتفاوت، وأنها كفر وفسوق وكبائر وصغائر؛ لقوله: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾. وهذا من الإيجاز البليغ. ونظيره – على لسان الجن –: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[الجن: ١١]، حتى أن فيهم المبتدع والسني.

٢٧٣٥. فيها أن الله تعالى كما يبتلي بالمصائب والضراء فهو يبتلي بالنعماء فالحسنات والسيئات هنا بمعنى النعم والمصائب.

٢٧٣٦. قدم الابتلاء بالحسنات مع السيئات؛ لأن الابتلاء بها أخطر فمع النعم تحصل الغفلة ومع المصائب يلجأ العبد إلى ربه ويرعوي ولذا قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالنعماء فلم نصبر".

٢٧٣٧. تفيد قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. فأكثر الناس يدركون أن الشر فتنة، وأقلهم من يتفطن أن الخير كذلك.

٢٧٣٨. تفيد: أن الموفق من يدفعه البلاء للرجوع إلى ربه؛ لا البعد عنه - نسأل الله العافية.

٢٧٣٩. تفيد: أن الخير والشر بيد الله وبقضائه؛ وهذا من الفهم عن الله؛ لا كمن قال الله فيهم: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾. ومن زعموا أن الخير من الله، والشر من غيره؛ وهؤلاء هم المجوس.

٢٧٤٠. فيها الحث على الرجوع إلى الله عز وجل والإنابة إليه خصوصا بعد عمل السيئات؛ لقوله﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

٢٧٤١. تفيد: أن من الناس من ترده النعمة، ومنهم من ترده السيئة؛ فمن الناس من إذا وسع عليه، علم أنه من الله فيرجع وينيب إليه. والعكس. والموفق من وفقه الله. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ قال البغوي في معالم التنزيل: بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون.

٢٧٤٢. فيها بيان حكمة الله من الابتلاء بالحسنات (الخير واليسر) والسيئات (الشر والعسر) وهي رجوع من طغى إلى الله تعالى في حال السراء ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، ومن قنط من رحمة الله في حال الضراء.

٢٧٤٣. فيها رحمة الله تعالى التي بها قد يتحول من به العسر إلى اليسر؛ ليشكر ويرق للفقراء وقد كان منهم، وقد يفقر الغني لينكسر من طغيانه ويصبر رحمة منه جل في علاه، فقد تكون الرحمة في الابتلاء فيتلمسها المؤمن في كلا الحالين.

٢٧٤٤. قد يشمل قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾الصالحين برجوعهم عن تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بجانب طلب رجوع العاصين.

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]

٢٧٤٥. تفيد: عدم التألي على الله؛ ولكن يُرجى سبحانه ويُتوسل إليه؛ لقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾. ومثله: الجزم بعدم مغفرة الله لمعين؛ فإن الله تعالى قد يقابل هذا بضده فيهلك العبد؛ كما في الحديث عند مسلم مرفوعا: "أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك " أو كما قال.

٢٧٤٦. تفيد أن من أسباب عدم التوبة والرجوع أن يأمن من عقاب الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

٢٧٤٧. تفيد: أن الكذب على الله لنيل الأجور الدنيوية الكثيرة والعظيمة، فمهما كثرت وعظمت فهي دنيئة رديئة قليلة بالنسبة للآخرة؛ لقوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ وتصديقه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢٧٤٨. تفيد: أن اليهود، أهل جرأة وكذب على الله؛ لقوله عنهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وتصديقه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.

٢٧٤٩. فيه خطورة الدنيا على أهل العلم، وأنها باب فتنة عظيم، فإن هؤلاء غرتهم الدنيا؛ ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾.

٢٧٥٠. فيها الحرص على المغفرة وطلبها وفضلها لحرص هؤلاء عليها مع غوايتهم.

٢٧٥١. تفيد خطورة الاغترار بالله وتمنى المغفرة مع الولوج في المعاصي، وتسويف التوبة.

٢٧٥٢. تفيد: أن ما يحصل عليه أعداء الله من ملك وتمكين بسبب تحريفهم لكلام الله، فهو زائل لا محالة؛ لقوله: ﴿عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾، والعرض: ما يطرأ ويزول. ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٧٥٣. تفيد أن الدنيا عرض زائل؛ وأحوالها متقلبة ومتغيرة ولا تبقى على حال واحدة؛ فالفطن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت؛ والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني؛ ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾.

٢٧٥٤. تفيد أن التحري في الحديث والنقل عن الله، من التقوى؛ وكلما زادت تقوى العبد، زاد تحريه في البلاغ.

٢٧٥٥. تفيد: تعظيم المواثيق والعهود، ووجوب الوفاء بها؛ والتي أعظمها "عهد الله"؛ وكما قال: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾.

٢٧٥٦. فيها عظم مسؤولية العلماء ولذلك أخذ الله الميثاق على هؤلاء؛ لقوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾.

٢٧٥٧. فيها أهمية دراسة كتب الله عز وجل واستنباط هداياتها للعمل بها؛ لقوله: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾.

٢٧٥٨. تفيد: أن دراسة وتعلم كتاب الله، تحمل على بيانه وتعليمه للناس على وجهه بلا تحريف؛ لقوله: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾، يريد: فعلوه عن علم، وكان الواجب عليهم ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وهذا مقتضى العلم بالكتاب.

٢٧٥٩. تفيد: أن من يتصدر لتعليم كتاب الله ومن يتعمد لي نصوص النصوص وتحريفها، فهو خائن مشابه لليهود.

٢٧٦٠. فيها: أهمية التقوى، والإشارة إلى ما أعده الله للمتقين.

٢٧٦١. فيها إثبات الدار الآخرة، وأنها خير من الأولى والحث على طلبها وأن من أسباب زيغ هؤلاء نسيانهم الدار الآخرة.

٢٧٦٢. فيها أن المتقين تتعلق قلوبهم بالآخرة لأنها خير لهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٢٧٦٣. فيها أن التعلق بالآخرة والحرص عليها يدل على كمال العقل؛ لقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٢٧٦٤. تفيد: أن العقل، زاجر عن الوقوع في المخالفات؛ لقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

٢٧٦٥. فيها قوة المقابلة في المناسبة لما قبلها: فالخلف الذين يقيمون على المعصية ويزعمون أنهم سيغفر لهم، يقابلهم المصلحون الذين يتمسكون بالكتاب ويهتدون بهديه ويرجون الرحمة والمغفرة وقلوبهم وجلة، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ وقوله ﴿...إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢٧٦٦. التمسك بالكتاب في الآية هو الاعتصام الذي أمرنا به والذي يقي من الضلال والتفرق الذي أصاب الأمم من قبلنا قال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٢٧٦٧. يفيد الفعل المضارع المضعف ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ دوام التمسك بالكتاب وقوته.

٢٧٦٨. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن القرآن مثاني؛ يثنى فيه ذكر المصلحين والمفسدين.

٢٧٦٩. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ فيها: أن التشديد في ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ يعني التوكيد على قوة الارتباط الوثيق به.

٢٧٧٠. أن المقصود ليس فقط مسك الكتاب وإنما الاستمساك به فيها ، وهذاكقوله قوله تعالى ﴿...خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقوله ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

٢٧٧١. أن من سار على نهج القرآن فلا يضل ولا يهان.

٢٧٧٢. على المرء فعل الاسباب الموصلة له سبحانه ومن ثم يبشر بالمعونة منه سبحانه والتوفيق.

٢٧٧٣. تفيد أن المرء هو الذي يعز نفسه (بطاعة ربه) أو يذلها(بمعصيته)، فبقدر إقبالك على الله وارتباطك به تكون العزة.

٢٧٧٤. فيها ان المتمسك بالكتاب ليس متشددا.

٢٧٧٥. فيها أن شرط نجاح السعي في الإصلاح التمسك بالوحي الهادي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ...﴾

٢٧٧٦. فيها: أن أي حركة إصلاحية لا تعتمد في إصلاحها الناس على القرآن العظيم فهي ناقصة وقد تكون منحرفة. فلما جاء الأمر لإمة الإسلام بالاعتصام والتمسك بحبل الله جميعا جاء الأمر صريحا بعده بما ذكر من حال الأمم من قبلهم أن تكون منهم أمة مصلحة تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؛ لتنال أجر المصلحين: وهو الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

٢٧٧٧. تفيد الأمر بقوة التمسك بالكتاب والسنة والاستمرار على ذلك والثبات عليه؛ لقوله: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ بصيغة المضارع ولأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ".

٢٧٧٨. قوله﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ولم يقل: أدوا أو فعلوا فيه دلالة على شأن الصلاة، فالإقامة تعني الاتقان، وخصت بالذكر هنا لأنها عماد الدين، ويكفيها عناية واهتماما أنها شرعت في السماء. قال البقاعي في النظم: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾وخَصَّها إشارَةً إلى أنَّ الأوَّلِينَ تَرَكُوها كَما صَرَّحَ بِهِ في آيَةِ مَرْيَمَ.

٢٧٧٩. ختم الآية ب﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾في دلالة على أن أي إصلاح في المجتمع يعتمد على من يمسكون بالكتاب ويقيمون الصلاة.

٢٧٨٠. فيها التنبيه على أن الإصلاح الحقيقي قائم على عنصرين:

الأول: الاستمساك بالمصدر المعصوم الوحي الإلهي كتابا وسنة ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ والاستمساك يقتضي قوة الاعتماد وعدم التفريط (عضوا عليها بالنواجذ)

الثاني: الانقياد بالتنفيذ وعبر عن ذلك هنا بأهم أعمال الجوارح وهي إقامة الصلاة. وما عدها تبع لها.

٢٧٨١. فيها تسلية للمصلحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر بثبات أجرهم، وعدم ضياعه وإن وجدوا الصد، والإعراض، وعدم الاستجابة من أقوامهم.

٢٧٨٢. فيها التنويه بعلو كعب المصلحين ورفعة شأنهم عند ربهم بذكرهم دون ذكر الصالحين.

٢٧٨٣. فيها رحمة الله بالمصلحين بعدم إضاعة أجرهم، ويستفاد منها أن الله يثبتهم على الاستقامة كما قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

٢٧٨٤. فيها إشارة إلى أن المصلح قد لا يستجيب له الناس، وأن الله لا يضيع أجر ثوابه على الدعوة.

٢٧٨٥. فيها أن إصلاح النفس بالتمسك بالكتاب والسنة وإقامة الصلاة يعين على إصلاح الآخرين وأن يكون المسلم من المصلحين.

٢٧٨٦. فيها الاستبشار والاطمئنان بثبات الأجر والثواب وبقائه وعدم ضياعه؛ لقوله﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

٢٧٨٧. فيها الأمر بالإصلاح؛ للثناء على أهله وبيان عظيم أجرهم وأنه محفوظ عند الله عز وجل لا يضيع منه شيء.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا

﴿فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]

٢٧٨٨. فيها: بيان عظيم قدرة الله؛ بأن اقتلع الجبل العظيم من أصوله ورفعه فوقهم هذا الارتفاع.

٢٧٨٩. فيها بيان عظيم رحمة الله تعالى، والتي منها تخويف عباده؛ ليتقوه، ويأتوا ما فيه خيرهم، قال تعالى ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

٢٧٩٠. فيها مناسبة ثانية لما قبلها وهي: لما تقدم بيان حال المصلحين المتمسكين بالكتاب بقوة، جاء في التالية الأمر صريحا لمن دونهم أن يأخذوا كتابهم بقوة.

٢٧٩١. فيها أن تغير الظواهر الكونية تكون تخويفاً للعباد عند الإخلال بشريعة الله تعالى.

٢٧٩٢. تفيد: أن الظن يأتي بمعنى "اليقين"؛ لأن السياق يدل على أنه أراد بالظن: العلم واليقين.

٢٧٩٣. تفيد أن استعمال وسيلة الترهيب والتخويف في العملية التربوية والتعليمية من الوسائل المناسبة والضرورية لبعض الفئات من البشر.

٢٧٩٤. تفيد: أن من الناس، من لا يصلح معه إلا الشدة والترهيب.

٢٧٩٥. تشير إلى: خطر الإعراض عن كتاب الله، وأن من تمادى في الإعراض تحل به قارعة أو تكاد؛ وفي فضائل الصحابة لابن حنبل: فأخذ بحجزته أو بجمع ردائه، ثم جبذه جبذة شديدة وقال: "ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ والله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة"، فقال له عمر: يا رسول الله، جئتك أؤمن بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله..." الحديث.

٢٧٩٦. فيها: أهمية التشبيه، والعناية به في الخطاب؛ لقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾.

٢٧٩٧. تفيد: أن الجبال مسخرة بأمر الله؛ وتصديقه: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

٢٧٩٨. تفيد أهمية وجود قوة رادعة في المجتمعات للمراقبة والمحافظة على الالتزام بتعاليم الشريعة الربانية، فإن الله عز وجل يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

٢٧٩٩. تفيد أنّ حياة العلم بذكره ومذاكرته ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾.

٢٨٠٠. فيها بيان أن تقوى الله تتحقق بأخذ الكتاب بقوة، وتذكر ما فيه من الحكم والأحكام والمواعظ والعمل بكل ذلك.

٢٨٠١. فيها بيان أن الإنسان يتعرض للنسيان بحكم الجبلة فيحتاج إلى إن يتذكر بنفسه أو يُذكره غيره.

٢٨٠٢. فيها الأمر بتعلم كتاب الله والعمل به بجد ونشاط.

٢٨٠٣. فيها تذكر العلم بكتاب الله وتعاهده ومذاكرته.

٢٨٠٤. فيها أن تعلم كتاب الله سبب عظيم للتقوى.

٢٨٠٥. فيها أن المقصود من العلم تقوى الله سبحانه.

٢٨٠٦. تفيد وجوب أخذ أحكام الشريعة بحزم وجد، وتذكرها وعدم نسيانها أو تناسيها، فإنها عهود ومواثيق بين العبد وربه.

٢٨٠٧. تفيد: وجوب العمل بما في كتاب الله، والتحذير من ضده؛ لقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾، من الأحكام والعقائد والأخبار ولا تتركوه؛ فإنكم إن فعلتم عرضتم أنفسكم للخسارة؛ وتصديقه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾. وقوله: ﴿نَسُوهُ﴾: أي تركوا العمل بالقرآن.

٢٨٠٨. تفيد: أن العمل بكتاب الله، ينجي من عذابه وسخطه؛ قال الله﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣]. والشواهد مستفيضة. وإذا كان سبحانه جعل الإنصات للقرآن بابا للرحمة، فما الظن بأخذه والعمل به؟ قال الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وجه ذلك: أنهم لو استجابوا وعملوا

بالكتاب، لما نتق الجبل وجعله فوقهم كأنه ظلة. ولك أن تقول: لولا أنهم أخذوه، لأوقعه عليهم ولهشم به رؤوسهم.

٢٨٠٩. تفيد: أن أوامر الله وتكاليفه كلها خير للعباد؛ كما قال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. وكما قال: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾.

٢٨١٠. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن كل إنسان أعطى الميثاق لربه أن يعبده ولا يشرك به شيئا، ولا سبيل إلى ذلك إلا بقبول بما أنزل إليه ربه. وعليه: فيرد به على شبهة بعض النصارى الذين يزعمون أن الله أخذ من بني إسرائيل الميثاق بالعنوة والغصب، وأنه" لا إكراه في الدين"؛ لقوله بعدها: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]. ولذا: فينبغي ويتأكد، إذا طرحت شبهة على آية من القرآن، أن ينظر في التي بعدها. ويعمل بما يجب عمله، كالنظر في السابق واللاحق والسياق... إلخ؛ فذلك أجدر أن تدرأ الشبهة. ونظيرها - أي ما بعدها - قول الله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[المائدة: ٧]، قالها بعد أن وجه لهم جملة من الأوامر والنواهي وعللها بقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ فكأنه يقول: سواء بينت لكم العلة من هذه الأحكام واني لا أريد بكم المشقة، فلا تنسوا الميثاق الذي أعطيتموه وأخذتوه عليكم ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾، فحسبكم هذا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

٢٨١١. فيها مناسبة لما قبلها: ذلك أن الله تعالى لما أقام الحجج على عباده بإرسال الرسل ودعوة المصلحين، وإنزال الكتب فيما تقدم من الآيات، أقام عليهم حجة أخرى في هذه الآية بأخذ الميثاق منهم وهم في ظهور آبائهم على الإيمان به.

٢٨١٢. تفيد الآية أن أعظم حجة على الإنسان إشهاده على نفسه.

٢٨١٣. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ فيها: أن الفطرة هي الإقرار بإثبات الربوبية لله وحده.

٢٨١٤. فيها: أن الله فطر الناس على الدين الحنيف القويم.

٢٨١٥. فيها: أن الفطرة قد تتغير وتتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة.

٢٨١٦. فيها: الحجة ثابتة وقائمة.

٢٨١٧. تفيد مكانة وقدر النبي عليه الصلاة والسلام لأن هذه الاضافة إضافة تشريف ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾..

٢٨١٨. تفيد أن أعظم ميثاق يجب أن يرعى في الأرض هو ميثاق التوحيد الذي أخذه الله على جميع ذرية آدم.

٢٨١٩. تفيد: أن الخلق، مفطورون على الإقرار بالربوبية ولا مناص لهم عنها ولا انفكاك؛ وكما قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. فالخلق كلهم عبيده وإماؤه. وعليه: فلا ينكر وجود الرب - جلا وعلا، إلا ظالم مكابر؛ وتصديقه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

٢٨٢٠. تفيد أن آدم هو أبو البشر، وأن الناس جميعا من أصل واحد فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

٢٨٢١. فيها أهمية كتابة العهود والمواثيق والإشهاد بين الناس؛ لما يعتريهم من الغفلة والنسيان.

٢٨٢٢. يفيد قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إضافة الرب إلى ضمير بني آدم إضافة رعاية وعناية تحملهم على رؤية ألطافه، وتدعوهم إلى عبادته ومحبته.

٢٨٢٣. فيها دليل الربوبية الذي يتضمن دليل الخلق والإبداع، والإتقان، والهداية والإحسان إلخ، ودليل الفطرة؛ وأنهما من أعظم أدلة الدعاة المصلحين التي تعينهم في دعوة المسلمين وغيرهم إلى الإيمان بربهم وإفراده بالعبادة.

٢٨٢٤. مشروعية تأكيد التعليم بالتقرير.

٢٨٢٥. تفيد: أن الإقرار من أقوى أنواع الشهادات.

٢٨٢٦. تفيد أن التوحيد يوافق الفطرة والعقل بخلاف الشرك.

٢٨٢٧. فيها أن كل بني آدم مفطورون على الإسلام ثم قد يقع الانحراف عنها، يؤيده ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا لفظ البخاري قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة -رضي الله عنه- ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)).

٢٨٢٨. تفيد أن الغفلة عن تحقيق التوحيد ضلال مبين وخسران عظيم يوم القيامة.

٢٨٢٩. تفيد أن إقرار الكافر على نفسه يوم القيامة لا ينفعه.

٢٨٣٠. فيها أن أعظم داء يصيب الإنسان هو داء الغفلة الذي يعمي القلوب والأبصار، ويصم الآذان عن الله وعن الوحي وعن العهود والمواثيق، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

٢٨٣١. فيها حجة على الملاحدة والشيوعيين؛ ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ فالقول بإثبات الصانع علم فطري ضروري. (درء تعارض العقل والنقل ٨/٤٨٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]

٢٨٣٢. فيها مع ما قبلها بيان لطبيعة النفس البشرية الأمارة بالسوء عند مواجهتها به؛ وبحثها عن مخارج وتبريرات ﴿أَن تَقُولُوا...﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا...﴾ لا تجدي نفعا؛ من قبيل المخادعة وعدم تحمل المسؤولية.

٢٨٣٣. فيها أن قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ في الآية المتقدمة يفيد كل أنواع التوحيد، وأن توحيد الألوهية من لوازم توحيد الربوبية؛ بدلالة فهمه له كما جاء في قوله ﴿...إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ...

﴾.الاعتراف بما فطر الله عليه العباد هو الإيمان بوجود الله ووحدانيته، ورميهم باللوم علي الاباء، وفي الحديث -(كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وهذا هو العهد الذي اخذه الله من بني ادم من ظهورهم وذريتهم وأشهدهم علي أنفسهم بالوحدانية والربوبية واعترفوا بذلك، لذا رموا اللوم علي المبطلين حيث لا ينفع الندم ولا التنصل، وعليه فالعاقل من عمل لما بعد الموت، واعتمد علي نفسه ولا يتمني علي الله الاماني، ويجاهد نفسه الأمارة بالسوء وهنا تتجلي أنواع النفوس علي كثرتها فالمؤمن يجاهد نفسه ليرفعها الي درجة الاطمئنان.

٢٨٣٤. فيها ذم التقليد.

٢٨٣٥. فيها أنه لا عذر للمقلدين بعد قيام الحجة عليهم وإعراضهم عنها.

٢٨٣٦. فيها أن من أكبر وأكثر شبهات البشر تقليد الآباء؛ ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٣]. فقال تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: وهم آباؤنا المشركون وتعاقبنا بذنوب غيرنا؟ وذلك لأنه قدر أنهم لم يكونوا عارفين بأن الله ربهم ووجدوا آباءهم مشركين وهم ذرية من بعدهم ومقتضى الطبيعة العادية أن يحتذى الرجل حذو أبيه حتى في الصناعات والمساكن والملابس والمطاعم إذ كان هو الذي رباه ولهذا كان أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه فإذا كان هذا مقتضى العادة الطبيعية ولم يكن في فطرتهم وعقولهم ما يناقض ذلك قالوا: نحن معذورون وآباؤنا هم الذين أشركوا ونحن كنا ذرية لهم بعدهم اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة ولم يكن عندنا ما يبين . . .

٢٨٣٧. فيها أن من اختلفت أقواله في القضية الواحدة؛ دل ذلك على كذبه ﴿أَن تَقُولُواْ...﴾﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ...﴾ يؤيده قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا

﴿تَخۡرُصُونَ﴾، ومما يؤكد أيضا كذبهم وأنهم اتبعوا آباءهم عن قصدٍ، وعمدٍ قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

٢٨٣٨. فيها أن من أسباب ضلال الإنسان؛ جهله بربه جل وعلا، وأسمائه وصفاته، وظنه أن الله لا يعلم كثيرا من أعماله واختلاف أقواله؛ فأرداه سوء ظنه بربه موارد الخسران، قال تعالى ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

٢٨٣٩. تفيد أن الشـــرك هو أبطل الباطل، وباعتراف من وقعوا فيه؛ ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾.

٢٨٤٠. تفيد أن الشـــرك أعظم أســباب الهلاك في الدنيا والآخرة؛ لقولهم: ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾.

٢٨٤١. فيها براءة الأبناء من آباء الضلال بقولهم ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾.

٢٨٤٢. فيها أن الهلاك واقع وحال بكل من نكص على عقبيه بترك عهوده، ومواثيقه التي أخذها الله عليه، ومنها عبادة الله وحده، وعدم والإشراك به.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤]

٢٨٤٣. فيها أن آيات القرآن مفصلة لكل من أراد الحق والرجوع إليه.

٢٨٤٤. تفيد أهمية تفصيل الحق عند بيانه للناس بما يجعل الحكم والحجة واضحة.

٢٨٤٥. فيها أهمية التفصيل في مقام التعليم.

٢٨٤٦. فيها تمام رحمة الله تعالى بخلقه بتفصيل الآيات لهم؛ ليرجعوا إليه؛ وهو الغني عنهم جل في علاه.

٢٨٤٧. فيها أهمية علم التفسير وعظيم أثره في الدعوة والحث عليه علما وعملا ودعوة.

٢٨٤٨. فيها الرد على الباطنية؛ لأنهم يزعمون أن الله لم يفصل آياته.

٢٨٤٩. فيها الرد على المتكلمين الذين يؤولون آيات الصفات وبعضهم قد يدعي أن ظاهرها كفر والعياذ بالله.

٢٨٥٠. في تفصيل آيات الله تعالى استبانة لسبيل المجرمين من سبيل المؤمنين، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، فلا عذر لهم بعد إقامة الحجة عليهم.

٢٨٥١. فلا عذر لهم بعد استبانة السبيل.

٢٨٥٢. فيها دلالة على أن تفصيل الله تعالى الآيات سنة ماضية منذ الأزل منذ أخذ العهد على بني آدم إلى قيام الساعة بدلالة التشبيه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾أي وكما فصلنا لهم الآيات حين أشهدتهم على أنفسهم بربوبيتي لهم فأقروا كذلك أقيم الحجة الدامغة والسلطان المبين عليهم من أنفسهم بالإقرار ونحوه

٢٨٥٣. فيها أن حتمية تفصيل الآيات لا يستلزم حتمية الرجوع إلى الهدى.. ولكن يبقى الرجاء والأمل في انفتاح القلوب لنور الحق.. فإذا كان هذا في شأن آيات الله تعالى.. فكيف بجهد داعية الى الله قليلة حيلة.

٢٨٥٤. فيها الحث على الرجوع إلى الله عز وجل والإنابة إليه؛ لقوله: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.أي: نبينها ونوضحها، وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إلى ما أودع الله في فطرهم، وإلى ما عاهدوا الله عليه، فيرتدعون عن القبائح، فالرجوع إلى الفطرة القويمة كفيل بغرس عقيدة التوحيد في القلوب، وردها إلى بارئها الواحد القهار الذي فطرها على الحق، وصرفها عن الجهل والتقليد.

٢٨٥٥. فيها ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾رد على العقلانيين، والحداثيين - الذين يزعمون أن الإسلام دين عقوبات وعذاب بالقبر، وبالنار. دون رحمة - بتفصيل الله تعالى للآيات هدايةً لعباده؛ لعلهم يرجعون إليه قبل أن ينالوا عقابهم؛ لعتوهم وتمردهم كما يدل الفعل المضارع ﴿يَرۡجِعُونَ﴾مع قوله ﴿وَلَعَلَّهُمۡ﴾على قبول الرجوع والتوبة إلى الله تعالى في الحال، والاستقبال ما لم تغرغر الروح في الحلقوم، أو تطلع الشمس من مغربها.

٢٨٥٦. في هذه الآية مع قصرها وقلة كلماتها إشارة إلى استحباب التنوع في أساليب التعليم والبيان ففيها التشبيه وتنزيل القريب منزلة البعيد والخبر والإنشاء والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد وفيها على أحد قولي المفسرين الذكر والحذف والعطف والاستئناف وهذا يطابق قول من يقول: البلاغة الإيجاز وقد حوت الآية كل أنواع الإيجاز

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]

٢٨٥٧. فيها أيضا مناسبة عامة لما تقدمها؛ من أن أسلوب القصة من الأهمية بمكان لتفصيل العلم وترسيخه بالنموذج الواقعي.

٢٨٥٨. فيها إشارة إلى أهمية دراسة التاريخ ومعرفة ما وقع عند الماضين الاستفادة من كل ذلك .

٢٨٥٩. فيها أهمية التخصيص بالدعوة؛ كل بالأسلوب الذي يناسبه: فمن الناس من يستجيب بالترغيب، وآخر بالترهيب، وآخر بالمثل، وغيره بالقصة.

٢٨٦٠. في تعدي فعل الأمر بحرف الجر ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إشارة إلى وجوب نشر هذا بين الناس وتعلمه لهم ليستفيدوا من ذلك في حاضرهم حتى لا يغتر أحد بعلمه.

٢٨٦١. زكاة العلم نشره والمحافظة عليه دون تحريف أو تأويل لا يليق به، وعلي المؤمن أن لا يغتر بإيمانه أو عمله الصالح فالعبرة بالخواتيم، وكان دعاؤه عليه الصلاةَ السلام يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وسؤال الله حسن الخاتمة، لأن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، كما في الحديث

٢٨٦٢. هذه الآية مثل لمن وعى آيات الله مفصلة فلم ينتفع بها ولم يرجع عن غوايته.. وأن من العلماء من هو ضال مع علمه.. وهذا فيه دلالة على أن العبرة بالسلوك والعمل لا بكثرة الكلام في العلم.

٢٨٦٣. في قوله تعالى ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ إشــارة إلى أن اتباع الآيات واســتخراج هداياتها والعمل بمقتضاها يتناغم مع الفطرة وأن البعد عنها بكل ألوان البعد فيه معاناة السلخ إذا كان من غير المسلوخ فما ظنكم بالمعاناة التي توجد حين ينسلخ هو من آيات الله سبحانه التي تحيط به من جانب وتلتصق به من كل جهة مثل جلده بالنسبة للحمه وعظامه.

٢٨٦٤. فيها أن الإنسان لا يأمن على نفسه الفتنة مهما كان علمه وصلاحه ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ..﴾.

٢٨٦٥. فيها تربية قرآنية عجيبة لأهل الإيمان بعدم التفصيل في جرائم أصحاب المعاصي وطرق فسادهم ومسالك فجورهم وسبل فسوقهم إذ لم يزد القرآن في الإخبار عن غوايته مع إيتاء الله تعالى آياته له إلا بقوله ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾. فلم يبين طرق انسلاخه منها حتي لا يتعلم من ذلك أعداء المسلمين وضعفاء النفوس ومنافقوا الناس وهم كثر.

٢٨٦٦. تفيد أن العلم فضل محض من الله للعبد فلا حول للعبد في أخذه ونسبته لاجتهاده وقوته.

٢٨٦٧. فيها قوة الترهيب لمن آتاه الله علماً فلم يعمل به ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾، وعليه من كان هذا حاله فليبادر إلى الرجوع إلى الله تعالى.

٢٨٦٨. فيها أن من ترك الحق بعد علمه؛ فلم يعمل به فقد تخلفت عنه هداية التوفيق فعامله الله بعدله.

٢٨٦٩. تفيد أن من الناس من يقابل نعمة الله بكفرها؛ فوجب شكر الله في الأمر عامة، وعلى ما أنعم من العلم خاصة، ومن صور شكر العلم العمل به، وبذله وعدك كتمانه.

٢٨٧٠. فيها أن لفظ الانسلاخ عن آيات الله يفيد التدرج بتراكم الذنوب فيتمكن حينئذٍ المنسلخ من الغواية، يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام" تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكت سوداء.." الحديث.

٢٨٧١. فيها أن الآية ابتدأت بالذم -وإن كانت في رجل من بني إسرائيل -إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر، فهي لكل من أعرض عن الله وآياته.

٢٨٧٢. فيها العلم على بصيرة سياج وطريق موصل لله، والمعرض منزوع منه العلم.

٢٨٧٣. فيها نتيجة الإعراض ضحك الشيطان من المعرض فيصبح من الهالكين.

٢٨٧٤. فيها هنا ضرب مثل لمن أعرض عن الله وهديه.

٢٨٧٥. تفيد أن النفس هي المتهم والمسؤول الأول عن أي انحراف عن الصراط بفعل المحظور أو ترك المأمور.. والشيطان دوره ثانوي.. ويؤيده قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ..وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ..﴾

٢٨٧٦. تفيد التحذير من الغواية وهي معرفة الحق والعمل بخلافه، عكس الرشد وهو معرفة الحق والعمل به كالخلفاء الراشدين.

٢٨٧٧. تفيد أن هنالك انتكاسة عن الحق لا عودة بعدها كما أن الجلد إذا انسلخ لا يعود مرة أخرى، فاللفظة دقيقة في اختيارها ودلالاتها.

٢٨٧٨. تفيد أن العلماء يتعرضون للفتن كغيرهم مع رفعة مكانتهم ومعرفتهم لمداخل الشيطان، فالواجب الحذر واليقظة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا زيادُ هل تدري ما يهدِمُ دعائمَ الإسلامِ؟ قلتُ: لا. قال: زَلَّةُ العالِمِ وجِدالُ المنافقِ بالقرآنِ وحكمُ الأئمَّةِ المضلِّين.

٢٨٧٩. فيها أن من آتاه الله القرآن عليه أن يعمل به ويتخلق بأخلاقه حتى يصير متصفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات.

٢٨٨٠. تفيد أن الآيات ينبغي أن تكون في حياتنا كالشيء المحسوس الملموس علما وعملا؛ لقوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ جعلها كالشيء المحسوس الذي ينسلخ منه، والله أعلم.

٢٨٨١. مشروعية تذكير الناس بالقصص.

٢٨٨٢. الاهتمام بموضع الموعظة من القصص والإعراض عن ذكر ما لا يحتاج إلى ذكره من التفاصيل والأسماء.

٢٨٨٣. من ترك الحق وقع في الباطل.

٢٨٨٤. في الآية إشارة بالغة إلى وجوب تذكير العلماء والدعاة والمصلحين أن يحمدوا الله تعالى على نعمه الكثيرة لا سيما نعمة الدين والعلم والصلاح وأن حالهم لم يكن مثل حال المنسلخ من آيات الله تعالى بعد أن أنعم الله عليه بها وتفضل عليه بإيتائه إياها وأن يسألوا الله تعالى الثبات على ما هم عليه وألا يزدروا أصحاب المعاصي فإن العبرة بالخواتيم

٢٨٨٥. فيها: أن قوله﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾فيها لغتان: قفاه، وحذا حذوه، أي: لحق بهم وسار على إثرهم. وهناك فرق بين أتبعته وتبعته، فأتبعته: أي تطلبه بعد ما يفوتك، وتبعته: أن تكون معه. هذا والله أعلم. ففي الآية إشارة إلى أن هذا النوع قد بلغ شأوا عظيما ومنزلة بالغة في الغواية لدرجة أن الشيطان يتبع خطواته ويسير خلفه وينهج منهجه ويسلك سبيله ليتعلم منه ويستفيد من كيفية إغوائه غيره

٢٨٨٦. فيها أن الشيطان يزين للإنسان المعصية فإذا وقع فيها ولم يرجع، ويتوب وأصر عليها، عندها يتبعه الشيطان فيدركه، ويستحوذ عليها؛ فيتمكن ذلك الإنسان من الغواية، والعياذ بالله.

٢٨٨٧. فيها شدة عداوة الشيطان للإنسان؛ خاصة أهل العلم منهم، فيتحين منهم السقطة ليتبعهم غيرها عقبها مباشرة؛ بدلالة فاء التعقيب ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ لخطر أهل العلم عليه بإحياء موتاه من الناس.

٢٨٨٨. تفيد أن كسب الإنسان سبب في تسلط الشيطان عليه؛ وفي الحديث: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان".

٢٨٨٩. تفيد أن هدف الشيطان الذي يريده من الإنسان صده عن الحق وعدم عودته إليه بعد ذلك لا مانع لديه من اتباعه، لأن صار من أنصاره.

٢٨٩٠. تفيد الضياع والضلال الذي يحصل لمن انسلخ من آيات الله البينات؛ قال السعدي: فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا. فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ بعد أن كان من الراشدين المرشدين.

٢٨٩١. فيها حرص الشيطان على إغواء العلماء لبغضه الزائد لهم، ولأنه بضلالهم يضل خلق كثير.

٢٨٩٢. تفيد جملة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ المبالغة في الاتصاف بالغواية من أن يقال: وغوى أو كان غاوياً؛ لأن في التعبير بفعل الكينونة ﴿فَكَانَ﴾الذي يشمل الزمان كله في كثير من استعمالات القرآن الكريم إشارة إلى دوام غوايته وأنه لم يتب منها ولم يرجع إلى الله تعالى بعد ذلك وقد جاء تفصيل ذلك في الآية التالية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

٢٨٩٣. تفيد أسباب الانسلاخ من آيات الله الذي ورد في الآية السابقة؛ وذلك بالخلود إلى الأرض واتباع الهوى.

٢٨٩٤. تفيد أن بعض الناس من يكون علمه سبب لهوانه وضياعه.

٢٨٩٥. تفيد أن الرفعة تكون بتعلم آيات الله والعمل بها ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾.

٢٨٩٦. فيها أن على أهل العلم أن يسألوا الله أن يرفعهم بالعلم.

٢٨٩٧. فيها إثبات المشيئة لله والجمع بينها وبين اختيار العبد.

٢٨٩٨. تفيد ما دل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾، والرفع المذكور يشمل الدنيا والآخرة.

٢٨٩٩. تفيد أن معاني الرفعة عند الله تعالى تتنافى مع معاني الاخلاد في الأرض؛ ولن تجد باحثا عن الرفعة في الدارين يركن إلى الاخلاد في الأرض؛ ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين تسامى وتعالى عن هذه الأرض واختار جوار ربه سبحانه وتعالى.

٢٩٠٠. تفيد أن من أعظم أسباب الانحراف عن الحق، والانسلاخ من الدين هو: حب الدنيا بالركون إليها، واتباع هوى النفس. قال عَبْدُ الحَقِّ الإِشْبِيليُّ رحمه الله في ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾: واعلم رحمك اللّه أنَّ لسوء الخاتمة أعاذنا اللّه منْها أسباباً، ولها طرقٌ وأبوابٌ، أعظمها: الإِكبابُ على الدنيا، والإِعراضُ عن الآخرة، وقد سَمِعْتَ بقصَّة بَلْعَام بْنِ بَاعُورَاءَ، وما كان آتاه اللّه تعالى من آياته وأطلعه عليه من بيّناته وما أراه من عجائب مَلَكُوته، أخْلَدَ إلى الأرض، واتبع هواه فسَلَبَه اللّه سبحانه جَمِيعَ ما كان أعطاه وتَرَكه مع مَنِ استماله وأغواه. انتهى.

٢٩٠١. تفيد أن الوحي والهوى ضدان لا يجتمعان؛ فمن لم يتبع ما جاء به الوحي، فقد اتبع هواه؛ وتصديقه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

٢٩٠٢. تفيد أن هذا العالم سعى إلى الإخلاد في الأرض فحقق الله له مراده فأخلد ذكره في الغاوين؛ وأشهر حاله في الآخرين؛ وعليه؛ فلأن يكون العبد ذنبا في الحق، خير له من أن يكون رأسا في الباطل؛ يضرب به المثل في الغواية والضلالة. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

٢٩٠٣. فيها أهمية ضرب الأمثال.

٢٩٠٤. فيها أهمية قص القصص.

٢٩٠٥. فيها ذم التشبه بالكلب، وهو مثل سوء؛ ولذا قال في الآية التي بعدها: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه". متفق عليه.

٢٩٠٦. يفيد ضرب المثل بالكلب الحقير دلالة على أنه سبحانه وتعالى لا يستحي من بيان الحقائق النفيسة عن طريق ضرب الأمثال بالأشياء الحقيرة، وقد صرح بهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾. شُبهت حالة هذا الخالد إلى الأرض المتبع لهواه بحال الكلب اللاهث في كل أحواله: في حال الحمل عليه بطرده، أو في حال تركه. والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن أوجه الشبه بين المشبه (المنسلخ من آيات الله) والمشبه به (الكلب اللاهث) -علما أن الصفة في المشبه به تكون أقوى من المشبه- وتبدو في أمور:-

الأول: أن الكلب معروف بحقارته ودناءته؛ وكذلك من ركن إلى الفانية واتبع هواه فهو حقير دنيء.

الثاني: أن الكلب يلهث في حال الحمل عليه بطرده، ويلهث في حال تركه واستراحته؛ وهذه حالة لا تتواجد في حيوان سواه؛ وكذلك المشبه فهو يلهث وراء الدنيا في حال اتباعه لهواه، أو في حال سكونه وخلوده إلى الأرض لا يهدأ له بال في كلا الحالين.

الثالث: تتعارك الكلاب حول مزعة لحم من بقايا طعام؛ وكذلك السافل الوضيع الذي لم يرفع رأساً بآيات الله تعالى؛ لا يأكل إلا من بقايا موائد أهل الدنيا وصدق...

٢٩٠٧. فيها هوان الكافر على الله؛ لقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾. وكما قال: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾.

٢٩٠٨. فيها أن التكذيب بآيات الله تعالى أسوء واقبح فعل يقع من القوم؛ ولذلك ضرب له هذا المثل البليغ الذي يمثل أقبح الأحوال في أرذل الحيوانات ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

٢٩٠٩. تفيد أن آيات الله عز وجل يجب أن تقابل بالتصديق والإيمان لا بالتكذيب والكفران.

٢٩١٠. يفيد قوله تعالى ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ..﴾ الأمر للنبي صلى عليه وسلم ولأمته في حياته ومن بعده، أن يقصوا للناس ﴿ٱلۡقَصَصَ﴾ القرآني الذي لا أحسن منه، ولا أكمل ولا أجمل من مواعظه، ودروسه وعبره؛ مع ميل النفوس ومحبتهم لأسلوب القصة.

٢٩١١. فيها تنويع أساليب الدعوة لعلهم يتفكرون.

٢٩١٢. فيها أن التفكر مفتاح للخير.

٢٩١٣. فيها أهمية العقل في الإسلام.

٢٩١٤. فيها: ذم الهوى.

٢٩١٥. تفيد أن العبرة بالخواتيم؛ وأن على العبد أن لا يغتر بما أوتي من المعارف، وما حاز من المفاخر واللطائف.

٢٩١٦. يفيد قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أن القصص القرآني من أرحب الميادين، وأفسحها لأعمال الفكر والنظر؛ واستلهام العبر من أخبار مَن غبر؛ التي قصها العليم الخبير في كتابه العزيز، وهو أعلم بما نحتاج إليه؛ لنقبل عليه جل في علاه.

٢٩١٧. يفيد الفعل المضارع ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ دوام إعمال الفكر في آيات الله تعالى بعامة، وقصص القرآن بخاصة؛ لأن عجائب القرآن لا تنقضي؛ وعبره ومواعظه لا تنتهي، فكلما أعدت فيها النظر ظهر لك ما لم يظهر لك من قبل؛ من الحكم والأسرار، والفوائد والهدايات.

٢٩١٨. تفيد: أن الغرض من ذكر القصص، هو التفكر فيها والانتفاع بها؛ لقوله: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾. فعلى الداعية إلى الله، أن تكون نيته في قصها لهذا الغرض؛ لا لغيره.

٢٩١٩. تفيد اهتمام الإسلام بالعقل والتفكير، بالأمر بالتفكر في أعظم ما يتفكر فيه وهو آيات الله الكونية والشرعية.. وهذا العموم دل عليه حذف متعلق التفكر في قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]

٢٩٢٠. تدل على انحصار المثل الوارد في الآية السابقة على من كذب بآيات الله ولا يصح حملها على المؤمنين والله أعلم؛ لكن يبقى أثرها وتأثيرها في النفس المؤمنة.

٢٩٢١. تفيد الآية بضميمة ما قبلها أن الانسلاخ من آيات الله تعالى يعتبر وجها من أوجه التكذيب والكفر بالآيات.

٢٩٢٢. تفيد أن انسلاخ العالم وارتداده من الدين أعظم وأخطر من انسلاخ الجاهل وارتداده؛ لأن حجة الله على العالم أقوى وأتم؛ وإعراض الله عنه أشد وأعظم؛ ولهذا كان مثله كمثل الكلب؛ وقد قال بعض أهل العلم: إن من كانت نعم الله في حقه أكثر، كان بعده عن الله إذا أعرض عنه أعظم وأكبر.

٢٩٢٣. تفيد مع ما قبلها ذم وتقبيح حال اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله والانسلاخ منها وخصوصا بعد قيام الحجة وظهور النبي صلى الله عليه وسلم؛ وبين ظلمهم لأنفسهم ونقلها من حال النفس الإنسانية السوية؛ إلى حال الكلب والحمار اللذين هما من أقبح وأخس وأنكر الحيوانات؛ لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٢٩٢٤. تفيد أهمية استخلاص العبرة من الأمثال والقصص في مجال التعليم والدعوة وبيان الأمثال الحسنة من السيئة ومدح الأمثال الحسنة ودم الأمثال السيئة

٢٩٢٥. فيها مناسبة لما قبلها بإعادة مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله تعالى؛ تأكيداً، وتشنيعا لسوء وقبح لما يقيمون عليه.

٢٩٢٦. تفيد أن النفس أمانة؛ يجب السعي لنجاتها، لا لإهلاكها.

٢٩٢٧. فيها أن وبال سوء المرء عائد عليه وحده، وأنه لا يضر إلا نفسه؛ أخذنا من تقديم المعمول ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾على العامل ﴿يَظْلِمُونَ﴾.

٢٩٢٨. يفيد قوله تعالى ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ أن أفعال الله تعالى تدور بين الفضل (الإحسان) والعدل؛ لا ظلم فيها، يؤيده قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ...﴾ الآية.

٢٩٢٩. فيها مع ما قبلها الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاد العبد إلى الشهوات، يكون سببا للخذلان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]

٢٩٣٠. مناسبة الآية لما قبلها أنها جاءت بمثابة المحصلة، والعبرة، والمآل لما تقدم في القصص، والمثل الذي ضربه الله تعالى.

٢٩٣١. فيها التنويه بحال المهتدين شرفا وربحا؛ وحال الضالين سفولا وخسارة.

٢٩٣٢. فيها الإشارة إلى هداية التوفيق التي لا يملكها إلا الله تعالى ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ يؤيده قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ...﴾ الآية.

٢٩٣٣. تفيد قوله صلى الله عليه وسلم (ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا وقدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، ومَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ فَقُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ أفلا نَتَّكِلُ؟ قالَ: لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾

٢٩٣٤. يفيد الفعل المضارع المجزوم ﴿يَهْدِ﴾ إشارة إلى حاجة العبد المستمرة إلى هدايات الله تعالى، وتوفيقه، وتسديده إلى ما فيه خيره؛ إلى أن تفارق الروح الجسد ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾.

٢٩٣٥. فيها ميزان الربح والخسارة.... فالربح الحقيقي هو بطاعة الله والاهتداء بهدايته.. والخسارة الحقيقة فهي بالبعد عن الله وتضييع أمره.

٢٩٣٦. يفيد تقدم المهتدين في الذكر وإظهار فاعل هدايتهم تشريفاً.. وأخّر الضالين وذكرهم بعاقبتهم ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ ترهيبا وتحذيرا منهم ومن فعلهم.. وحذف فاعل اضلالهم تأديباً لخلقه وتعليماً بأن الشر ليس إليه.

٢٩٣٧. فيها أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى؛ فعلينا أن نطلبها منه؛ ولهذا كان آكد دعاء ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم». رواه مسلم.

٢٩٣٨. فيها اشارة إلى أن طريق الهداية واحد فقط... وأن طرق الضلالة كثيرة كل من سلكها فهو من الخاسرين.

٢٩٣٩. قوله: ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ بالجمع يفيد كثرتهم وتنوع خساراتهم فهم خسروا الدنيا والآخرة وخسروا أنفسهم وأهليهم ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

٢٩٤٠. تفيد الآية عدل الله سبحانه وتعالى؛ فما جعل مصير هؤلاء جهنم إلا بسبب غفلتهم وبعدهم عن الحق؛ فقلوبهم لا تعي الحق، وأعينهم لا تبصره وآذانهم لا تسمعه سماع قبول وإذعان.

٢٩٤١. تفيد كثرة أصحاب الجحيم أعاذنا الله ووالدينا منها.

٢٩٤٢. تفيد إثبات جهنم والبعث وكمال علم الله تعالى وحكمته.

٢٩٤٣. تفيد التخويف من النار بتسميتها جهنم وهو اسم له دلالاته في الترهيب والتخويف.

٢٩٤٤. ففي الآية إشارة إلى أن الفهم والفقه عمل من أعمال القلب ودخول باء الآلة (الاستعانة الآلية) على الضمير العائد إلى القلوب دليل على أن آلة الفقه والفهم هي القلب كما أن آلة الإبصار في الآية هي العين، وآلة السمع هي الأذن.

٢٩٤٥. فيها إشـــارة إلى أهمية أعمال القلوب وأن المدار عليها القلب مكان التقوي كما في الحديث: (إن الله لا ينظر الي صـــوركم ولكن ينظر قلوبكم) فهو مكان نظر العبد وتقييم عمله، ومكان الإيمان، وقد يصـاب بالمرض بالنفاق، وفي دعاء الرسـول عليه الصـلاة والسـلام:(اللهم اني اسألك قلبا سليما، ولسانها صادقا) ، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣١٥/٩):" وبلغنا عن بعض السـلف قال القلوب آنية الله في أرضــه فأحبها إلى الله تعالى أرقها واصــفاها وهذا مثل حســن فان القلب إذا كان رقيقا لينا كان قبوله للعلم سـهلا يسـيرا ورسـخ العلم فيه وثبت واثر وأن كان قاسيا غليظا كان قبوله للعلم صعبا عسيرا"

٢٩٤٦. تفيد أن الله خلق هذه الأعضـاء، ليبحث أهلها على فكاك أنفسـهم مما يوجب لها النار؛ وذلك بالتوحيد والطاعة؛ فإذا لم يفعلوا كانوا كالبهائم بل أضل.

٢٩٤٧. فيها التحذير من داء الغفلة وأنها معطلة للانتفاع بأدوات الإدراك والمعرفة من القلب والبصر والسمع.

٢٩٤٨. تفيد أهمية هذه الأدوات (القلب، السـمع، البصـر) في الانتفاع بهم في معرفة الحق لمن وفقه الله تعالى، وأنها من النعم العظيمة التي يجب أن تسخر في طاعته.

٢٩٤٩. تفيد أهمية منزلة الفقه في الدين، وهو نوع الهدى.

٢٩٥٠. تفيد أن من عطل حواســـه من الانتفاع بها كان كمن فقدها؛ لأنه عطلها عن مقاصدها الحقيقية.

٢٩٥١. فيها أن الإنسـان له نظران، وسمعان: الأول السـمع والبصـر الذي تشـترك فيه الأنعام وســـائر الدواب معه، والثاني: سمع وبصــــر تأمل، وتفكر في آيات الله الكونية، وآياته القرآنية، العمل بموجبه؛ وهذا هو الفيصل، والفارق بين الإنسان والحيوان.

٢٩٥٢. تثبت الآية للجن القلوب؛ كما لهم الأبصار، والأسماع.

٢٩٥٣. فيها ذم الغفلة والغافلين ومفهومه الثناء على الذاكرين.

٢٩٥٤. فيها تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال، أي فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق.

٢٩٥٥. تفيد حقارة الكافر حيث أنزل إلى منزلة الأنعام ثم أهبط إلى درجة أقل تحقيرا له.

٢٩٥٦. تفيد تفضيل بني آدم، وأن هذا الفضل متحقق بفقه الشرع والعمل به.

٢٩٥٧. فيها أن الشبه بين من عطلوا أدوات العلم النافع عندهم (المشبه) بالأنعام (المشبه به)؛ من وجوه:

- الأول: عدم قدرة الإنعام على استخدام حواسها استخدم نظر، وتأمل؛ وتعطيل المشبه لأدوات النظر والتأمل عنده.
- الثاني: الأنعام تتبع شهواتها؛ وكذلك المشبه.
- الثالث: الأنعام تتبع سيدها، وراعيها دون أن تعقل حكمة الاتباع؛ وكذلك المشبه. وتتفوق الأنعام على المشبه بأنها لا تتناول ما يضرها.. وانفردت عنه بسلامة العاقبة. ولذلك كان المشبه أضل منها في الحال والمآل..
- الرابع: تغفل الأنعام عما وراء الموت، والبعث والنشور؛ وكذلك معطل أدوات العلم؛ لذا لم يعمل لذلك اليوم.

٢٩٥٨. وفي اسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾دلالة على بعدهم في الغواية، والضلال.

٢٩٥٩. تفيد عظم غفلتهم حتى كأن الغفلة مختصة بهم فقط؛ كما يفيده ضمير الفصل ﴿ هُمُ﴾.

٢٩٦٠. تفيد أن أعظم ما في الحياة معرفة الحق والعمل به والضال من غفل عن سبيل نجاته وسعادته.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

٢٩٦١. يفيدُ أنَّ كلَّ اسمٍ لا يُفيدُ في المسمَّى صفةَ كمالٍ وجلالٍ، فإنَّه لا يجوزُ إطلاقُه على اللهِ سُبحانه.

٢٩٦٢. تفيد أن الكمال المطلق لله وحده وليس لأحد سواه ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

٢٩٦٣. تفيد أن الله تعالى عرفنا من أسمائه الحسنى ما نتعرف عليه بها ونتعبد بدعائه والتوسل إليه بها.

٢٩٦٤. الدعاء في الآية يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

٢٩٦٥. تفيد بمناسبتها مع ما قبلها: أن كل من غوى، وضل عن الهدى فيه نوع جهل بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته كلٌّ بحسبه؛ ومن هذا الجهل: جهلهم بعلم الله بأحوالهم، وأعمالهم؛ وجهلهم بحفظه جل في علاه لها. قال تعالى ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.وقال تعالى ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

٢٩٦٦. تفيد أن العلم بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته من أعظم ما يعصم العبد من الغواية، والضلال.

٢٩٦٧. فيها أن العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم.

٢٩٦٨. فيها أن الدعاء بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا من أعظم أسباب إجابة الدعاء؛ لأن من بيده خزائن كل شيء أمرنا أن ندعوه بها.

٢٩٦٩. تأكيد استحقاقه تعالى لأسمائه الحسنى وثبات اتسامه بها، أفاده تقديم المجرور المسند على المسند إليه.

٢٩٧٠. من فوائد وصفها بصيغة الفعلي دلالة على أنها بلغت في الحسن والكمال منتهاه؛ ولذا فلا يوجد لفظ آخر يرادف هذا الاسم في الدلالة على معناه ومنه استنبط العلماء أن

الأسماء الحسنى غير مترادفه في الدلالة على معانيها بينما هي مترادفة في دلالتها على المسمى وذاته تعالى المقدسة ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ رداً على قولهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ..﴾ تفيد أن اسم الله الأعظم هو لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ لكونه هو الأصل؛ وسائر الأسماء مضافة إليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فأضاف سائر الأسماء إلى لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ ولم يقل مثلا: (وللرحمن أو الرحيم الأسماء الحسنى). فدل على أن اسم الله الأعظم هو ﴿ٱللَّهِ﴾.

٢٩٧١. تفيد كثرة الأسماء الحسنى؛ لجمعها ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾، ولذا اسماء الله الحسنى ليست محصورة في التسعة وتسعين اسما التي ورد الحديث في فضل احصائها، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك... أو استأثرت به في علم الغيب عندك" رواه أحمد وغيره.

٢٩٧٢. خطورة الانحراف في توحيد الأسماء والصفات.

٢٩٧٣. تفيد خطورة التمثيل والتعطيل لأسمائه تعالى وأن ذلك من الإلحاد فيها وهو الميل بها عن الحق.

٢٩٧٤. تفيد خطورة مصاحبة أصحاب البدع والأهواء من المعطلة والمشبهة في أسماء الله تعالى وصفاته؛ لقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾.

٢٩٧٥. تفيد إثبات الجزاء؛ لقوله: ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

٢٩٧٦. فيها أن العمل يطلق على القول والاعتقاد، لأن الإلحاد بالقول والاعتقاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]

٢٩٧٧. تفيد مدحاً لأمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لا نزال قائمة بالحق، كما روى قتادة وغيره. وبدليل أنه سبق أن ذكر قوم موسى بقوله تعالى ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ قال القرطبي في تفسيره: فدلت الآية على أن الله عز وجل لا يخلي الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق.

٢٩٧٨. فيها مِنَ الدَّلالَةِ عَلى صِحَّةِ الإجْماعِ ما لا يَخْفى، والِاقْتِصارُ عَلى نَعْتِهِمْ بِهِدايَةِ النّاسِ لِلْإيذانِ بِأنَّ اهْتِداءَهم في أنْفُسِهِمْ أمْرٌ مُحَقَّقٌ غَنِيٌّ عَنِ التَّصْرِيحِ بِهِ. ذكره أبو السعود.

٢٩٧٩. هذه الآية الكريمة ترسم التصور الإيجابي المتفائل للواقع حيث أشادت بمن يهدون بالحق ونعتهم بأنهم أمة بما يشعر بالوفرة والكثرة لأهل الهدى.. وهذا يقابل مسلك من يقول هلك الناس ولا يحفل الا بتضخيم الباطل وأهله كما وكيفا.

٢٩٨٠. يفيد التعبير ههنا بقوله: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾مع ما تقدم من التعبير في قوله: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ﴾ دلالة على فضيلة وعظمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث نسبهم سبحانه وتعالى إلى نفسه الكريمة الشريفة المعظمة بنون العظمة مما يدل على كثرة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وفضلهم وشرفهم وعظمتهم.

٢٩٨١. فيها بيان أن المعيار الحقيقي للهداية والعدل أن تكون بالحق.

٢٩٨٢. الهداية بالحق تقتضي تعلمه وتعليمه والعمل به والدعوة اليه.

٢٩٨٣. فيها وصفهم بأن فعلهم مطابق لقولهم.

٢٩٨٤. فيها تسلية للحبيب المصطفي ومن بعدة كافة الدعاة الى الله تعالي.

٢٩٨٥. تفيد مدحا عظيما لمن يقيمون الحق في أنفسهم وفي غيرهم ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾.

٢٩٨٦. تفير أن إقامة الله عبده لهداية الخلق وإقامة العدل بينهم فضل منه سبحانه وتعالى يستوجب منه الشكر والامتنان للواحد الديان؛ وفي هذا رد على المعتزلة القائلين بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى.

٢٩٨٧. تفيد أن أعظم المراتب وأزكى المطالب أن يوظفك ربك ويشغلك لهداية الخلق وإقامة العدل؛ وهي وظيفة الأنبياء والرسل والصالحين من عباد الله؛ وما كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة إلا من أجل ذلك؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾.

٢٩٨٨. يفيد التعبير بقوله ﴿يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾مع قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ دلالة واضحة على أن الهدايات القرآنية هي أعظم الهدايات وأجزلها وأكملها وأشملها وأعلاها منزلة؛ وبها يهتدي الخلق وتنتشر العدالة في الكون؛ ومن فضل الله على هذه المجموعة والقائمين عليها أن وفقهم الله تعالى لأعظم مشروع رباني وهو هداية البشرية بالهدايات القرآنية؛ مما يستوجب منهم الشكر لله عز وجل المنعم عليهم بهذه النعمة العظيمة.

٢٩٨٩. مناسبة الآية للآية التي تقدمت عليها: لما تقدم في التي قبلها بيان حال الضالين عن الهدى، الملحدين في أسمائه جل وعلا؛ جاء في هذه بيان أهل الهداية، والداعين إليها. وفيها مناسبة

٢٩٩٠. كما يدل حرف الباء في قوله (بالحق، وبه..) على قوة تمسكهم بالهدى وعملهم به، ودعوتهم إليه قال تعالى﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ ...﴾الآية.

٢٩٩١. قال البيضاوي في تفسيره: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾، ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضاً للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر".

٢٩٩٢. فيها إشارة إلى التعاون والتعاضد لإقامة الحق وهداية الخلق؛ لقوله: «أمة» التي تفيد أنهم جماعة قائمون بهذا الأمر، وقد قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

٢٩٩٣. فيها إشارة إلى الاستمرار على الحق والتواصي به والثبات عليه؛ يؤخذ من الأفعال المضارعة: ﴿يَهۡدُونَ..يَعۡدِلُونَ﴾.

٢٩٩٤. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

٢٩٩٥. تفيد أن الدنيا ليست هي مقياس الإيمان والصلاح؛ وذلك لأنه الاستدراج للكافر ببسط الدنيا له، حتى ينسي الآخرة ويظن الجهلة وقليلو الإيمان أنهم على حق كما هو حاصل في زماننا هذا من تفوق الغرب، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾.

٢٩٩٦. يدل استعمال السين في التنفيس على قرب استدراج الله للمكذبين، فهو قريب – وإن رآه المؤمنون بعيدا–. فيكون في الآية تطمين عظيم لقلوب المؤمنين، وتثبيت لنفوسهم على الحق؛ لأن أخذ الله للمكذبين قريب.

٢٩٩٧. يفيد قوله تعالى﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ على عظم الآيات في ذاتها؛ لأنها كلام الله العظيم.

٢٩٩٨. تفيد شدة أخذ الله تعالى للمكذبين بآياته؛ وذلك لأن أشق شيء على نفس الإنسان أن يؤتى من حيث لا يحتسب ولا يتوقع (يؤتى من مأمنه).

٢٩٩٩. تفيد أن من غمرته ألطاف الله وفاضت عليه نعمه وهو غارق في غفلاته فاعلم أنه من المحرومين وإن بدأت عليه النعيم.

٣٠٠٠. تفيد مع ما قبلها أن أهل العلم الهادين بالحق القائمين بالعدل هم أعلم الناس باستدراج الله تعالى للكفار المكذبين بآيات الله؛ وأنهم يهدون بالحق الجهلة ومحبي الدنيا ويحثونهم على عدم الاغترار بما عليه هؤلاء الكفار من النعيم وبسط الرزق وما هم فيه من زينة الحياة الدنيا؛ كما فعل الذين أوتوا العلم في قصة قارون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾[القصص:٨٠].

٣٠٠١. تفيد مع ما قبلها بيانا لصورة من صور الصراع بين الحق والباطل وبين الشر والخير؛ وبيان ذلك: أنه لا يرجى الخير وقبول الهداية والعدل ممن يستدرجه الله تعالى من حيث لا يعلم؛ لذا فهو سيزداد طغيانا وجبروتا على من يهدون بالحق وبه يعدلون؛ وبسبب ذلك يتولد الصراع بين الحق والباطل والخير والشر؛ لهذا قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾

ومن هنا يظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب وروعة التناسق بين هذه الآية وما قبلها وما بعدها.

٣٠٠٢. تفيد: الحذر من بطش الله وانتقامه؛ وأنه لا طاقة ولا قبل لأحد بعذاب الله؛ لأنه يستدرج العبد من حيث لا يخطر بباله؛ ومن ذلك أن يسلطه على نفسه؛ كما قال: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾. وهذا ما حصل مع النبي صلى الله عليه وأصحابه الذين كانوا يمثلون الأمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون؛ مع كفار قريش الذين كانوا يمثلون الذين كذبوا بآيات الله؛ كما قال تعالى في آية سورة القلم: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم ...﴾. فهاتان السورتان مكيتان.

٣٠٠٣. النهي عن استعجال الله بدعائه إهلاك الكفار والعصاة عاجلا غير آجل؛ لأن ذلك ينافي حكمته وحلمه، وقد قال الله لنبيه: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، وفي صحيح البخاري من حديث خباب بن الأرت حين طلب الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم ويستنصر لهم لم يجبهم وقال: (ولكنكم تستعجلون). وللفائدة لا يحفظ أي حديث صحيح في استعجال الله بعذاب الكافرين عاجلا غير آجل كما يدعو به كثير من الناس، والله أعلم.

٣٠٠٤. تفيد مع ما قبلها أن الذين يهدون بالحق وبه يعدلون؛ لن تكون طريقهم في نشر الهداية والعدالة مفروشة بالورود والازهار والرياحين؛ بل ستكون مليئة بالأشواك والمصاعب والمشاق، وستكون أيضا مفروشة ومزينة بدمائهم الطاهرة ومعطرة بأرواحهم الزكية؛ فهم عما قريب سيتصارعون مع قوى الشر والباطل ممن يستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣ – ١٨٤]

٣٠٠٥. تفيد سعة حلم الله تعالى فهو يملي ولا يهمل سبحانه.

٣٠٠٦. تفيد: على المسلم التروي والتفكير قبل البت في أي أمر.

٣٠٠٧. تفيد: أنه لا يقال من أسماء الله تعالى الكائد، فهذا الوصف وغيره كالنسيان والخداع، لا تقال إلا في مقابلتها مع وصف الكافرين ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

٣٠٠٨. فيها: أن الاستدراج والإملاء ضرب من الكيد.

٣٠٠٩. هناك مغايرة بين فعلي (نستدرجهم وأملي) الأول بنون العظمة والثاني بهمزة المتكلم وهذا التغاير يقتضي الفصاحة من جهة ثقل الهمزة بين حرفين متماثلين في النطق في ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ للتفنن والاكتفاء بحصول معنى التعظيم الأول.

٣٠١٠. فيها: لا فكاك أو الإفلات من عقوبة الله عز وجل؛ لأنها أتت من قوي سبحانه.

٣٠١١. فيها التحذير من الأمن من مكر الله سبحانه وتعالى خصوصا مع وجود الإملاء؛ "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" كما في الحديث المتفق عليه.

٣٠١٢. فيها تعظيم الرب جل وعلا وبيان عظمة صفاته؛ لقوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

٣٠١٣. تفيد الخوف من مكر الله تعالى وعدم أمنه؛ وأن الإنسان لا يدري هل هو مستدرج لما هو فيه من موفور العافية، والنعم؛ مع ضعف إقباله، وهمته على الطاعات، وأداء الواجبات، والدار الآخرة قال تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

٣٠١٤. التعبير بالصاحب، فيه توبيخ لهم على عدم مراعاة الصحبة الطويلة التي بينهم.

٣٠١٥. في التعبير بكلمة ﴿جِنَّةٍ﴾ في قوله تعالى ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ إيجاز بليغ حيث أشارت إلى نفي أمرين عن رسول الله ﷺ، الأول: نفي الجنون وقد جاء صريحا في قوله سبحانه ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، الثاني: نفي أن يكون به مس من الجن والجنة تطلق على الجن كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. وقد اتهموه بالأمرين فجاءت هذه الكلمة لتنفي عنه الأمرين ﷺ، وصف المصطفى عليه الصلاة والسلام ب ﴿نَذِيرٌ﴾= يشتمل على أهم الصفات: الصدق والرحمة

والشفقة......وغيرها، وصفه صلى الله عليه وسلم ﴿مُّبِينٌ﴾تشمل البيان اللفظي الواضح والبيان العلمي المتكامل.

٣٠١٦. فيها الأمر بالنظر إلى البراهين العقلية على صحة النبوة والرسالة؛ .

٣٠١٧. تفيد أن الصحبة تظهر خلال وخصال الصاحب فلا يخفى على صاحبه حاله.

٣٠١٨. تفيد أن الرسل والأنبياء في أعلى درجات الكمال البشري؛ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ونفي صفة الجنون عنه في هذه الآية يدل على كمال اتصافه بالعقل والحكمة..

٣٠١٩. تفيد أن الوصـــف بالجنون من الافتراء الذي يتكرر من الكفار والمشـــركين فنفاه الله تعالى في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾.

٣٠٢٠. حرص أهل الباطل على إشاعة الكذب عن الصالحين لتنفير الناس منهم.

٣٠٢١. التأسي بالنبي عليه السلام في صبره على الكافرين الذين كانوا يتهمونه بما ليس فيه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]

٣٠٢٢. فيها مناسبة لما قبلها: حيث تقدم في التي قبلها الإنكار على المشركين في عدم إعمال فكرهم في شأن صاحبهم عليه الصلاة والسلام؛ وفي هذه الإنكار عليهم في عدم إعمال نظرهم في ملكوت الله تعالى في السموات والأرض..

٣٠٢٣. فيها مناسبة ثانية لما تقدمها من الآيات: حيث تشابه المشركون في تعطيل نظرهم في آيات الله تعالى، مع الأمم الســالفة، حيث عطل المشـركون إعمال نظرهم في ملكوت الله تعالى في الســـموات والأرض، وعطل أولئك أدوات العلم عنـدهم من القلوب، والأعين، والآذان فاجتمعوا في الغفلة، وعدم الانتفاع من أدوات العلم ووسائله.

٣٠٢٤. الكون كتاب الله المنظور واللغة التي لا تحتاج إلى ترجمة، وهو من أقوى الدلائل على وجود الخالق ﷻ.

٣٠٢٥. العاقل من تفكر ورجع إلي الله حيث لا ينفع النظر والتفكير حين حضـــور الاجل وهو غير معلوم ولا محدد بعمر معين وقد يفاجأ العبد به في أي وقت.

٣٠٢٦. في الآية إشارة إلى أن من الوسائل المفيدة في مجال التعليم والدعوة طرح الأسئلة على المدعوين والطلاب لطلب الإجابة منهم حقيقة أو بقصــــد التعجب أو الإنكار أو النفي لتقوم الحجة عليهم من أنفسهم.

٣٠٢٧. في التعبير بالنظر دون التفكر في قوله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إيجاز بليغ مع الإيجاز بالحذف في ﴿أَوَلَمۡ﴾حيث شمل نظر العين بتوجهها إلى الشـــيء ونظر القلب بالفكر أو بالتفكر والأول فيمـا يمكن النظر إليـه بالعين كـالأرض والثـاني فيمـا لا يمكن كالسماوات وغير ذلك في بناء لفظ الملك على صيغة فعلوت كالرهبوت والرحموت إشارة عظم ملك الله تعالى في كل جوانبه.

٣٠٢٨. تفيد أن ملكوت السماوات والأرض والمخلوقات من أعظم دلائل التوحيد.

٣٠٢٩. تفيد أنه لا شـــيء في المخلوقات ينظر إليه العبد نظر تأمل وتفكر إلا وعرف الله من خلاله؛ ودله ذلك إلى خالقه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾، وفي كل شـــيء له آية تدل على أنه واحد.

٣٠٣٠. تفيد أن على العباد النظر في أحوالهم ومحاسـبة أنفسـهم قبل اقتراب آجالهم وقبل أن يفاجئهم الموت وهم في غفلة معرضون.

٣٠٣١. فيها إثبات القدر؛ لقوله: ﴿أَجَلُهُمۡ﴾قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾.

٣٠٣٢. فيها وصـــف القرآن الكريم بالحديث والحث على الإيمان به؛ لقوله﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾.

٣٠٣٣. تفيد وجوب مسـارعة العبد إلى الإيمان بالله تعالى من خلال ما يظهر له من دلائل على وحدانية الله تعالى؛ وعدم التسويف في ذلك حتى لا يهلك على الكفر فيدخل النار؛ فإن الموت يأتي بغتة؛ وكل ما هو آت فهو قريب؛ وعلى العاقل أن يسارع ويبادر؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾.

٣٠٣٤. تفيد أنه ينبغي للعبد أن يتذكر هذه العبارة القرآنية ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ وذلك كلما شعر بالتكاسل والتباطؤ في عبادة الله تعالى؛ أو شعر بالانصراف عنها؛ فإنه لا يدري متى يفاجئه الموت ويطرق بابه الأجل المحتوم؛ (فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت؛ والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).

٣٠٣٥. تفيد أن أعظم مرغب للعبد على طاعة الله تعالى والمسارعة إلى مرضاته جل وعلا هو الموت؛ ولهذا فإن على العبد أن يستشعر عند كل عبادة أو عمل صالح يقوم به أنه هو العمل الأخير له في هذه الحياة؛ ولعله أن يعقبه الموت والأجل المحتوم؛ ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾. ولهذا شرع للعبد أن يزور المقابر لأنها تذكر الآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]

٣٠٣٦. فيها مناسبة لما قبلها وهي: أن من أضله الله تعالى لن ينتفع بهدايات الآيات الكونية في ملكوت السموات والأرض؛ ولن ينتفع بهدايات الأنبياء والرسل، وأتباعهم البيانية الذين ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

٣٠٣٧. فيها مناسبة ثانية لما قبلها من الآيات: حيث أثبت الله تعالى العمه الذي هو طمس البصائر، وعمى القلوب للطغاة؛ كما ثبت لمن قبلهم من أصحاب القلوب لا يفقهون بها.

٣٠٣٨. تفيد: الهداية والضلال بيد الله تعالى. قال تعال ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

٣٠٣٩. فيها التخويف من الضلال وسؤال الله تعالى الثبات.

٣٠٤٠. تفيد: أن المعصوم من عصمه الله. وكما قال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾.

٣٠٤١. تشير إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ فلم يهد النبي عليه السلام عمه؛ لأن الله هو الذي أضله بسبب اختيار للكفر؛ كما قال: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾!.

٣٠٤٢. تفيد: أنه يجب على العبد أن يسأل ربه الهدى، ويستعيذ به من الضلال.

٣٠٤٣. فيها أن ضلال من أضله الله؛ إنما وقع بعدل الله الذي منع به فضله عن الطغاة المتمردين.

٣٠٤٤. تفيد أن أهل الضلال في حيرة وتردد وشقاء؛ لقوله: ﴿وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ نسأل الله تعالى العافية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

٣٠٤٥. فيها أن الكفار والمشركين رغم كفرهم ظاهريا بالقيامة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ إلا أنهم مع ذلك يكررون السؤال عن قيام الساعة ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧ والنازعات: ٤٢]، ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في ستة مواضع في القران، وغيرها، وإن كان على سبيل العناد تارة، بل زاد ذلك بالملاحّة والحرص والاستحفاء في السؤال عنها ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَا﴾ أن ذلك ناتج لما يتردد في قلوبهم من الإيمان بها والقلق من الشك فيها ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]

٣٠٤٦. على الداعية ألا يضيق صدراً بالأسئلة الموجهة إليه؛ بل يبذل وسعه في الإجابة والبيان عسى أن يكون سبباً في هداية ضال واطمئنان محتار.

٣٠٤٧.لا تنظر إلى جهالة وقتها – الساعة– فما يضرك، وإنما انظر إلى قطعية وقوعها وعظم شأنها فذا إن وعيت ما ينفعك.

٣٠٤٨.الفعل المضارع في الآية يدل على التكرار ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾في موضعين، وما ورد في السنة النبوية يدل كذلك على كثرة من يسأل عن الساعة.

٣٠٤٩.تفيد جهل أكثر الناس بالآخرة وما يتعلق بها.

٣٠٥٠.تفيد: أن أمر الساعة يشغل النفوس (أو يجب أن تكون كذلك)؛ ولذا عبر عنها بلفظ: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾، أي متى إرساؤها وثبوتها واستقرارها ومجيئها؟

٣٠٥١.تفيد أنّ علم الساعة من الغيب الذي لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا.

٣٠٥٢.في السؤال الأول جاء بعنوان الربوبية، وفي السؤال الثاني جاء بعنوان الألوهية، فالربوبية التي يقرون بها، يجب أن تقودهم إلى الألوهية التي ينازعون بها، وهذا من لطف الخطاب ودقته، في إيصال المطلوب بتدرج حكيم.

٣٠٥٣.اختيار أسلوب القصر بلا النافية وإلا، يفيد أن صور إتيان الساعة جميعها منفية إلا صورة واحدة وهي أنها ستكون بغتة، وفي ذلك تأكيد وتثبيت للمعاني المتقدمة في إثبات أن الساعة لا يعلم وقت إتيانها إلا هو سبحانه، وفي ذلك بيان كذلك أن التوقع البشري لا وجود له في أمر الساعة، لاسيما إن علمنا أن الخطاب يشمل جميع البشر.

٣٠٥٤.لما كان علم الساعة مختصاً به تعالى فقط ولا مجال لظهورها إلا في وقتها وبه فقط، ولما كان من ثقلها في سموات وأرض عظام وزد أنها تأتي فجأة... دل ذلك على هولها وشأنها مما لا يترك مجالا لعاقل أن يغفل عنها، بل لابد من استحضارها على الدوام، فينصلِح باعتبار ذاك اليوم هذي الأيام.

٣٠٥٥.يظهر ربط الساعة به تعالى (علمها عند ربي/ إلا هو / علمها عند الله) بعِظم أمرها مما يستلزم ألا تغيب عن بال مؤمن أبداً وأن تبقى دائماً في حسبانه، فالفلاح بعدها مرهون باستصحابها فيما قبلها. ستباغت رغم يقيننا بقدومها فلزم الإعداد لها على مدار اللحظة وبذا ينصلح حال المؤمن فلا يقرب حراماً ولا يكسل عن طاعة.

٣٠٥٦.فيها: جواز حذف ما يعلم؛ لأنه لم يرد السؤال المجرد عن الساعة؛ وإنما أراد "موعد الساعة". وعليه: فالسؤال عن أماراتها وما يكون فيها وما بعدها من أحداث، ليس داخلا في النهي ولا ريب؛ بل من جملة الدين. ولقول النبي: "وسأخبرك عن أشراطها". وعليه حمل: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٣٠٥٧.تفيد الاقتداء بالمصطفى عليه السلام بعدم السؤال عما لا ينفع والاكتفاء بما أراده الله لنا من العلم ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾. ولذلك كان جوابه صلى الله عليه وسلم لما سأله الأعرابي: متى الساعة؟ وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمر الإيجابي الذي يجب أن يطرحه على نفسه. فقال صلى الله عليه وسلم:(وماذا أعددت لها؟). ثم كان التعليق على الجواب بما هو أعظم بشرى وأوسع أبواب الرجاء (المرء مع من أحب).

٣٠٥٨.تفيد أهمية العلم وفضله ومنزلته وفضل أصحابه.

٣٠٥٩.تفيد ألَّا مكان لمحاباة القرابة أو غيرها في الدين وفي العلم، قولاً بتفسير ابن عباس: لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة، سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

٣٠٦٠. تفيد الآية: -أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد لله لا يملك نفعا ولا ضرا.

٣٠٦١. تفيد ضرورة لجوء العبد إلى الله تعالى في كل شيء طلبا للنفع ودفعا للضر

٣٠٦٢. مجيء ﴿نَفۡعٗا﴾و﴿ضَرًّا﴾نكرتين في سـياق النفي وتوسـط لا النافية بينهما يفيد عموم عدم معرفة شيء من ذلك

٣٠٦٣. التعبير في قوله تعالى: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي﴾دون لا أملك لكم، للاحتراز عن توهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يملك النفع لنفسه، وفي ذلك قطع الأطماع عن هذا المقام، ودفع دعاوى الأفاكين في التلاعب بعقول الجهلة من المسلمين.

٣٠٦٤. أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، وأن علم الغيب مختص بالله وحده.

٣٠٦٥. كفر وكذب من ادعى علم الغيب.

٣٠٦٦. تفيد: أن الإنسان لا يملك لنفسه شيئا أبدا إلا أن يشاء الله؛ حتى الضر، إذا أراده لنفسه فلابد أن يأذن فيه الله.

٣٠٦٧. فيها أنه لا يقع في ملكه وسلطانه إلا إذنه ومشيئته – سبحانه.

٣٠٦٨. فيها علمه سبحانه بأفعال العباد قبل أن تقع؛ لأن كون العبد لا يملك ضرا لنفسه إلا أن يشاء الله؛ دليل قطعي أن الله يعلم سلفا ما سيقع من العبد؛ وإلا فكيف يشاؤه سبحانه ولا يعلمه؟!؛ فقبح الله القدرية الغلاة.

٣٠٦٩. قُدِّم الاستكثار من الخير على نفي مس السوء؛ لبيان فضل الله تعالى على عبده، فهو يعيش في الخير، والمطلوب الاستكثار منه لا إيجاده، وفي ذلك شكر لله سبحانه وتعالى.

٣٠٧٠. في الآية دلالة قوية على كذب العرافين والمنجمين والكهان ومن على شاكلتهم.

٣٠٧١. في الآية تعليم المؤمنين أن يسلكوا مسالك الرد بالأدلة العملية الواضحة، فنفي علمه الغيب بهذا الدليل العملي، من أقوى الأدلة المقنعة في عدم معرفته وقت إتيان الساعة.

٣٠٧٢. التعبير بالمس دون الإصابة ومقارباتها فيه تعليم اختيار الألفاظ الأنسب بالمقام.

٣٠٧٣. تفيد: عدم الغلو فيه – صلى الله عليه وسلم.

٣٠٧٤. تفيد: أن هدي النبي عليه السلام وسبيل أهل الحق؛ أنهم لا يدعون علم الغيب بحال، ويخبرون أنهم لا يقدرون على شيء ولو لأنفسهم إلا بمشيئة الله.

٣٠٧٥. فيها نفي علمه صلى الله عليه وسلم فيما يخصه بعد نفي علمه فيما يعم العالمين، بمثابة الإثبات العلمي على عدم علمه الساعة على طريق القياس العقلي، فإذا كان لا يعلم ما يخصه فمن باب أولى لا يعلم ما يعم ، وفي ذلك رد على اتهامه بالجنون في سباق الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وإثبات الحماقة والغباوة لهم في ظنهم فيه ما ظنوا.

٣٠٧٦. فيها: رد وحجة دامغة، على كل من ادعى الغيب لنفسه أو لغيره.

٣٠٧٧. تفيد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو مبلغ عن الله ما يوحيه إليه ويأمره به ﴿قُل...﴾.

٣٠٧٨. فيها الحرص على إيمان المدعوين، والاستبشار باستجابة المدعو، ودفع التشاؤم من إعراضه: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

٣٠٧٩. تفيد أن أهل الإيمان هم الذين يستفيدون من مواعظ القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩]

٣٠٨٠. فيها توجيه الأنظار إلى التفكر في بداية خلق الإنسان، فبدلاً من السؤال عن الساعة وموعدها، على الإنسان أن يعرف أصل خلقه وغايته، ففيها ضمنياً أسلوب الحكيم؛ لأنها صرفت الأنظار عن الممنوع إلى المطلوب.

٣٠٨١. فيها تعليل الأفعال، أي أن جعله سبحانه وتعالى الزوج من النفس الواحدة لغاية السكن والطمأنينة.

٣٠٨٢. في الآية دستور الحياة الأسرية التي أرادها الله سبحانه وتعالى، من السكن والطمأنينة، والراحة، والشعور بالآخر، واتحاد المقصد، والاتفاق على الأهداف والغايات ما يسبق جميع الدساتير الاجتماعية والأسرية التي نادت به جمعيات حقوق المرأة والطفل والإنسان.

٣٠٨٣. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ وذلك: أنه لما تقدم سؤال الكفار عن الساعة ووقتها، وكان فيهم من لا يؤمن بالبعث ذكر ابتداء خلق الإنسان وإنشائه تنبيها على أن الإعادة ممكنة، كما أن الإنشاء كان ممكنا، وإذا كان إبرازه من العدم الصرف إلى الوجود واقعا بالفعل، وإعادته أحرى أن تكون واقعة بالفعل.

٣٠٨٤. فيها: بيان فضل الله على الناس، وأن جعل لهم من جنسهم ما يسكنون إليه؛ فلم يجعل لها جنا ولا حيوانا – مثلا –؛ وتصديقه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾. فواعجبا وقبحا لمن يشتهي من غير جنسه!

٣٠٨٥. في التعبير بقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾دلالة على وجوب اختلاف النوع بين أبناء الجنس الواحد في الزواج، وعليه ففي الآية دلالة قوية على تحريم زواج الرجل من الرجل والمرأة من المرأة

٣٠٨٦. فيها إشارة إلى التواضع وعدم الفخر بالأحساب؛ لأن الجميع من نفس واحدة "كلكم لآدم وآدم من تراب".

٣٠٨٧. تفيد بإشارة خفية إلى أن الأصل للمرأة القرار في البيت فإن السكن دائما يكون إلى مستقر.

٣٠٨٨. تفيد عظمة الله تعالى الخالق لكل هؤلاء الخلائق من نفس واحدة، وهو يرزقهم ويدبر أمرهم.

٣٠٨٩. فيها إشارة إلى أن الأصل في المرأة الهدوء والطمأنينة والسكن والأناة والتروي وما سمي المسكن مسكنا إلا لأن الإنسان يسكن فيه.

٣٠٩٠. تفيد تعلم حسن الأدب في اختيار الألفاظ التي تشير إلى النكاح ﴿تَغَشَّىٰهَا﴾ ما أجملها من عبارة وأرقها من لفظة، كقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾، وفي ذلك تعليم حسن العشرة والأدب الراقي في التعامل الزوجي حتى في أخص الأمور والابتعاد عن المسلك الهمجي البذي، وفيه أن تعليم مثل هذه الأمور مما لا يُخجل منه.

٣٠٩١. فيها: أن الله، حيي كريم يكني.

٣٠٩٢. تفيد: أن الأصل في الجماع ألا يكون غصبا؛ لأنه ذكر السكن، ثم ذكر الغشيان، أي: الجماع؛ فقال: ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ يريد: بعد السكن والطمأنينة حصل الجماع.

٣٠٩٣. تشير إلى: أن الذرية، هبة ومحض عطاء من الله؛ ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا﴾، أي أعطيتنا؛ وتصديقه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، يريد: نافلة وزيادة وليس فرضا علينا فعله.

٣٠٩٤. فيها: الشكر على عافية الذرية؛ لقوله: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وأشدهم شعورا لهذا، من ولد له من به علة لا تفارقه – أعاذنا الله.

٣٠٩٥. تفيد: مدحا للشاكرين، وأنه ينبغي أن يكون المرء منهم.

٣٠٩٦. فيها إشارة إلى أن الزوجين ينبغي أن يتعاونا على الطاعة والعبادة؛ لقوله: ﴿دَّعَوَا﴾ بصيغة التثنية، وقد وردت الأحاديث في فضل ذلك.

٣٠٩٧. فيها أن الدعاء لا يكون إلا لله رب العالمين..

٣٠٩٨. فيها الحرص على سلامة وكمال اعضاء المولود والعناية بذلك، وكانت عائشة رضي الله عنها لا تسأل عن جنس المولود هل هو ذكر أم انثى بل تسأل عن سلامة أعضائه؛ لقوله: ﴿صَٰلِحٗا﴾قال السعدي: صَالِحًا أي: صالح الخلقة تامها، لا نقص فيه.

٣٠٩٩. فيها تلازم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ لقوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾فالدعاء لله لأنه الرب سبحانه وتعالى. وهذا يدل على تناقض المشرك الذي يقر بالربوبية ويشرك في الألوهية.

٣١٠٠. تفيد مع ما بعدها أن أصحاب النفوس الخبيثة والأعمال السيئة لا يأتون بالقربات والأعمال الحسنة لله تعالى إلا على سبيل المعاوضة؛ مع أن الأصل والمطلوب أن تكون أعمال العباد خالصة لله تعالى في كل وقت؛ لا أن تكون فقط عند تجدد نعمة أو حدوث مطلوب للعبد.

٣١٠١. تدل على جهل الزوجين وعدم سعيهما إلى شكر الله إلا في حالة اتيان الله لهما ولدا صالحا؛ مع أنه ينبغي عليهما أن يكونا ملازمين لشكر الله تعالى في كل حال؛ ولهذا؛ فإن من كان دأبه مع الله تعالى مثل عمل هذين الزوجين لا يوفق إلى عبادة الله تعالى وطاعته.

٣١٠٢. فيها أنه ينبغي للعبد أن يتعلم كيف يدعو الله تعالى؛ ويتعلم كذلك آداب الدعاء؛ ويحذر من موانع استجابة الله تعالى لدعائه، فما فعلاه – هذان الزوجان– أشبه ما يكون بالنذر؛ لأنهما كانا ينتظران حصول مطلبهما ليأتيا بعبادة الشكر لله تعالى؛ وقد جاء في الحديث: (النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل). ولو أنهما قالا: اللهم آتنا صالحا وألهمنا شكر نعمتك لحصل لهما الأمران جميعا؛ فإن الله عز وجل لا يخيب من دعاه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]

٣١٠٣. تفيد من نعمة الله على عبده أن يرزقه الولد الصالح.

٣١٠٤. تبين هذه الآية عنصر المفاجأة والغرابة في صنيع البشر، وهي قريبة من قوله تعالى في سورة النحل: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، وهنا آتاهما ما طلباه فكان منهما الشرك في المطلوب، وهذا أدعى في استنكار أفعالهم وتقبيح تصرفاتهم.

٣١٠٥. فيها تنبيه ضمني أن الإنسان قبل أن يتعهد بصنع الخير عليه أن يتروى ويدعو الله تعالى أن يوفقه إلى فعل الخير، فهو متوقف على توفيقه.

٣١٠٦. الثقة المفرطة بقدرة العبد على الطاعة وكأنها ملك يمينه مع تناسي توفيق الله لذلك في الإعانة والرحمة قد يوقع العبد في مزالق المعاصي والشرك والعياذ بالله.

٣١٠٧. فيها تعليم التواضـــع، واســـتحضـــار توفيق الله للهداية عند الدعاء، فالوالدان زجَّا نفسيهما في مقام الشـاكرين، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ وهذا منافٍ للتواضع إذ مقتضاه توقيفه على المشيئة وإذن الله به، كما قال سبحانه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ وقال: ﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ وكما قال: ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ وهذا ما جهلاه عند الدعاء.

٣١٠٨. فيها أن الله سـبحانه وتعالى قد يسـتجيب دعاء من يقع في الشـرك، وهذا من سـعة رحمته وواسع فضله جل وعلا.

٣١٠٩. تفيد: تحريم الشرك بكآفة أنواعه.

٣١١٠. تفيد وجوب تنزيه الله تعالى عن الشرك.

٣١١١. تفيد الفاصلة القرآنية تنزيه الله سبحانه وتعالى عن شرك المشركين، على أن مقتضى الظاهر أن يكون هناك ذم مباشـر لهذا الصـنيع، كأن يُقال فبئس ما يشـركون، ونحوه، وفي ذلك توجيه الأنظار إلى تنزيهه سبحانه عما يفعل الجاهلون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٢]

٣١١٢. توحيد الربوبية ومشاهده من أعظم سبل تقرير توحيد الألوهية.

٣١١٣. إعمال الأدلة العقلية في الحوار والمجادلة.

٣١١٤. من أصول الدعوة امتلاك الداعية وقدرته على استخدام الأدلة المنطقية وخصوصاً في محاورة من لا يؤمن بالأدلة النقلية. وعليه: إعداد الداعية وتمكينه من هذه المهارات والقدرات خصـوصـاً في زماننا هذا؛ إذ لم تعد الشـبهات مقيدة في إطارها المكاني. جمع الداعية في حواره وجداله للأسـلوب المنطقي العلمي للإقناع بالإضـافة لإدارة الحوار نفسـياً – إن صـح التعبير- يُستفاد من أسلوب الاستفهام الاستنكاري في الآية المستخدم للضغط.

٣١١٥. فيهما خطورة الشرك.

٣١١٦. فيهما الفطرة السليمة تقابل الإحسان بالشكر والعمل.

٣١١٧. فيهما ضعف وخور الآلهة الأخرى التي لا تملك لنفسها نفعا أو ضرا ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا﴾.

٣١١٨. فيهما من عجز عن نصر نفسه فهو عن نصر غيره أعجز.

٣١١٩. فيهما ﴿يُخۡلَقُونَ﴾إشارة للأصنام بضمير العقلاء من قبيل الحكاية، فهم يعتقدون فيها ما يعتقدون في العقلاء وربما لأنهم مختلطون بمن عبد من العقلاء كالمسيح وعزير.

٣١٢٠. أفاد الاستفهام توبيخاً وتقريعاً وتسخيفاً لعقول أولئك المشركين بالله غيره، فما يصدر عن العقل السخيف من أعمال وأقوال وأفكار فهو متصف بصفة صاحبه.

٣١٢١. ذكر ﴿شَيۡـٔٗا﴾هنا لا لبيان أنهم إن خلقوا شيئاً حقيراً استحقوا العبادة؛ بل لبيان أن نفي صفة الخلق عنهم واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وهذا يؤكد هشاشة أذهان المشركين.

٣١٢٢. تفيد أن الخالق هو المستحق للعبادة؛ لقوله: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾.

٣١٢٣. فيها استقصاء الاحتمالات لتعلق المشركين بأندادهم فقد بيّن لهم أنهم لا يخلقون ولا ينصرون فهم لا ينفعون ولا يضرون فلماذا يعبدون.

٣١٢٤. تفيد أن المشركين لا يسلمون لحجة أن الخالق هو المستحق للعبادة، وإن ظهر لهم أن معبوداتهم لا تخلق شيئا؛ ولهذا فهم مستمرون على شركهم؛ لقوله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ﴾ ووجهه: أنه آثر الفعل المضارع على الفعل الماضي مع أن شركهم قد وقع؛ ولم يقل مثلا: (أأشركوا). ولهذا كانوا يقولون متهربين من هذه الحجة ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

٣١٢٥. تفيد الحجة البالغة على من يدعي خلق بعض الأشـــياء؛ وهو في ذاته مخلوق؛ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

٣١٢٦. تفيد أنه ينبغي للمحتج أن يختار العبارات في إظهار حجته ويجعل في اســـتدلالاته شمولية واتســـاعا؛ لقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾فذكر غير العاقل ثم ذكر العاقل؛ وكلا المسلكين شرك؛ وفي نسبة الشرك لهم لغير العاقل ﴿مَا لَا﴾ولم يقل (من لا) تسفيه لعقول المشركين حيث عبدوا غير العاقل بالرغم من أنها مخلوقات غير عاقلة؛ وهم مخلوقون عقلاء؛ ولهذا قال: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ومن خلق العاقل لا يعجزه خلق غير العاقل.

٣١٢٧. لا يخلو الإنسان من أعداء فهو يرجو الانتصار عليهم.

٣١٢٨. أفادت الآية أن لا أحد من المعبودين مهما ارتفع شأنه، أو علا أمره، بقادر على أن ينصر معبوده، أو نفسه.

٣١٢٩. تفيد بالمفهوم أن الله عز وجل هو الذي يخلق وينصر ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾.

٣١٣٠. تفيد أن كل شيء في هذا الكون بقضاء الله وقدره؛ وأن المنتصر والمهزوم إنما ينتصر وينهزم بقدر الله ومشيئته؛ ونسبة المشركين نصرهم لمعبوداتهم سفسطة لا تقبلها العقول السليمة؛ فلو سلمنا أن نصرهم مستمد من معبوداتهم فلماذا تعجز معبوداتهم عن نصر نفسها تجاه من أراد بها سوءا؛ ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾. وفي إيثار ضمير العقلاء ههنا في سياق النصر إشارة إلى أن النصر معنوي يدرك بالعقل ومن غير المناسب أن ينسب النصر إلى غير العاقل.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٣]

٣١٣١. فيها تســـفيه ضـــمني لعقول المشـــركين، فدعوة الأصـــنام إلى الهدى – مع العلم أنها حجارة لا تسمع فضلاً أن تتبع –لا يصدر؛ ولذا فالمراد من أسلوب الخطاب التنبيه على سفاهة المشركين، همزاً لعقولهم وتحريكاً لأفكارهم.

٣١٣٢. يفيد عودة الضمير في ﴿تَدۡعُوهُمۡ﴾إلى المشركين كما هو قول مجاهد والسدي شدة المشركين على عقيدتهم مع بطلانها.. فالمتمسكون بالعقيدة الصحيحة يجب أن يكونوا أكثر تشبثا بالحق.

٣١٣٣. تفيد شدة عناد الكفار والمشركين فهم يدعون إلى الهدى والرشاد والخير ومع ذلك لا يتبعون؛ ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾.

٣١٣٤. تنزيل المتبوع الصنم المصنوع من الحجارة منزلة التابع العابد المشرك، وذلك في تسوية الاثنين في عدم الاستجابة، كما قال سبحانه في آية سابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾وهنا جاء بيان معنى أضل، وهذا من التفسير السياقي.

٣١٣٥. فيها بيان أن صمتهم هو سيد الموقف، ولذلك اختار الاسمية على الفعلية، والاصل أن يتوافق العطف بين الجملتين إلا أن تكون هناك نكتة لأجلها كان العدول، فكأنه يقول لهم: الصمت هو المناسب لمن لا يسمع فضلاً أن يعقل، فضلاً أن يستجيب، ومن كانت دعوته كالصمت عنه استوى وجوده وعدمه.

٣١٣٦. فيها ترسيخ منهج الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، فليس الكلام دائماً مطلوباً، كما أن إظهار الحرص الزائد على المدعوين قد يحرك طبائع لؤمهم فيعقدوا الخناصر على باطلهم؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾فالتوازن هو المطلوب، ولا يدلك عليه إلا تفعيل الحكمة بحسب الحال والمقام.

٣١٣٧. فيها الحرص على دعوة الخلق وإن وجد منهم إعراض وعناد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]

٣١٣٨. في الآية تأكيد لما سبق من سوق الأدلة البرهانية الفطرية الدالة على بطلان الشرك وإقامة الحجج القاطعة على عباد الأوثان.

٣١٣٩. فيها: مناسبتها لما قبلها: تأكيد انتفاء قدرة الأصنام على النفع والضر، وكذلك بيانا وتعليلا لـ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ﴾.

٣١٤٠. فيها: أنه قد تطلق لفظة (عبد) على جميع المخلوقات العاقلة وغير العاقلة.

٣١٤١. فيها: إطلاق اسم العباد على الأصنام والتعبير عنها بضمائر العقلاء؛ لأنهم كانوا يصفونها بأوصاف تفوق أوصاف العقلاء بأنها معبودات وأنها تشفع وتقرب.

٣١٤٢. تفيد: أن التوحيد – العقيدة الإسلامية، مبناها على البرهان والصدق، بخلاف العقائد الأخرى؛ وكما قال: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[المؤمنون: ١١٧].

٣١٤٣. فيها أن العبد لا يعبد؛ لقوله؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾.

٣١٤٤. تشير إلى أن الدعاء هو العبادة.

٣١٤٥. تفيد أن كل من يدعون من دون الله عباد سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو أولياء لقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾وهؤلاء جميعا من دون الله تعالى فكيف بغيرهم من الأصنام والاوثان والأشجار والأحجار.

٣١٤٦. تفيد تحريك همم الخصم لدفع أوهامه بالقياس على الذات، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾أفاد أن الأصنام وغيرها من المعبودات لا تتميز بشيء عن بقية العباد، فإذا صحت العبادة لهن – على وهمكم – فلتصح لكم كذلك، وهذا لا تقرونه بحال، فثبت بطلان عبادتكم لها.

٣١٤٧. فيها إشارة خفية إلى إبطال دعوة الخصم الحقيقي الماكث خلف الأصنام، وهم خدمة الأصنام، الذين ينتفعون النفع الكبير من وراء الشرك، وهم الذين يتصدرون الدفاع عن أوهامهم وخرافاتهم وإقناع العوام بها، فكانت دعوة القرآن بالتلطف بعقول المدعوين، بتنزيل الآلهة منزلة المخاطبين ﴿أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾لفهم أن العبادة يجب أن تكون لمن يتصف بصفات لا تكون

للمخلوقين، وكان التوجيه القرآني: ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ بمثابة قلب الأوراق على خدمة الأصنام؛ لأن هذا الدليل عملي، ولا مجال للمناقشة في ألأمور التي تتطلب أعمالاً، وهي على حد قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، وفي ظني أن أسلوب القرآن في الحوار هو الذي استفز الملأ فجعلهم يرتكبون حماقات تزيد من كشف حقائقهم.

٣١٤٨. فيها تحد لهم في كونها تضر أو تنفع وأنها تستحق العبادة.

٣١٤٩. فيها﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم.

٣١٥٠. فيها أن حجج التوحيد وبراهينه العقلية من أبين الحجج وأوضح البراهين وذلك لشدة حاجة الناس إليها، وكلما كانت حاجة الناس للشيء أعظم كانت براهينه وحججه أظهر وأكثر وأتم.تحدي واضح في عدم قدرة هؤلاء لجلب نفع او دفع مضره وأبين مثال على موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من التدرج في عبادة الكوكب والقمر والشمس الدلالة على ضلالهم في الوحدانية وعبادة الله وحده ثم مكايدته لأصنامهم وتكسيرها واتهام فعلها لكبيرهم، وعجزهم عن محاورته وهذه وسيله قد تجلب العقلاء الي رشدهم، فالداعية مكلف بأن يخاطب الناس على قدر عقولهم

٣١٥١. أفادت الفاصلة القرآنية: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾دون أن يقول إن كانوا قادرين، تعليم الدعاة فن الحوار؛ لأن المقصود الأساس هو إثبات كذب صاحب الدعوى في استحقاق الأصنام العبادة، لا إثبات عدم قدرة الأصنام على الاستجابة، فهذه من المسلمات التي لا مجال للنقاش فيها، فأثبت ذلك أن الحوار يجب أن يكون مرتكزاً على نفي أصول الإشكال دون التطرق لفرعياته.

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]

٣١٥٢. في الآية مناسبة ظاهرة لما قبلها وهي: تنفير العقلاء ببيان قبح اشتغال من فضله الله تعالى على كثير ممن خلق بعبادة أوثان عاجزة.

٣١٥٣. فيها مناسبة ثانية لما تقدمها: ذلك لما أنكر الله تعالى عليهم عبادة من هم مثلهم في الخلقة؛ أنكر عليهم في هذه عبادة ممن هم دونهم في الخلقة والمثلية من الأوثان.

٣١٥٤. وفيها مناسبة ثالثة لما قبلها: ذلك لما تقدم نفي نصرة الآلهة لمن استنصر بها على نفي نصرة المستنصر بنفسه؛ تقدم في هذه الاستفهام الإنكاري بتقديم ذكر الأرجل التي يمشون بها في مصالح الداعين، والأيدي التي يبطشون بها دفاعا عن المستنصرين؛ تقدم ذلك على ما تحصل به المنفعة الخاصة من الأعين والآذان التي يستعين بها المستنصر بنفسه.

٣١٥٥. فيها فائدة التدرج في الحوار، حيث تدرجت الآيات في الحوار من نفي القدرة على الاستجابة للدعاء، إلى نفي القدرة على المشي والبطش والبصر والسمع، وهو تدرج من أعلى إلى أدنى، والغرض منه بيان وضوح عجز المشركين عن التفكر في معبوداتهم، وهو تسفيه ضمني وتقريع.

٣١٥٦. فيها إثارة لعقل الداعي من هؤلاء المشركين بقطع الطمع من رجاء جلب نفع أو دفع ضر من عاجز مثله أو دونه.

٣١٥٧. تفيد أن المعبودات الباطلة أضعف من عابديها.

٣١٥٨. فيها أن صاحب العقيدة الباطلة كصاحب الفكر المنحرف لا ينتبه لتناقضه وعوره.

٣١٥٩. تفيد: أنه لا مسوغ ولا وجه قط للمشرك في عبادته غير الله.

٣١٦٠. نفي هذه الحواس الأربع للأصنام دون غيرها من الحواس؛ لأنها وسائل العلم والسعي والنفع والضر والنصر فمن فقدها ولم ينتفع بها، فلا يستطيع نفع أحد أو مضرته.

٣١٦١. فيها أن مجيء حركة الأعضاء الأربعة على صيغة المضارع تدل على ديمومة عجز الآلهة من دون الله في كل زمان ومكان عن جلب نفع أو دفع ضر عن غيرها أو عن نفسها.

٣١٦٢. فائدة الإظهار فيما محله الإضمار مباغتة المخاطبين، ذلك أنه من مقتضى الظاهر أن يقول: (قل ادعوهم) فعدل عن مقتضى الظاهر إلى مقتضى الحال فقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾، للإلماح بأن الشركاء غير الأصنام، وأن الشركاء هم الذين يكيدون، وهم الذين يمكرون، وهذه الدعوة غير الدعوة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ فتلك مُحال تحققها، أما هذه فتحققها ممكن إن كان المراد بالشركاء القائمين بأمر الأصنام، ولذلك جاء عن الحسن أنه قال: "إنهم كانوا يخوفون الرسول عليه السلام بآلهتهم"، إذن حوارنا الحقيقي مع أولئك المخوفين الكائدين.

٣١٦٣. فيها أن من أقوى وسائل الدعوة تأثيرا في المدعوين قوة إيمان الداعي بدعوته، ويظهر ذلك في قوة خطابه ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ...﴾وقوة تمسكه بدعوته.

٣١٦٤. فيها: تربية المسلم على اليقين في الله والتقوي به.

٣١٦٥. تفيد: أن النفع والضر بيد الله وحده.

٣١٦٦. تشير إلى عصمة النبي من أن يقتله المشركون؛ لقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فلم يسمه غضب الآلهة كما كانوا يزعمون، ولم يصلوا هم إليه كما كانوا يريدون ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

٣١٦٧. تفيد أن الأنبياء أشد الناس ثقة في الله وتوكلا عليه؛ وتصديق ذلك ما حكاه الله على عن نبيه نوح – عليه السلام –: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[يونس: ٧١]. وما حكاه عن نبيه هود – عليه السلام – لما قيل له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[هود: ٥٤-٥٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]

٣١٦٨. لما بين سبحانه عدم قدرة الأصنام على جلب النفع ودفع الضر بين في هذه الآية أن الواجب على كل عاقل عبادة الله وحده الذي بيده منافع الدنيا والآخرة. وكذلك لما قال لهم عليه الصلاة والسلام استنجدوا بآلهتكم في ضري وأعلمهم أن الله قادر على كل شيء عقب هنا بالاستناد إلى الله والتوكل عليه وإعلامهم أنه ناصره عليهم.

٣١٦٩. فيها مناسبة ثانية لما قبلها: لما تقدم الإنكار على المشركين الذين يتولون العاجزين من أمثالهم، ومن دونهم من الأصنام؛ جاء في هذه بيان من هو أحق بأن يعتمد عليه، ويُركن إليه ويتولاه العباد ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ...﴾.

٣١٧٠. تفيد أن الصلاح سبب في ولاية الله للعبد.

٣١٧١. فيها الإيمان بكتب الله.

٣١٧٢. تفيد رفعة شأن هذا الكتاب العزيز، ووجهه تقييد وصف الله تعالى هنا به دون أي وصف آخر.

٣١٧٣. تفيد بإشارة خفية إلى مكانة أهل القرآن الذين جعل الله هذا الكتاب لقلوبهم وعاء، ولصدورهم نورا وضياء؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

٣١٧٤. يفيد ورود قوله ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ بين قوله ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ وقوله ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ فيه إلى أن الرقي والكمال والصلاح البشري يرتبط بحسب قرب وبعد الإنسان من مصدر الكمال ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

٣١٧٥. فيها أن تنزيل الكتاب هو الأداة الموصلة إلى الولاية، فلا تتحقق الولاية إلا على ضوء الالتزام بمنهج القرآن، ففيها رد على كل من ادعى الولاية بغير هذه الطريق.

٣١٧٦. فيها تكذيب صريح لمن زعم أن الله يرعاه ويتولاه ويرزقه؛ لأنه حصل على لقب الولي، فلقب الولي استحقاقه يكون بالصلاح على ضوء مفاهيم القرآن وقيمه.

٣١٧٧. الحث على تقييد العلم وتدوينه.

٣١٧٨. الحث على التوثيق بالكتابة في مهمات الأمور.

٣١٧٩. فيها قوة التوكل واليقين وحسن الظن وهذه ركائز عظيمة فتأمل.

٣١٨٠. فيها أن الصالحين لما تولوا ربهم بإيمانهم وتقواهم دون غيره تولاهم الله ولطف بهم وأعانهم على خيري الدنيا والآخرة.

٣١٨١. فيها مجيء الفعل المضارع﴿يَتَوَلَّى﴾للدلالة على استمرار التولي وتجدده وهي سنة إلهية.

٣١٨٢. ولاية الله تعالى تستمد من الإيمان بالكتاب الذي أنزله آية على وحدانيته وصدق رسوله.. وهذا الإيمان بوابة الصلاح.. ومن تولاه الله فلا خوف عليه؛ لأن الله عاصمه ولا يقدر عدوه عليه الا بإذن الله ومشيئته.

٣١٨٣. فيها تأصيل المفاهيم الشرعية، فالمفاهيم الشرعية تؤصل بناءً على أدلتها السلوكية، بخلاف المفاهيم الفلسفية التي تؤصل بناءً على أدلتها النظرية، وهذا فرق بين منهج القرآن، ومنهج اليونان، فمفهوم الولاية له دليلان اثنان؛ الأول: إنزال الكتاب، والثاني: تولي الصالحين، فالكتاب هو القاعدة الإيمانية والقيمية والحضارية التي ينطلق منها الأولياء في حياتهم، والتحقق من صدق هذه الانطلاقة هو تولي الله تعالى ورعايته لأولئك الأولياء.

٣١٨٤. فيها التحذير من أذية الصالحين؛ لأنهم أولياء الله. وفي الحديث: (من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب). رواه البخاري.

٣١٨٥. يفيد قوله ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾أنه سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وفيه تعريض بالخذلان لمن فقد الصلاح. قاله القاسمي محاسن التأويل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٧]

٣١٨٦. فيها بيان غاية عجز كل من عبد من دون الله.

٣١٨٧. فيها تأكيد واستمرار في سوق الأدلة الدالة على بطلان الشرك وعبادة غير الله ببيان ملازمة العجز والنقص للمعبودات من دون الله. مفهومها: أن الله، ينصـــر أولياءه. وهو العزيز الذي لا يغلب.

٣١٨٨. فيها أن طلب النصـر من أهم المطالب الإنسـانية، ففي الآية توجيه إلى طلب النصر ممن يملك النصر؛ وفي الدعاء العظيم في آخر سورة البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

٣١٨٩. فيها التأكيد على نبذ الشرك، وإفراد الله بالعبادة؛ ولأن له الكمال والجلال.

٣١٩٠. فيها تسفيه الكفار وآلهتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

٣١٩١. أهمية حاسـة السـمع فهي مقدمه على البصـر في كل القرآن، فهي أداة الفهم ولولا السـمع لما كان الكلام ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السـجـدة:٩]، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨] ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ [الجاثيه:٢٣] ومن تعسـر كلامه أنعدم فهمه ومن عبد غير الله عطل حواسـه، مفهومها: أن الله، يسمع ويبصر.

٣١٩٢. تفيد أن أعظم عمل يقوم به العبد المؤمن تجاه أي كائن في الوجود كائنا من كان حتى ولو كان جمادا؛ هي الدعوة إلى الهدى والهدايات؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾ ولم يقل مثلا: (وإن تخاطبوهم لا يسـمعوا). وعليه؛ فإنه ينبغي للداعية أن يحرص أشـد الحرص على الصدع بالحق ورفع صوت الهدى أمام كل كائن في الوجود؛ حتى ولو لم يكن مؤهلا للسـماع والرد والقبول. ويشـهد لهذا ما جاء من الأحاديث من أن المؤذنين أطول الناس أعناقا يوم القيامة؛ ولما رواه البخاري وغيره؛ قال عليه الصلاة والسلام:" لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة".

٣١٩٣. فيها توبيخ لعابد الصنم؛ كيف يعبد ما لا يسمع ولا يبصر؟! قال الله عن إبراهيم – عليه السلام –: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]. وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٣١٩٤. تفيد أن القرآن مثاني، يصدق بعضه بعضا لا اعوجاج فيه بحال.

٣١٩٥. تفيد أن العمى عمى البصيرة، وليس عمى البصر، فكم من أعمى صار دليلاً لمبصر.

٣١٩٦. هذه الآية أصل في التفرقة بين النظر والإبصار فالنظر هو توجه الإنسان ونحوه بعينيه جهة الشيء الذي يريد أن يبصره ويراه بها، رآه أو لم يره أبصره أو لم يبصره والإبصار هو تحقق الهدف من النظر ولهذا جاز أن تقول نظر الأعمى إلي وقال كذا أي وجه وجهه نحوي توجه الناظر ومنه قول المتنبي: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وهذه الدقة القرآنية تبرز المناسبة مع الآية الماضية ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾فإن القرآن لم يسأل عن مجرد وجود عيون للأصنام فالأصنام والتماثيل يعمل لها أو فيها عيون وآذان ونحو ذلك إنما سأل عن وجود عيون تؤدي عملها فتبصر، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦].

٣١٩٧. تفيد أن حاستي السمع والبصر من أعظم نعم الله تعالى على خلقه؛ وربما يفقد المخلوق الإدراك والإحساس عن طريقهما بالرغم من وجودهما؛ ولهذا قال تعالى في سورة الأنفال التي هي بعد هذه السورة: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

٣١٩٨. تفيد أنه لا الكفار ولا معبوداتهم أدركوا حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم حين النظر إليه ولهذا فهم لم يبصروا حقيقته عليه الصلاة والسلام والتي مفادها أنه رسول الله إلى الخلق أجمعين. وصدق الشاعر حين قال:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

٣١٩٩. فيها هوان الكافر على الله؛ لقوله: {﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ مع أن مقتضى الكلام أن يقال: "وتراهم ينظرون إليكم، يعني: المشركين؛ بقرينة:" وإن تدعوهم إلى الهدى"؛ لكنه عزف عنهم لاحتقارهم؛ وأقبل على نبيه يشرفه بالخطاب. وهذا من أسرار القرآن ودقة تعبيره. سبحانك اللهم. قال السعدي: وقيل: إن معنى قوله وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ أن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحسبهم ينظرون إليك يا رسول الله نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب، ولكنهم لا يبصرون حقيقتك وما يتوسمه المتوسمون فيك من الجمال والكمال والصدق.

٣٢٠٠. فيها بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدي الأمانة ومن ضل إنما ضل لعدم صلاح آلة السمع والبصر

٣٢٠١. فيها تسلية له ولمن بعده من الدعاة من العليم الخبير حين لا يسمع المدعو بعد البلاغ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

٣٢٠٢. فيها أصول الاخلاق ويشهد له ما صح من قول عبد الله بن سلام لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينةِ انجفلَ الناسُ وجئتُ فيمنْ جاءَ، قال: فلما تبينتُ وجههُ عرفتُ أن وجههُ ليسَ بوجهِ كذّابٍ، فكانَ أول ما قالَ:(يا أيها الناسُ أفشُوا السلامَ، وأطعمُوا الطعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصَلّوا والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنةَ بسلامٍ)، كذلك أنه عز وجل لما بين لنبيه عليه الصلاة والسلام توليه له وأن الأصنام وعابديها لا يستطيعون ضره، بين في هذه الآية المنهج القويم في معاملة الناس.

٣٢٠٣. فيها أن الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

٣٢٠٤. فيها أن هذه الآية مع آية المؤمنون ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..﴾وآية فصلت: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..﴾ولا رابع لها، فيها إرشاد إلى معاملة العاصي بالمعروف والحسنى، وهذا فيه توجيه للدعاة.

٣٢٠٥. هذه الآية أصل في التفرقة بين جهل الحلم وجهل العلم؛ لأن المقصود في هذه الآية جهل الحلم يقينا إذ لو قال أحد الناس إن المقصود هنا جهل العلم لتناقض كلامه هذا مع مهمة الرسول صلى الله عليه واله وسلم وهي البلاغ فكيف يأمره بالبلاغ ثم يقول له أعرض عن الجاهلين ولا تبلغهم الرسالة ولو قال إن القصد بلغهم ثم أعرض عنهم فهم عند الإعراض عنهم بعد البلاغ قد قامت عليهم الحجة فلبسوا بجاهلين.

٣٢٠٦. تفيد أن من الخلق الحسن عدم الاستقصاء؛ لقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾قال الحسن البصري: ما استقصى كريم قط!.

٣٢٠٧. فيها أن الإسلام يأمر بمكارم الأخلاق وفي الحديث الحسن: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه البيهقي.

٣٢٠٨. فيها مراعاة الإسلام للأحوال الإنسانية والأعراف المرعية فقد أمر بكل خلق حسن وفعل جميل.

٣٢٠٩. فيها أن أحسن ما يقابل به الجاهل هو الإعراض عنه؛ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

٣٢١٠. فيها ذم السفه والجهل، فلا يتصف المسلم بهما.

٣٢١١. فيها الأمر باكتساب الأخلاق الحسنة والاجتهاد في ذلك فالحلم بالتحلم؛ لقوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، فلا تقابلهم بجهلهم، فمن آذاك فلا تؤذه، ومَن حَرَمَكَ فلا تَحْرِمْه.

٣٢١٢. تفيد قمة البلاغة القرآنية وروعة الفصاحة البيانية؛ وذلك أنه شبه العفو بأمر محسوس يطلب فيؤخذ؛ فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ولم يقل مثلا: اعف أو اقبل أو ارض عنهم.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

٣٢١٣. فيها أنه بعد أن بين فقه التعامل مع جهلة الإنس. ناسب أن يبين في هذه الآية فقه التعامل مع شياطين الجن.

٣٢١٤. فيها تأكيد عداوة الشيطان لبني آدم والتحذير منه.

٣٢١٥. فيها أن النزغ حركة فيها فساد وقلما تستعمل إلا في فعل الشيطان. وهذه شاملة لكل نزغاته من الوسوسة وتزيين المعاصي والتثبيط عن الخير وغيرها من وسائل الإفساد.

٣٢١٦. فيها التنبيه الى الحصن الحصين من الشيطان الرجيم ونزغاته، وهو الاستعاذة بالله تعالى خالقه والقادر عليه منه ومن نزغاته؛ ولذا أمر الله تعالى بذلك في العديد من الآيات.

٣٢١٧. فيها المناسبة بين الاستعاذة وبين هذين الاسمين الكريمين: إنه هو السميع العليم. فيستجيب لك ويعيذك مما استعذت منه من هذه الآية ومثيلاتها استحسن بعض العلماء إضافة السميع العليم في الاستعاذة عند القراءة ونحوها: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح من حديث أبي سعيد الخدري وفيه تخصيص بعض صور هذا النزغ وهي: همزه ونفخه ونفثه فقد كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا قام من الليلِ كَبَّرَ، ثم يقولُ: سبحانك اللهمَ! وبحَمْدِكَ، وتبارك اسْمُكَ، وتعالى جَدُّكَ، ولا إله غَيْرُكَ، ثم يقولُ: اللهُ أَكْبَرُ كبيرًا، ثم يقولُ: أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ: من هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ. أخرجه أبوداود وغيره بإسناد صحيح.

٣٢١٨. تطبيقات عملية لهدايات الآية: روى البخاري (٤٦٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه

صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾وإن هذا من الجاهلين فو الله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه. وكان عمر وقافا عند كتاب الله.

٣٢١٩. تفيد أن الشيطان ينزغ عباد الله تعالى ليثنيهم عن معاملة الناس بالعفو والعرف، وأخصب مكان للشيطان في ذلك هو بعد المعاملة الحسنة، وهذا من أوجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها، فعندما يحسن العبد للناس بالعفو والعرف، ويجد منهم الإعراض وعدم الإحسان؛ فإن الشيطان يجد في ذلك مدخلاً للنزغ؛ لأجل ذلك جاء الإرشاد للاستعاذة، وهذا يفيد ضمناً، أن على العبد أن يربي نفسه على توقع السوء ممن أُحسن إليه، وأن لا يمنعه ذلك من ديمومة الإحسان، وأن يترك قول من قال: (ومنْ يصنع المعروفَ في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجيرُ أمِّ عامر) وكالقولة المشهورة: (اتق شر من أحسنت إليه) فكل ذلك لم يُبن على شرع الله، بل عليك أن تصنع المعروف في أهله وغير أهله؛ لأنه عائد عليك، وأن تتقي بالاستعاذة نزغات الشيطان.

٣٢٢٠. تفيد الآية أن علاج النزغ الذي يسبب ضيق الصدر والغضب، إنما يكون بالالتجاء إلى الله وحده، والاستعاذة من الشيطان الرجيم، وأن اللجوء إلى الناس في بث الشكوى يخالف إرشاد الآية وهدايتها، ولأجل ذلك جاء جواب ﴿وَإِمَّا﴾بالأمر بالاستعاذة بالله، دون ذكر المستعاذ منه وهو الشيطان، فلم يقل فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ذلك لتقدم ذكره، ولأن المقصود الأول في مثل هذه المواطن هو اللجوء إلى الله تعالى، ومخالفة ما اعتاده الناس من شكاية بعضهم لبعض.

٣٢٢١. تفيد عدم الاستهانة بالنزغ، فنزغ الشيطان تلو النزغ يؤدي بالمنزوغ إلى تراكم الوساوس في صدره، وتفاقم الهموم والغموم، مما يوقع العبد في أفعال لا تُحمد عقباها؛ لأجل ذلك جاء التنبيه بـ ﴿نَزۡغٌ﴾وهذه نكرة في سياق الشرط فأفادت العموم، اي: أي نزغ كان، وهذا يفيد دفع الاستهانة بالنزغ الشيطاني، فمهما صغر أو كبر فإن الاستعاذة واجبة.

٣٢٢٢. أفادت الآية ضرورة العمل بالإرشادات الروحية التي يستهين بها الناس، فتكثر معاصيهم وآثامهم لاسيما في الغيبة والنميمة وسوء الظن وإشاعة ثقافة ترك المعروف والعفو، بحجة أن الناس يتنكرون لأهل المعروف معروفَهم، وهذا يشجع البخيل على بخله، ويعين الكسول على كسله، ويثبت المتعاجز المتثاقل على عجزه، ويقطع أسباب الخير، فالاستعاذة بالله من نزغات الشيطان يثبت في النفس الخير، ويدفع غائلة الشر.

٣٢٢٣. فيها أن الاستعاذة عبادة فلا تكون إلا لله سبحانه وتعالى وحده؛ والاستعاذة بغير الله شرك، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

٣٢٢٤. فيها جميل عناية الله بخلقه وإرشادهم إلي ما فيه صلاحهم للكمال علمه بذلك.

٣٢٢٥. فيها أن الخطاب للنبي عليه السلام ويدل على أن الشيطان قد ينزغ أكرم الخلق فغيره أولى.

٣٢٢٦. فيها أن الرب سبحانه وتعالى علمنا كل ما ينفعنا ويضرنا ووجهنا أحسن توجيه وأتم علينا نعمه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

٣٢٢٧. فيها أن المتقي ليس بمنجاة من الوسوسة وغواية إبليس.. لكنه لا يستمرئ ذلك ويمضي فيه بل يعود من قريب.. وبالتالي لا ينبغي اعتبار أحد مهما بلغ تحريه التقوى أو الالتزام بريئا من الخطأ أو الضعيف أما الإغواءات والإغراءات.. أو الضعف أمام..

٣٢٢٨. الاستجابة السريعة والاختصار في الآية يشير إلى أن من صفات المتقين سرعة الإنابة.

٣٢٢٩. تشير المفردة (طائف) -على القراءتين كليهما- إلى الخفية والخفة في عمل الشيطان مما يستلزم حذراً وانتباهاً واستعداداً دائماً.

٣٢٣٠. التقوى تقي من الغضب.

٣٢٣١. فيها المناسبة: لما بين سبحانه في الآية السابقة أن النبي عليه الصلاة والسلام قد ينزغه الشيطان وأن العلاج هو الاستعاذة، بين هنا أن حالة المتقين أكثر.

٣٢٣٢. فيها التحذير من الشيطان ووساوسه.

٣٢٣٣. وفيها أن الانسان قد تأتيه فترات فيضعف (الهوى والشيطان).

٣٢٣٤. فيها هذا الطائف قد يمنع من رؤية الحق.

٣٢٣٥. ﴿نَزۡغٌ﴾﴿مَسَّهُمۡ﴾﴿طَٰٓئِفٌ﴾جامعها الخفية والخفة لتعطي تنبيهاً على صعوبة اكتشافها، والخلوص منها يكون بالالتجاء إلى السميع العليم.

٣٢٣٦. فيها التأمل بين التعبيرين وما يترتب عليهما من المعاني: ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ ..﴾ و﴿مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

- الشيطان مشترك، والمخاطب مختلف.
- عمل الشيطان نزغ في الأولى ومس في الثانية.
- في الأولى التعبير بالمضارع بعد حرف (إما)، وفي الثانية بالماضي بعد حرف (إذا).
- العلاج: الأمر بالاستعاذة في الأولى، والتذكر من الغفلة في الثانية.

٣٢٣٧. تفيد أن نزغات الشيطان، كثيرة ومتنوعة؛ لقوله: ﴿نَزۡغٌ﴾.

٣٢٣٨. تفيد أن من بركات التقوى، أن صاحبها لا يتمادى في الغي.

٣٢٣٩. تفيد مع ما قبلها أن اهتمام الشيطان في الوسوسة للعبد الكامل أعظم وأشد من اهتمامه في الوسوسة لمن دونه؛ ولهذا عبر أولا بالنزغ في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وثانيا بالمس في حق من دونه من المتقين، ومن أظهر الأمثلة على ذلك ما يحصل مع أولاد الصالحين حيث يهتم الشيطان بوسوستهم وإغوائهم أكثر من غيرهم؛ وذلك لمزيد أذية للعبد الصالح وحتى لا يصبحوا مثله في المستقبل متذكرين ومبصرين.

٣٢٤٠. في كلمة ﴿إِذَا﴾من قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾مع التعبير بفعل ﴿مَسَّهُمْ﴾الدال على إصابة غير مكينة، إشارة إلى أن الفزع إلى الله من الشيطان، عند ابتداء إلمام الخواطر الشيطانية بالنفس؛ لأن تلك الخواطر إذا أمهلت لم تلبث أن تصير عزماً ثم عملاً.

٣٢٤١. فيها التنبيه على عدم نسيان الله والآخرة وما فيها من العرصات.

٣٢٤٢. تفيد أنه ينبغي للعبد أن يبذل جهده في سبيل دفع غوائل الشيطان ومكائده ووسوسته، لقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾، ولم يقل (ذكروا)، ولا شك أن زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى، ومجيئها بصيغة المضعّف دليل على أهمية تكرار التذكر مرة بعد مرة حتى تذهب نزغات الشيطان.

٣٢٤٣. تفيد أن من لوازم بصيرة العبد المتقي مدافعة الشيطان والإحجام عن اتباع وساوسه وخطواته، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ولم يذكر ما بعد الإبصار، وذلك لشهرته واستفاضته وأنه من لوازم كونهم مبصرين مدافعتهم الشيطان وعدم اتباعهم سبيله، لهذا لا تجد عبدا أنار الله بصيرته يمضي متبعا خطوات الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾وذلك لكونهم مبصرين متيقظين غير غافلين.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]

٣٢٤٤. فيها أن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيًّا إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله، ولا يحجزهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه عن التمادي فيها والزيادة منها، فهو أبدًا في زيادة من ركوب الإثم، والشيطان يزيده أبدًا، لا يقصر الإنسي عن شيء من ركوب الفواحش، ولا الشيطان من مدِّه منه.

٣٢٤٥. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكر شأن المتقين في مدافعتهم طائف الشياطين، ذكر شأن أضدادهم من أهل الغي والضلال.

٣٢٤٦. تفيد شؤم أخوة الشياطين وتوليهم والالتجاء إليهم والاستعاذة بهم، وأنها لا تجلب للعبد سوى مزيد من التعاسة والغي والرهق، ولهذا قال تعالى مخبرا عنهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، وقال ههنا: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾. وهنا يظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب وروعة التناسق بين هذه الآيات.

٣٢٤٧. فيها بيان شدة أهل الباطل ومثابرتهم في الدعوة للضلال وجَلَدهم ومواصلتهم العمل وعدم التقصير والصبر وعدم اليأس والتواصي بينهم في ذلك بدليل﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾. ويشهد له ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ما فيه عبرة لأهل الحق بأنهم أولى بتلك الصفات

٣٢٤٨. تفيد أن الأخوة تستلزم النصح وعدم التغرير بالأخ وأزه للشر، فبئس الأخوة هذه المذكورة؛ وهذا تصديق لقول الله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾.

٣٢٤٩. فيها ذم الغي والغواية والتحذير منها.

٣٢٥٠. فيها التحذير من أصدقاء السوء والشر والاغواء ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٣٢٥١. في الآية بيان الوظيفة التكاملية بين شياطين الإنس والجن في إمداد الغواة بغوايتهم، وعدم تقصيرهم في ذلك.

٣٢٥٢. فيها أن كثيراً من الحجج التي تبدو عقلانية ومنطقية هي حجج شيطانية، بدليل: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾والإمداد هو إمداد التثبيت والإقناع، وذلك لا يكون إلا بما يُقنع الفكر حيناً وحيناً، ولذلك فإن من أولى أعمال المتقين طلب العلم؛ لأن به النجاة من طرق الغواة والغاوين، فأي حجة لا تُعرض على نصوص الوحي؛ فهي ساقطة حتى يثبت العكس.

٣٢٥٣. فيها دعوة لاختيار الأتقياء، ويعززه قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي"، وفي هذا الحديث لفتة تربوية إرشادية، وهي أن صفة الإيمان

كانت في الصحبة، بخلاف أكل الطعام فاختار لها صفة التقوى، وهي صفة أخص من صفة الإيمان، بل هي ثمرة من ثمراتها العظيمة، فالتقي يتحرج حين الأكل، فلا يأكل إلا الطعام الحلال، فإن أكل طعامك تقي، كان شهادة منه على صحة كسبك.

٣٢٥٤. أفاد حرف التراخي ﴿ثُمَّ﴾تراخياً رتبياً، مع حضور التراخي الزماني، ذلك أن الإصرار على متابعة الفاجر في فجوره، هي خطوة أساسية في تثبيت الأعمال، فلا فائدة من العمل دون متابعة ورقابة، فكأن أولئك الشياطين من الإنس يتابعون الغواة على غوايتهم، خوفاً من هدايتهم ورجوعهم عما هم عليه، وفيها تنبيه، على أن العمل الدعوي يحتاج إلى تخطيط ورقابة ومتابعة، فليس أولئك بأحرص من الأتقياء على أعمالهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]

٣٢٥٥. قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا ...﴾فيها: المناسبة: لما بين عز وجل أن الشياطين من الجن والإنس لا يقصرون في الإضلال والإغواء، بين هنا نوعا من إضلالهم وإغوائهم بطلبهم آيات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت وليس طلبا للحق.

٣٢٥٦. فيها أن ديدن أهل الكبر في كل عصر السخرية والاستهزاء والتعنت.

٣٢٥٧. فيها أن التعنت والكبر يصدان عن الحق.

٣٢٥٨. فيها تعنت الكفار وطلبهم للآيات مع أنها إذا جاءت لم يؤمنوا بها؛ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

٣٢٥٩. فيها أن لفظة ﴿بَصَائِرُ﴾ أتت بالجمع لأن في القرآن أنواعا كثيرة من الهدى.

٣٢٦٠. فيها: أن إفراد ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾لأنهما جنسان عامان يشملا كل ما يدخل تحتهما من معاني الهدى والرحمة.

٣٢٦١. فيها أن الرب المنان صاحب الفضل والإحسان، قد جعل القرآن بصائر لكل القلوب، وقد فاض إحسانه، وتمت منته لأهل الإيمان؛ فجعله لهم هدى ورحمة؛ يهتدون به في حياتهم، ويقودهم إلى جنات النعيم.

٣٢٦٢. تفيد: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾!؛ ولذا قال في تتمتها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إذ لو كانوا يؤمنون به، لكفاهم وما قالوا مقالتهم تلك.

٣٢٦٣. فيها أن النبي ﷺ لا يملك الآيات؛ ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾. ويتضمن ذلك النهي عن الغلو في الأنبياء والأولياء.

٣٢٦٤. فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالاتباع فغيره من باب أولى؛ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾فكل ما خالف الشريعة فهو من الأهواء.

٣٢٦٥. فيها فضل القرآن الكريم وأثره في الاستبصار والاهتداء في الظلمات والشبهات.

٣٢٦٦. فيها الأمر بالاهتداء بالقرآن الكريم؛ وذلك باستخراج هداياته ليهتدي بها.

٣٢٦٧. فيها أن القرآن رحمة للمؤمنين؛ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

٣٢٦٨. الاستماع والإنصات للقرآن من موجبات الرحمة.

٣٢٦٩. فيها منزلة القرآن إذ لا يوجد كلام تصل مرتبة سماعه للوجوب إلا هو.

٣٢٧٠. يفيد (استمعوا) وليس (اسمعوا) إرادة السماع والتفاعل مع المسموع.. إذ السماع قد يكون كرها كسماع الأغاني ممن لا يرغب ..ومع ذلك يجب أن يكون معه الإنصات والذي فيه السكوت عن الكلام مع تركيز الأذن وتحديث القلب مع المسموع.

٣٢٧١. فيها أن كثرة سماع القرآن ينمي الرحمة في قلب السامعP لأن رحمة الله تعالى تنال الراحمين لعباده.

٣٢٧٢. فيها ان الاســـتماع جالب الرحمة فكيف بمن عمل به وجعله منهاج للحياة، قال القاسمي: "لَمّا ذَكَرَ تَعالى أنَّ القُرْآنَ بَصائِرُ لِلنّاسِ وهُدًى ورَحْمَةٌ، أرْشَدَ إلى طَرِيقِ الفَوْزِ بِما انْطَوى عَلَيْهِ مِن مَنافِعِهِ الجَلِيلَةِ. أيْ وإذا قُرِئَ القُرْآنُ الَّذِي ذُكِرَتْ خَصائِصُهُ، فاسْتَمِعُوا لَهُ، أيْ: أصْغُوا إلَيْهِ بِأسْماعِكم لِتَفْهَمُوا مَعانِيَهُ، وتَتَدَبَّرُوا مَواعِظَهُ، وأنْصِتُوا لِقِراءَتِهِ حَتّى تَنْقَضِيَ، إعْظامًا لَهُ واحْتِرامًا، لِكَيْ تَفُوزُوا بِالرَّحْمَةِ الَّتِي هي أعْظَمُ ثَمَراتِهِ".

٣٢٧٣. تفيد أنه ينبغي للمؤمن أن يستمع وينصت للقرآن الكريم بصوت أي قارئ كائنا من كان؛ لقوله تعالى بصيغة المجهول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وليس كما يفعله بعضهم – مع الأسف- أنه لا يستمع ولا ينصت إلا إذا كانت القراءة بصوت قارئه المفضل.

٣٢٧٤. تفيد أن القرآن الكريم أنزل ليقرأ لا ليهجر؛ وأن كل العباد مأمورون بقراءته وعدم هجرانه؛ وأنه لا فرق بين أن يقرأ بصوت مشهور أو مغمور، ولا أن يقرأه عالم أو جاهل بفنون القراءة.

٣٢٧٥. تفيد عظمة كلام الله تعالى وعظيم نفعه حيث أوجب الاستماع والانصات إليه وبين ثمرة ذلك.

٣٢٧٦. تفيد وجوب الاستماع لقراءة الإمام في الصلاة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أجمع الناس على أنها نزلت في الصلاة، وأن القراءة في الصلاة مرادة من هذا النص. (مجموع الفتاوى ١٨/٢٠) وفي الحديث:" وإذا قرأ فأنصتوا". رواه مسلم.

٣٢٧٧. تفيد: الفرق بين الاستماع والانصات.

٣٢٧٨. فيها أهمية الأمرين معا (الاستماع والإنصات)؛ قال السعدي: والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلما غزيرا، وإيمانا مستمرا متجددا، وهدى

متزايدا، وبصـــيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصـــول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

٣٢٧٩. فيها أن ذكر الله هو زاد المؤمن ســرا وجهارا صــباحا ومســاء ليحميه من داء الغفلة والضياع.

٣٢٨٠. فيها: أن الذكر، مبناه على التذلل لله والخوف منه. والدعاء من جملة الذكر وهذا من أهم الإجابة.

٣٢٨١. فيها دليل على أن الذكر، يجب أن يواطئ القلب فيه اللسان.

٣٢٨٢. فيه إشارة إلى: فضل وأهمية اذكار الصباح والمساء.

٣٢٨٣. فيهـا: رد وحجة على من يجهر بالـذكر ويؤذي بـه غيره؛ وفي الحـديـث:(لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن). رواه مسلم. وإذا نهى عن ذلك في القرآن، فغيره من باب أولى.

٣٢٨٤. فيها إشارة أن الذكر القلبي أوقع في النفس من غيره، ففي الحديث (سبعة يظلهم الله في ظله ومنهم.. رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه).

٣٢٨٥. تفيد: أن حقا على المخلوق المربوب، أن يذكر خالقه وموجده من عدم – سبحانه

٣٢٨٦. تفيد أن النفس البشـــرية غذاؤها بل وحياتها هو ذكر الله تعالى؛ لقوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا﴾ ولم يكتف بالقول: (واذكر ربك تضـرعا)؛ ويشـهد لهذا قول النبي صـلى الله عليه وسلم: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت).

٣٢٨٧. فيها: أن الله تعالى هو أحق من ذُكِر؛ لأنه مربي عباده بنعمه بدلالة مناســبة لفظة: الرب في قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾.

٣٢٨٨. فيها الأمر باستصحاب الخوف عند ذكر الله عز وجل.

٣٢٨٩. تفيد: أن الأصل في الذكر، المخافتة.

٣٢٩٠. تفيد: أن الذكر، مبناه على تحريك الشفة. وإن شئت قلت: "الأصل فيه". وفي الحديث القدسي – عند البخاري تعليقا –: "أنا مع عبدي حيثما ذكرني، وتحركت بي شفتاه". وجه ذلك: أنه نبه قائلا: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ فدل على أنه يكون باللسان؛ وإلا لو كان في الصدر أو بالقلب فقط، لما احتيج إلى هذا التنبيه؛ فلا يتصور أن يجهر بالذكر في داخلة نفسه دون تحريك الشفة.

٣٢٩١. تفيد أهمية الوقت والمحافظة عليه؛ وأن بركة الأوقات تكمن في ذكر الله تعالى.

٣٢٩٢. فيها: ذم الغفلة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

٣٢٩٣. في هذه الآية الكريمة استنهاض لهمة المؤمن لمزيد من التعبد لله تعالى وذكره بذكر صفة من عنده في الملأ الأعلى من ملائكته المقربين..

٣٢٩٤. فيها فضيلة التواضع وتقبيح الاستكبار ومنزلة التسبيح من بين الأذكار.. والسجود من بين عبادات الجوارح.

٣٢٩٥. تفيد أن من خضع لله وسجد بين يديه؛ أدناه منزلة، وزاده رفعة.

٣٢٩٦. تفيد فضيلة الملائكة المقربين وأن منزلتهم ومكانتهم عند ربهم في الملكوت العلى لم تجعلهم متكبرين ولا متغطرسين ولا مستنكفين عن عبادة الله تعالى وطاعته؛ فلم يا ابن آدم وأنت في الملكوت السفلى لا تقتدي بمن أسجدهم الله لأبيك في فاتحة هذه السورة في عبادتهم وطاعتهم لربهم فتكون مقربا عند ربك متدرجا في مراتب العلو والكرامة؟! ولعله بهذا المعنى اللطيف شرع السجود في هذه الآية؛ وقد جاء في الحديث: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد).

٣٢٩٧. التشجيع على فعل الخير بذكر كثرة من يفعله.

٣٢٩٨. تشير إلى: التأسي بملائكة الله في تنزيه الله وعبادته والسجود له.

٣٢٩٩. فيها النهي عن الاستكبار عن عبادة الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

٣٣٠٠. فيها علو منزلة الملائكة حالا ومكانا فهم عند ربهم؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾.

٣٣٠١. ختمت السورة ببيان حال الملائكة في خضوعهم لله في مقابل بيان حال الملأ المستكبرين من أقوام الأنبياء

٣٣٠٢. تفيد أن أساس العبودية يقوم على الخضوع والتذلل لله رب العالمين.

٣٣٠٣. تفيد أن من صفات عباده المقربين تعظيم الله تعالى بتنزيهه عن كل ما لا يليق بعظمته.

٣٣٠٤. تفيد أن عدم الاستكبار هو أجل أنواع العبادة ولذا قدمه، لأنه هو الذي يحمل على الطاعة.

تم بحمد الله

وبهذا تمت سورة الأعراف في ٣٣٠٤ هداية

بتاريخ ١٤٤١/١/٣٠هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور صديق الخضر